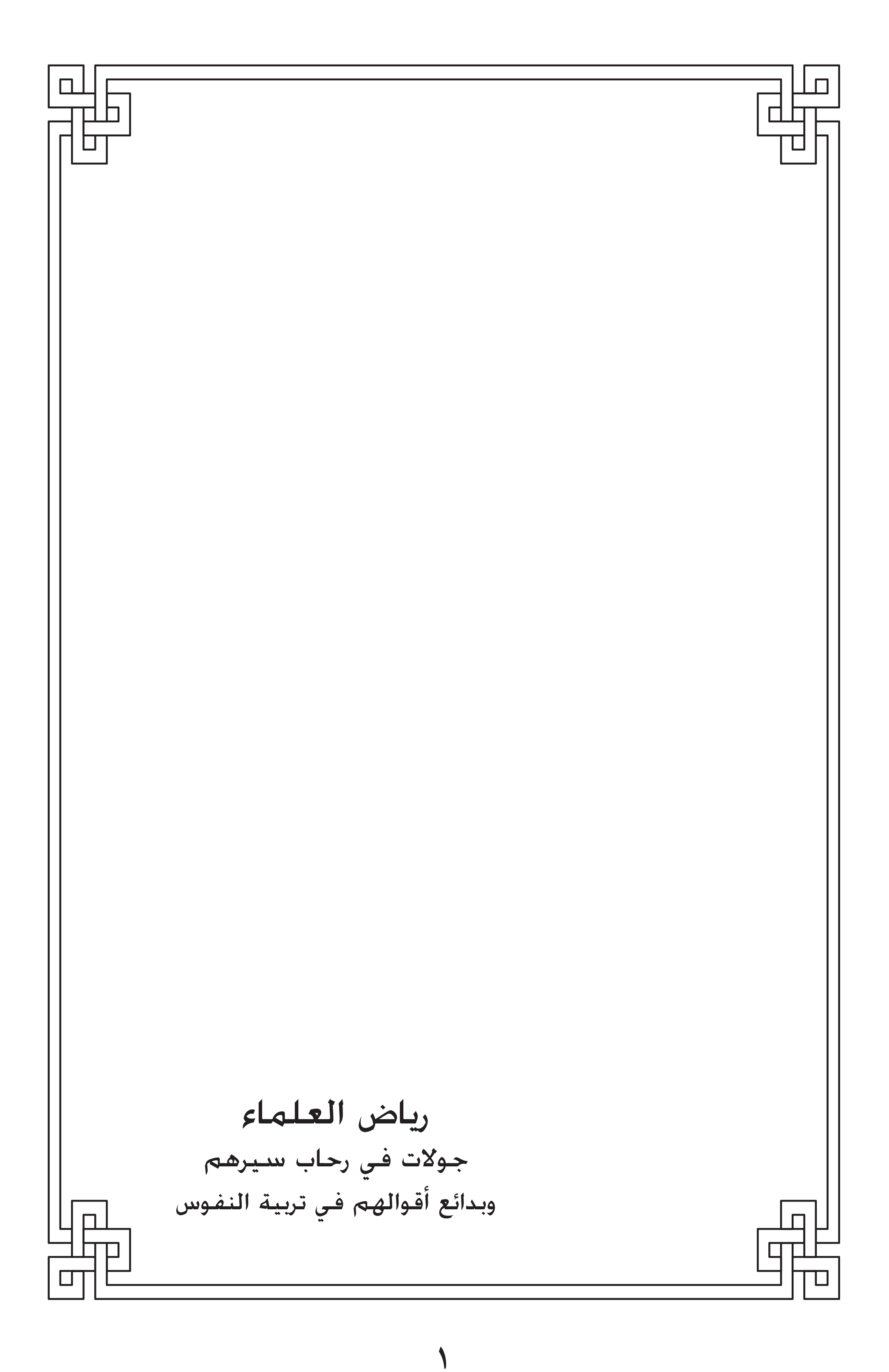
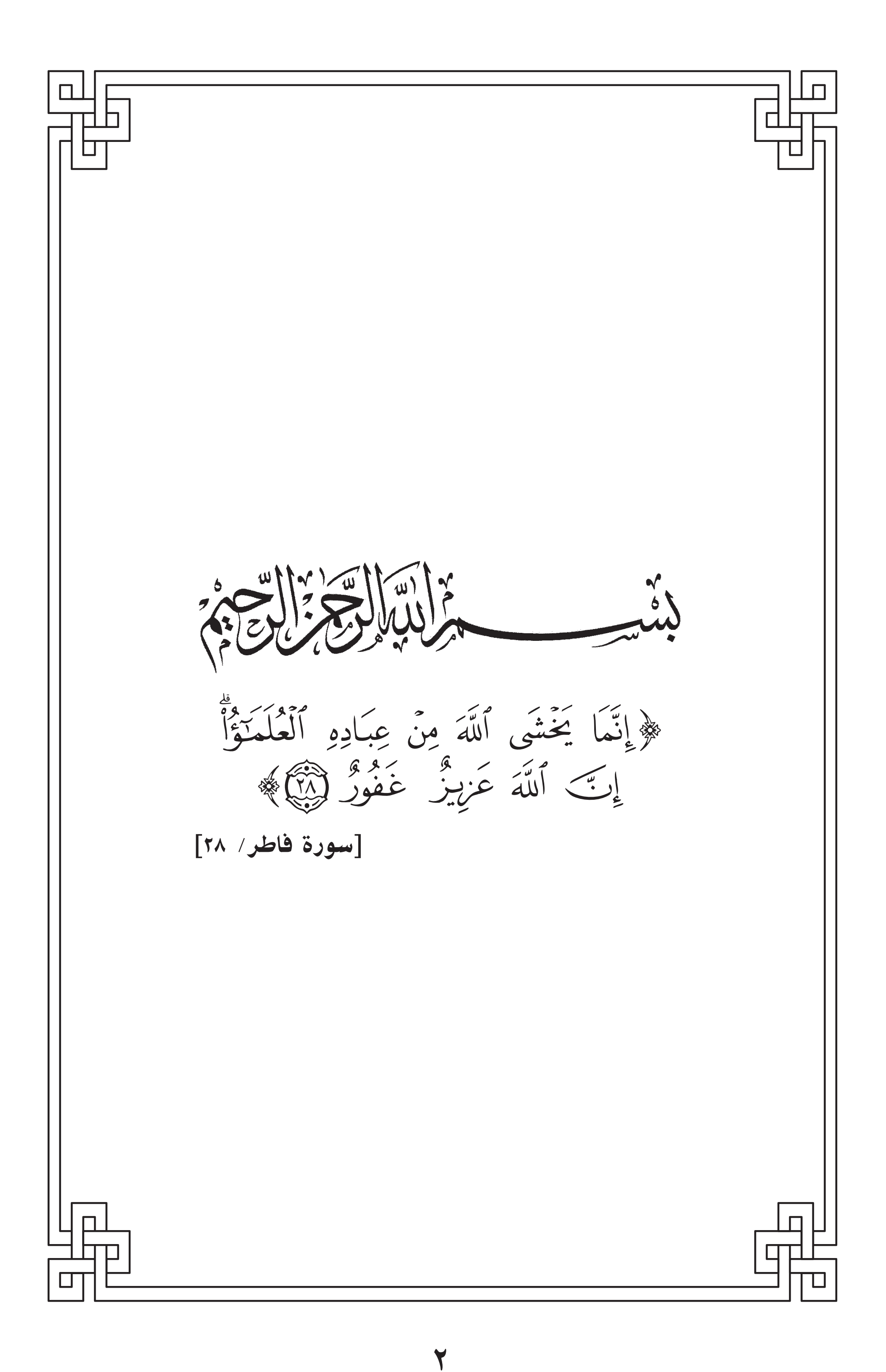


رياض العلماء

جولات في رحاب سيرهم

وبدائع أقوالهم في تربية النفوس



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾

[سورة فاطر/ ٢٨]

رياض العلماء

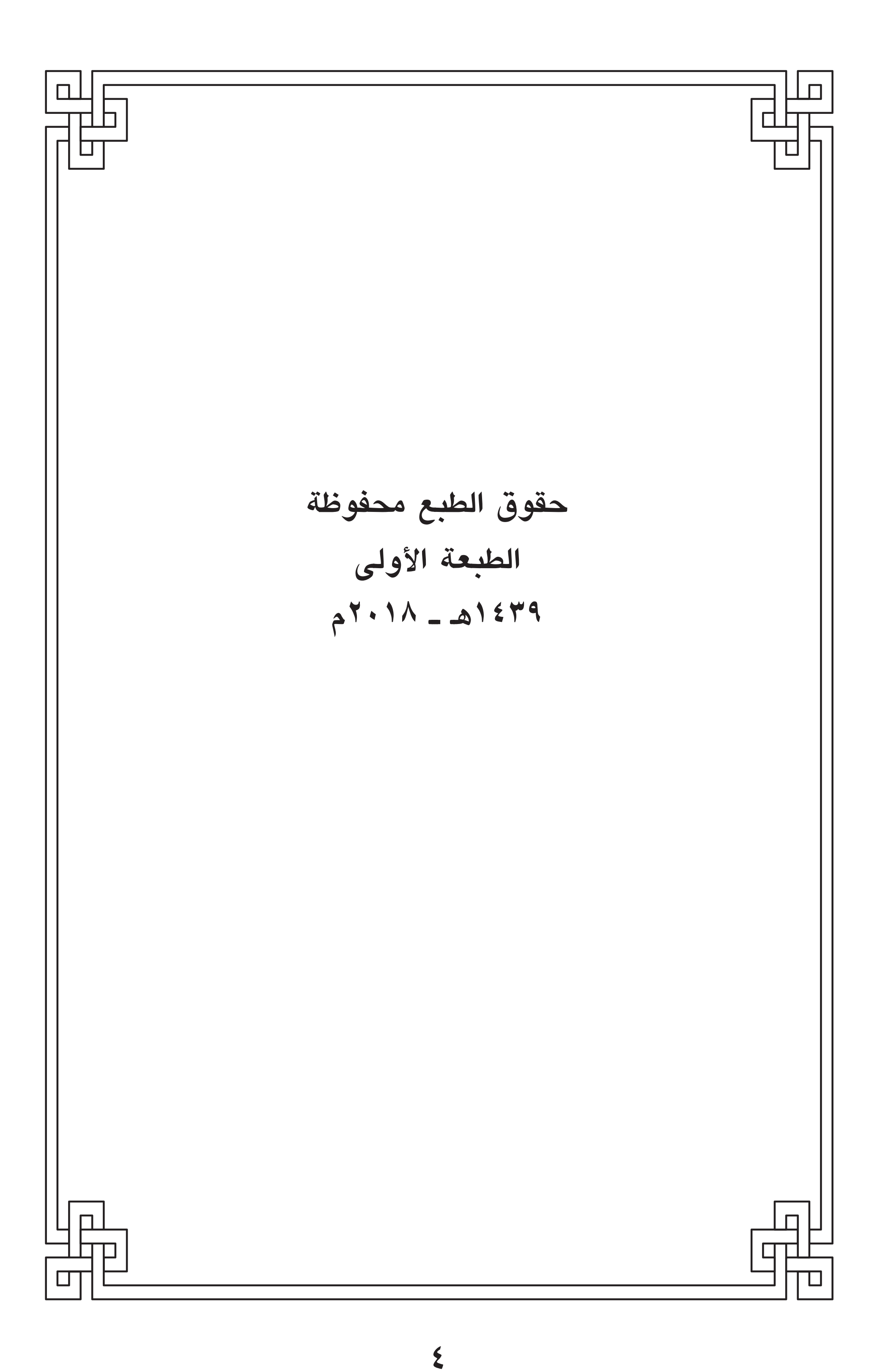
جولات في رحاب سيرهم

وبدائع أقوالهم في تربية النفوس

إعداد

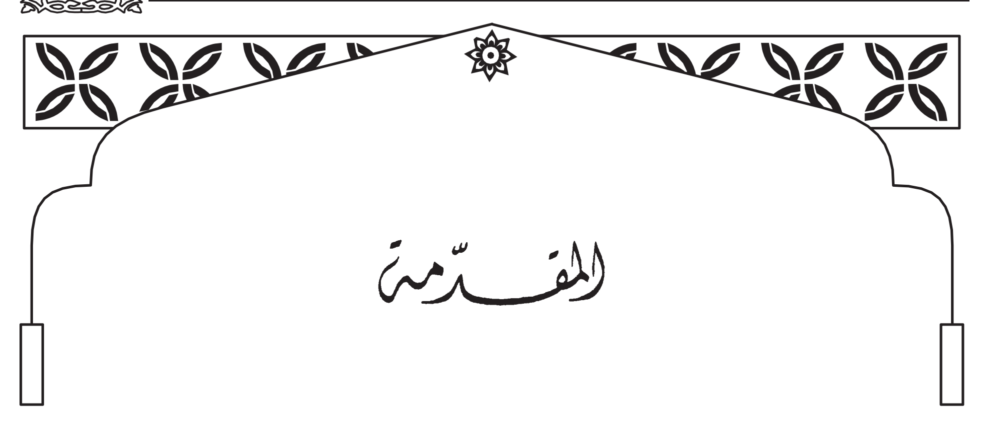
د.أنس أحمد كرزون

دار نور المكتبات دار ابن حزم



الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨م



المقدمة

الحمد لله الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على معلِّم الناس الخير، الذي أرسله الله ﷻ هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

أما بعد: فإن الله ﷻ اصطفى العلماء العاملين السابقين بالخيرات، فقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾[١].

فالعلماء ورثة الأنبياء، ومن استودعه الله علم دينه، وعمِلَ به وعلَّمه، كان من ورثة النبيين، ومن الأئمة المتقين.

والحياة في رحاب سير هؤلاء العلماء تحيي القلوب وتزكي النفوس، وتشحذ الهمم وتوقظ من الغفلة والكسل.

ـ قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله:

(الحكايات عن العلماء ومجالستهم أحب إليَّ من كثير من الفقه، لأنها آداب القوم وأخلاقهم)[٢].

---

(١) سورة فاطر، آية: ٣٢.

(٢) جامع بيان العلم وفضله، ص١٥٢.

وقال الإمام ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال بعض العارفين: الحكايات جند من جنود الله، تقوى بها قلوب المريدين، ثم تلا قوله تعالى لرسوله: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾[١]. ولن يخلو سماع أخبار الصالحين من تحصيل رقةٍ للقلوب وإزالة للقسوة)[٢].

ـ وما أبدع قول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(ليس العالم شخصاً واحداً، العالِم عالَم، تصانيف العالم أولاده المخلَّدون دون أولاده. . .

مياه المعاني مخزونة في قلب العالم، يفتح منها للساقي سيحاً بعد سيح، ويدخر أصفاها لأهل الصفا، فإذا تكاثرت عليه نادى للسبيل، فيبقى علمُه سيح، ولهذا تتضاعف عليه زكاة الشكر)[٣].

والحديث عن تراث الأجداد وذخائر علمائنا الأفذاذ حديث ذو شجون، وهو موضوع مهم لطلاب العلم لينهلوا من معين هذا التراث العظيم، الذي هو حصيلة جهود كبيرة لألوف العلماء من المفسرين والمحدثين والفقهاء والمؤرخين وكُتَّاب السير والتراجم ونحوهم، ممن أفنوا أعمارهم في خدمة هذا الدين والعلم والتعليم، والتسابق لكي يحظوا بميراث النبوة.

وصدق الرسول ﷺ القائل: «**وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورَّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر**»[٤].

---

(١) سورة هود/ آية ١٢٠.

(٢) سيرة عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز للإمام ابن رجب ـ ص/ ٢٧.

(٣) الفوائد، ص٣٧٤.

(٤) رواه أبو داود، رقم: ٣٦٤١، والترمذي، رقم: ٢٦٨٣.

●وكم من كتب اندرسَ أثرها وضاعت نسخها المخطوطة فلم تصل إلينا، ولم يبق لنا منها إلا عناوينها المذكورة في تراجم مؤلفيها أو كتبهم.

● وهذه الذخيرة نفخر بها ونعتز، وهي شاهد حيٌ للأجيال على تفاني الأسلاف في العلم والتعليم ونشر هذا الدين، وها هي تحط رحالها لدينا، وتسألنا ماذا يكون واجبنا تجاهها، وما هو دور طلاب العلم في خدمتها والعناية بها ودراستها والاستفادة منها.

● لقد عزف معظم طلاب العلم عن هذه الكنوز، واكتفوا بدراسة الملخصات والمذكرات المختصرة، وتجد أحدهم إذا قُرِّر عليه في الجامعة أو المعهد موضوع معين أو طُلب منه البحث فيه اكتفى بتصوير الصفحات المطلوبة، وتثاقل عن شراء الكتاب أو اقتنائه، زهداً فيه وعدم معرفة لأهميته، مع أنه ينفق المبالغ الكبيرة على الكماليات التي لا طائل تحتها، وهكذا كسدت الكتب وأصبحت تجارة بائرة، لأن طلابها أعرضوا عنها، فلا لوم على غيرهم.

ومن أغرب ما ذكره لي بعض أصحاب المكتبات أن أحد الطلاب ألحَّ بشراء المجلد الأول فقط من أحد كتب التفسير لأنه هو المقرر عليه، وعندما رفض صاحب المكتبة اشترى الكتاب كاملاً وأخذ المجلد الأول فقط وترك الباقي.

وهنا لا بد لنا من وقفه لبيان خطر هذا الإعراض عن تراث الأجداد، والجهل لدى كثير من طلاب العلم لكتب الأسلاف وكنوزهم الحافلة بالعلوم والمعارف.

وقد يصل الغرور ببعض خريجي الجامعات من حملة الشهادات العالية لدرجة الادعاء أنه وصل إلى قمة الهرم العلمي، ولم يعد

بحاجة إلى مزيد من الدراسة والبحث وإشغال الوقت بهذه الكتب وطلب العلم عند العلماء، وتراه مشغولاً بوظيفته وعمله أو تدريس المادة الموكلة إليه، فإذا ما طُلب منه إعداد بحث للترقية في الوظيفة رجع إلى أقرب المراجع تحت يده، ثم انقطعت صلته مرة أخرى بالعلم والبحث العلمي.

ولقد تراجعت أهمية الكتاب في عصرنا الحاضر بعد أن زاحمته وسائل الإعلام المعاصرة بأساليبها المبتكرة وعرضها المشوِّق الذي يمتص أوقات فراغ الناس، فلا يدع لأحدهم فرصة للقراءة والمطالعة، مع أن العلم النافع لا يؤخذ إلا بالرجوع إلى الكتب بما تحويه من كنوز المعلومات والثقافات بل إن الكتب لوحدها لا تكفي في الدراسة وطلب العلم، إذ لا بد من وجود المدرس الكفء في العملية التعليمية والتلقي من أفواه المشايخ المتقنين، وقد كانوا يقولون: (من كان شيخه كتابه كان خطؤه أكثر من صوابه) ويقولون أيضاً: (من أعظم البلية تشييخ الصحيفة)[1]، أي: اتخاذها شيخاً لتلقي العلوم والاستغناء عن المدرِّس.

فلنعد إلى منهج أسلافنا في تلقي العلم، والتركيز على أهمية المدرس والكتاب في عملية التعليم، وعدم الاستغناء عن الكتاب النافع مهما كان البديل.

● وقد أكرمني الله ﷻ بجولات في رياض العلماء وكنوزهم ونفائس أقوالهم وبدائع توجيهاتهم وتربيتهم للنفوس، وأحببتُ أن يحيا معي القراء الأكارم هذه الحياة المشرقة بأنوار الإيمان ومجالسة أهل الفضل والعرفان.

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم ـ لابن جماعة ـ ص/ ٨٧.

ـ قال الإمام المحاسبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(مجالسة الصالحين أو سماع أخبارهم أو قراءة وقائعهم وسيرهم، من أهم مقاصد الحياة عند العقلاء الصلحاء، فما حُبِّبت الدنيا إلا لتكميل صفاتهم وتكثير حسناتهم وتزودهم منها للآخرة،.. هكذا فكونوا، ولمثل هؤلاء فاصحبوا، ولآثارهم فاتبعوا، وبأخلاقهم فتأدبوا، فهؤلاء الكنز المأمون، بائعهم بالدنيا مغبون وهم العِدة في البلاء، والثُقات من الأخلاء، إن افتقرتم أغنوكم، وإن دعوا الرب لم ينسوكم)[1].

وما أبدع قول الشاعر:

مجالسهم مثلُ الرياض أنيقةٌ

لقد طاب منها الريح واللون والطعمُ

● **ولم أقتصر في هذا الكتاب على تراجم هؤلاء الأعلام وأبرز كنوزهم ومصنفاتهم، وإنما تعرضتُ لنفحات من أقوالهم وأحوالهم في تربية النفوس وحياة القلوب،** والتحذير من أخطار مفسدات القلوب، وأبرزتُ جوانب من حياتهم في طلب العلم وحرصهم على التعلم والتعليم.

● وإذا كنا بعيدين عن مجالستهم وسماع ما يتحدثون به وينقلونهم عن سلف هذه الأمة، وما يروونه من أحاديث النبي ﷺ بأسانيد متصلة، فنرجو بإذن الله تعالى أن ننهل من علومهم ونحيا في رحاب كنوزهم ونقتفي آثارهم، ونرسّخ في قلوبنا محبتهم وتوقيرهم.

---

(١) رسالة المسترشدين للمحاسبي، ص١٨٠.

وقد قال الشاعر:

لـم أسعَ فـي طـلـب الـحـديـث لـسـمـعـةٍ
أو لاجـتـمـاع قـديـمـه وحـديـثـهِ
لـكـنْ إذا فـاتَ الـمـحـبَ لـقـاء مَـنْ
يـهـوى تـعـلَّـل بـاسـتـمـاع حـديـثـه

● قال الإمام الصفدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إن النفس تستروح إلى مطالعة أخبار من تقدَّم، والمطلع على أخبار من دَرَج... يعود كأنه عاصر أولئك وجلس معهم.. فأفاد ذلك حزماً وعزماً، وموعظة وعلماً، وهمَّة تُذهب هماً، وبياناً يزيل وهناً ووهماً)(١).

وقال الشيخ أبو الحسن الندوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(كتبُ التراجم والسير في الإسلام زاخرة بالأخبار التي تثير الهمم، وتُشعل المواهب، وتنفح في القارئ روحاً جديدة، وتعالج الفتور في الهمم معالجةً رفيقة حكيمة، لا يستثقلها القارئ، ولا يشعر بمرارة الدواء..

وقد اتفق علماء النفس والتربية على أن القصص والأخبار أكبر مؤثِّر في النفس، وأقوى عامل من عوامل التربية)(٢).

● ويجدر التنبيه إلى أنني اكتفيت بلمحات وومضات وإشراقات في تراجم هؤلاء الأعلام مع إبراز الجوانب الإيمانية والتربوية في حياتهم، وأما التراجم التفصيلية فإن القارئ يجدها في مواضعها من كتب السيرة والتراجم والتاريخ.

---

(١) الوافي بالوفيات للصفدي ـ ١/٣.

(٢) من تقديم الشيخ الندوي لكتاب (صفحات من صبر العلماء) للشيخ عبدالفتاح أبو غدة، ص/١٣.

قال الشيخ جمال الدين القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ:

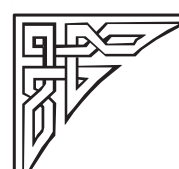
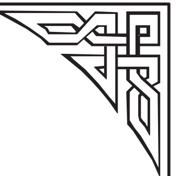
(إن حقَّ مَن يصنِّف في تراجم الرجال أن لا يترجم إلا ذوي الأثر والتأثير، فالأول يدخل فيه من صنَّف وألَّف في أي فنٍ كان، بشرط الاجتهاد لما صنَّفه أَو اخترعه، ويدخل في الثاني كل عالم غير مؤلف، ولكنه أنجب تلامذة، أو وقَف نفسه على التعليم في فنٍ أو فنون، وكان سالكاً سبيل السلف في النصح والصدق والإخلاص والأخلاق)[1].

أسأل المولى العلي القدير أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يُحيي قلوبنا بنور الإيمان، ويرزقنا التأسي بأهل القرآن، من العلماء الأبرار والسادة الأخيار، وأن يكرمنا بصحبتهم في أعالي الجنان مع سيد ولد عدنان ﷺ، والحمد لله رب العالمين.

د.أنس أحمد كرزون
رجب ١٤٣٩هـ



(١) من مقدمة كتاب (دلائل التوحيد) للقاسمي، تعليق: الشيخ خالد العك، ص٢٠.

الفصل الأول
مختارات من سير العلماء وكنوزهم

١ ـ عمر بن عبدالعزيز الخليفة الراشد.

٢ ـ الإمام أبو حنيفة.

٣ ـ الإمام وكيع بن الجراح.

٤ ـ الإمام مالك بن أنس.

٥ ـ الإمام مالك بن دينار.

٦ ـ الإمام عبدالله بن المبارك.

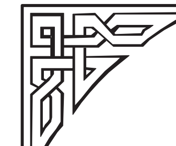
٧ ـ الإمام الشافعي.

٨ ـ الإمام أحمد بن حنبل.

٩ ـ الإمام البخاري.

١٠ ـ الإمام أبو بكر الآجري.

١١ ـ الإمام ابن عبدالبر الأندلسي.



١٢ ـ الإمام الشاطبي.

١٣ ـ الإمام ابن الجوزي.

١٤ ـ الإمام ابن الأثير الجزري.

١٥ ـ الإمام عَلم الدين السخاوي.

١٦ ـ الإمام النووي.

١٧ ـ الإمام ابن تيمية.

١٨ ـ الإمام ابن قيم الجوزية.

١٩ ـ الإمام شمس الدين الذهبي.

٢٠ ـ الإمام ابن كثير.

٢١ ـ الإمام ابن رجب الحنبلي.

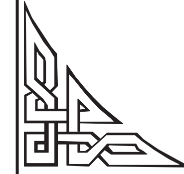
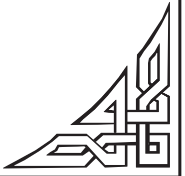
٢٢ ـ الإمام ابن الجزري.

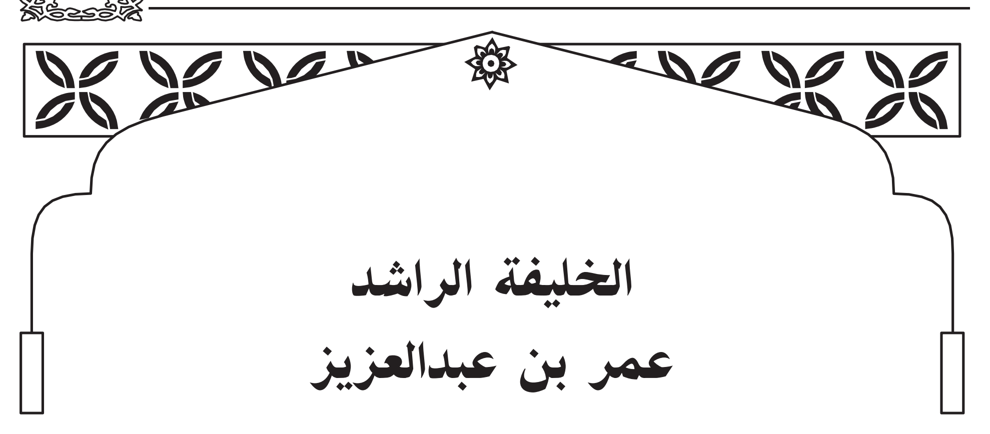
٢٣ ـ الإمام ابن حجر العسقلاني.

٢٤ ـ الشيخ بدر الدين الغزي.

٢٥ ـ الشيخ جمال الدين القاسمي.

٢٦ ـ الشيخ عبدالحميد بن باديس.



الخليفة الراشد
عمر بن عبدالعزيز

ولد عمر بن عبدالعزيز سنة (٦٣هـ) وأمه هي أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وتوفي أواخر رجب سنة (١٠١هـ) لخمس أو ستٍ بقين من الشهر وكان موته يوم الجمعة عن أربعين سنة كاملة بعد خلافة دامت سنتين وخمسة أشهر أو ستة أشهر، كما كانت خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنهما سنتين وقليلاً من الأشهر ظنها الناس أعواماً طويلة لكثرة ما أصابهم من الخير، ووفرة ما عمهم من العدل والإنصاف[١].

● وصفه الإمام الذهبي بقوله: (الإمام الحافظ العلامة المجتهد الزاهد العابد السيد أمير المؤمنين حقاً... الخليفة الزاهد الراشد)[٢].

● روى ضمام بن إسماعيل عن أبي قبيل: (أن عمر بن عبدالعزيز بكى وهو غلام صغير فأرسلت إليه أمه، وقالت: ما يبكيك؟

---

(١) ينظر: الخليفة الزاهد عمر بن عبدالعزيز، تأليف: عبدالعزيز سيد الأهل، ص٢٤٢.

(٢) سير أعلام النبلاء، ١١٤/٥.

قال: ذكرتُ الموت. قال: وكان يومئذ قد جمع القرآن، فبكت أمه حين بلغها ذلك)[1].

وعن عمر بن ميمون قال: (كانت العلماء مع عمر بن عبدالعزيز تلامذة)[2].

● هذا هو الخليفة الراشد الذي كان سلطان العالم ولكنه كان مشتاقاً لما عند الله من نعيم الجنان ولم يشغله عن هذا الشوق ما هو فيه من الحكم والملك. فقد كان يقول: (إن لي نفساً توَّاقة، وإنها لم تُعط من الدنيا شيئاً إلا تاقت إلى ما هو أفضل منه، فلما أُعطيتْ ما لا أفضل منه في الدنيا، تاقت إلى ما هو أفضل منه، يعني الجنة)[3].

● وعن عطاء قال: (كان عمر بن عبدالعزيز يجمع كل ليلةٍ الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة ويبكون)[4].

● ومن شعره رحمه الله:

مَنْ كان حين تصيب الشمسُ جبهته
أو الغبارُ يخاف الشَّينَ والشعثا
ويألف الظل كي تبقى بشاشتُهُ
فسوف يسكن يوماً راغماً جَدَثا
في قعرِ مظلمةٍ غبراء موحشةٍ
يطيل في قعرها تحت الثرى اللبثا

---

(١) المرجع السابق، ١١٦/٥.
(٢) المرجع السابق، ١٢٠/٥.
(٣) سير أعلام النبلاء، ١٣٤/٥.
(٤) المرجع نفسه، ١٣٨/٥.

تجهزي بجهاز تبلغين به
يا نفس قبل الردى لم تُخلقي عبثا[١]

وقد أحس رَحِمَهُ اللَّهُ حين دنا من سن الأربعين أنه قد بلغ حده واقترب أجله، وكان يتمثل بقول الشاعر:

وإذا بلغت الأربعين فعندها
فاخش الإلٰه وكن للموت حذَّارا

عن عبيد بن حسان قال: (لما احتضر عمر بن عبدالعزيز قال: اخرجوا عني، فقعد مَسْلمة وفاطمة على الباب، فسمعوه يقول: مرحباً بهذه الوجوه ليست بوجوه إنسٍ ولا جان، ثم تلا: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ ثم هدأ الصوت، فقال مسلمة لفاطمة: قد قُبض صاحبكِ، فدخلوا فوجدوه قد قبض)[٢].

✵ من مواعظ عمر بن عبدالعزيز:

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

(كان عمر بن عبدالعزيز يقول في خطبته:

أيها الناس إنكم لم تُخلقوا عبثاً، ولم تُتركوا سدى، فخاب وشقي عبدٌ أخرجه الله عَزَّ وَجَلَّ من رحمته التي وسعت كل شيء، وجنته التي عرضها السماوات والأرض، وإنما يكون الأمان غداً لمن خاف الله تعالى واتقى، وباع قليلاً بكثير وفانياً بباقٍ، وشقاوة بسعادة،

---

(١) المرجع السابق، ٥/١٣٨.
(٢) سير أعلام النبلاء، ٥/١٤٢.

ألا ترون أنكم في كل يوم تشيِّعون غادياً أو رائحاً إلى الله قد قضى نحبه، وانقطع أمله، فتضعونه في بطن صدع من الأرض غير موسَّد ولا ممهَّد، قد خلع الأسباب، وفارق الأحباب، وواجه الحساب)[١].

وروى ابن أبي حاتم عن ميمون بن مهران قال:

كنت جالساً عند عمر بن عبدالعزيز، فقرأ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ فلبث هنيهة ثم قال: (يا ميمون، ما أرى المقابر إلا زيارة، وما للزائر بدٌّ من أن يرجع إلى منزله)[٢]، أي: إلى الجنة أو النار.



(١) الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب ـ لابن القيم ـ ص/٢٩.
(٢) تفسير ابن كثير، ٤/٥٨٣.



أبناء الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز

ذكر المؤرخون أن عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يأذن لأبنائه يوم الجمعة بالدخول عليه قبل أن يدخل الناس، فيجتمع بهم ويستمع إلى تلاواتهم للقرآن الكريم حيث يقرأ الأكبر منهم (عبدالله) ثم الذي يليه، حتى يقرأ طائفة منهم.

وقد دخلوا عليه يوم جمعةٍ فإذا به مستلقٍ على ظهره لا ينظر إليهم، ثم التفت إليهم بعد وقت طويل فأمر أكبرهم عبدالله أن يقرأ، فقرأ قوله تعالى: ﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ إلى قوله: ﴿مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾[1]، فقال: أعد، فأعاد.

فقال عمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ها، إني خرجت إلى هؤلاء ـ أي: الناس ـ وقد رُضتُ كلاماً أكلمهم به رجاء أن ينفعهم الله به في دينهم، فرأيت تَلعُّباً وتلهِّياً وقلَّةَ إقبالٍ عليه واستماع له، فبلغ مني مبلغه ـ أي: من الحزن والتأثر ـ فقطعتُه ثم نزلتُ بغيظي وهمي، حتى عزَّاني الله بما

(١) سورة الشعراء، آيات: ١ ـ ٦. ومعنى باخعٌ: أي مهلك.

قرأ ابني هذا، فما عسى أصنع؟ أأبخعُ نفسي؟)[١] ـ أي: أهلكها من شدة الحرص على نفع الناس ونصحهم ـ.

وهكذا كانت تلك الآيات الكريمة بلسماً شافياً لحزن الخليفة وهو يستمع إليها من أكبر أبنائه، في ذلك المجلس المبارك الذي ضم فلذات أكباده ورياحين قلبه، والذي ازدهى بآيات القرآن الكريم ـ فأين مجالس الآباء مع أبنائهم اليوم؟ ولماذا نحرم أبناءنا من تلك المجالس المباركة التي تحفها الملائكة وتغشاها الرحمة؟

● **ولنقف عند سيرة واحدٍ من أبناء هذا الخليفة الراشد، إنه عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز الذي كان له رغم حداثة سنِّه أثر واضح في حياة والده.**

● روى الحافظ أبو نعيم بإسناده عن بعض مشيخة أهل الشام قال:

(كنا نرى أن عمر بن عبدالعزيز إنما أدخله في العبادة ما رأى من ابنه عبدالملك)[٢].

● ـ وقد جمع عمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ قراء أهل الشام فقال: إني قد جمعتكم لأمر؛ قد أهمَّتني هذه المظالم التي في أيدي أهل بيتي، ما ترون فيها؟

قالوا: ما نرى وزرها إلا على من غصبها.

---

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، للإمام ابن منظور، ١٠٠/٤.
(٢) سيرة عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز، للإمام ابن رجب الحنبلي، ص٣١.

فقال لعبدالملك ابنه: ما ترى أي بُني؟

قال: ما أرى من قدرَ على أن يردَّها فلم يردَّها والذي اغتصبها إلا سواء.

فقال: صدقت أي بُني، الحمد لله الذي جعل لي وزيراً من أهلي عبدَالملك ابني[١].

● ـ وقد أصيب عبدالملك بالطاعون في خلافة أبيه، فدخل عليه والده الخليفة أثناء وجعه فقال: يا بني كيف تجد؟

قال: أجدني في الحق.

قال: يا بني إن تكن في ميزاني أحبُّ إليّ أن أكون في ميزانك.

فقال ابنه: وأنا يا أبَهْ لئن أكون ما تحبُّ أحبّ إليَّ من أن يكون ما أُحب.

ـ ولما توفي عبدالملك رحمه الله وقف والده عند القبر وأحاط به الناس، فقال: (رحمك الله يا بني، فلقد كنت براً بأبيك، وما زلتُ منذ وهبك الله لي مسروراً فرحمك الله وغفر ذنبك، وجزاك بأحسن عملك، وتجاوز عن سيئهِ، ورحم كل شافع يشفع لك من شاهدٍ وغائب، رضينا بقضاء الله، وسلّمنا لأمره). وفي رواية أنه قال: (أعوذ بالله أن تكون لي محبةٌ في شيء من الأمور تخالف محبة الله.. لقد دفعَتْه إليَّ النساء في الخِرَق ـ إشارة إلى

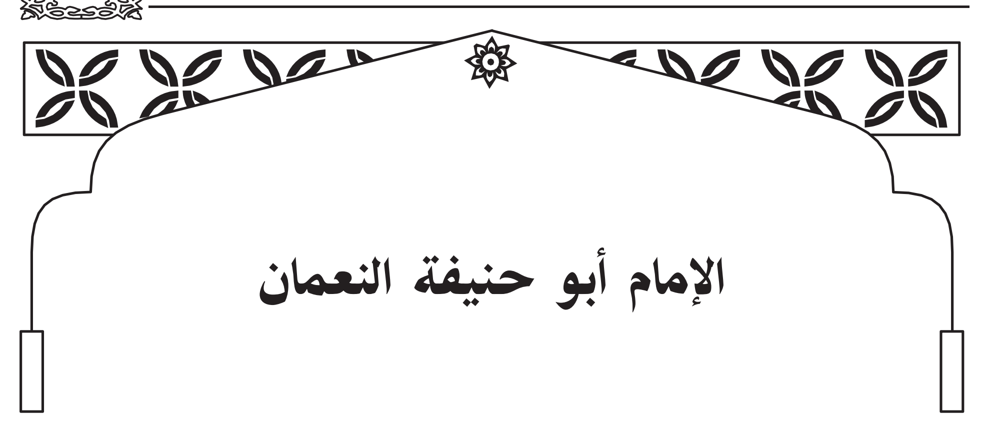
(١) سيرة عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز، ص٥٢.

يوم ولادته ـ فما زلت أرى فيه السرور وقرَّة العين إلى يومي هذا)[١].

وهكذا يكون الأبناء قرة عين لآبائهم طيلة حياتهم، وعوناً لهم على طاعة ربهم، ورياحيناً لقلوبهم.



(١) المرجع السابق، ص٧١.



الإمام أبو حنيفة النعمان

ـ هو الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت التيمي الكوفي[(١)]، ولد سنة ثمانين في حياة صغار الصحابة، ورأى أنس بن مالك لما قدم عليهم الكوفة.

ـ روى عن عطاء بن أبي رباح وهو أكبر شيخ له، وعن الشعبي، ونافع مولى ابن عمر وغيرهم من التابعين.

ـ كان عالماً عاملاً زاهداً عابداً، ورعاً تقياً، كثير الخشوع، دائم التضرع إلى الله تعالى، شديد الكرم، حسن المواساة لإخوانه.

● ـ قال الفضيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(كان أبو حنيفة فقيهاً معروفاً بالفقه، مشهوراً بالورع، واسع المال، معروفاً بالإفضال على كل من يطوف به، صبوراً على تعليم العلم بالليل والنهار)[(٢)].

(١) سير أعلام النبلاء، ٦/٣٩٠، وفيات الأعيان ٥/٤٠٥، البداية والنهاية ١٠/١٠٧، شذرات الذهب ١/٢٢٧.

(٢) الخيرات الحسان في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان لابن حجر الهيتمي، ص٤٧.

عن عبدالله بن المبارك أنه قال: (ما رأيت رجلاً أوقرَ في مجلسه ولا أحسن سمتاً وحلماً من أبي حنيفة)[١].

وعن شريك قال: (كان أبو حنيفة طويل الصمت كثير العقل)[٢].

وعن القاسم بن معن أن أبا حنيفة قام ليلة يردد قوله تعالى:

(﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾[٣] ويبكي ويتضرع إلى الفجر)[٤].

وقال الشافعي: (الناس في الفقه عيالٌ على أبي حنيفة)[٥].

● ـ عن عمرو بن سليمان العطار قال:

كنت بالكوفة أجالس أبا حنيفة، فتزوج زُفر بن الهذيل[٦] فحضره أبو حنيفة، فقال له: تكلم، فخطب فقال في خطبته: (هذا زُفر بن الهذيل، وهو إمام من أئمة المسلمين، وعَلَم من أعلامهم في حَسَبه وشرفه وعلمه)، وكره بعض قومه وقالوا له: حضر بنو عمك وأشراف قومك، وتسأل أبا حنيفة يخطب!

فقال: لو حضر أبي قدَّمت أبا حنيفة عليه[٧].

---

(١) سير أعلام النبلاء، ٤٠٠/٦.

(٢) المرجع السابق ٤٠٠/٦.

(٣) سورة القمر، آية: ٤٦.

(٤) سير أعلام النبلاء، ٤٠١/٦.

(٥) سير أعلام النبلاء، ٤٠٣/٦.

(٦) الإمام زفر بن الهُذيل الفقيه المجتهد، قال عنه الإمام الذهبي: (هو من بحور العلم وأذكياء الوقت، تفقَّه بأبي حنيفة، وهو من أكبر تلامذته)، توفي سنة ١٥٨هـ. (سير أعلام النبلاء) ٣٥/٨.

(٧) الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء، لابن عبدالبر، ص٢٦١.

● ـ وقد كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ أكرم الناس مجالسة، وأكثرهم إكراماً ومواساة لأصحابه، وكان يزوِّج من أراد وينفق عليه، ورأى على بعض جلسائه ثياباً رثَّة، فأمره أن يجلس حتى يتفرق الناس، ثم قال له: خذ ما تحت المصلّى فتجمَّل به، فإذا هو ألف درهم[١].

● ـ ولما ختم حماد ولده سورة الفاتحة أعطى المعلم خمسمائة درهم، فقال: ما صنعتُ حتى ترسل إليَّ هذا؟

فأحضره واعتذر إليه وقال: لا تستحقر ما علَّمت ولدي، والله لو كان معنا أكثر من ذلك لدفعناه إليك تعظيماً للقرآن[٢].

● ـ قال شقيق: كنت مع أبي حنيفة في طريق فرآه رجل فاختبأ منه، وأخذ في طريق آخر، فصاح به، فجاء إليه، فقال له: لم عدلت عن طريقك؟

قال: لك علي عشرة آلاف درهم، وقد طال عليَّ الوقت وأعسرت فاستحييتُ منك، فقال: سبحان الله، بلغ بك الأمر كل هذا، وهبتُه لك كله، وأشهدتُ على نفسي، فلا تتوارَ، واجعلني في حِلٍّ مما دخل في قلبك مني[٣].

● ـ وأهدى إليه شخص شيئاً فكافأه بأضعافه، فقال له: لو علمتُ أنك تفعل ذلك ما أهديتُ لك.

قال: (لا تقل هذا، فإن الفضل للسابق، ألم تسمع إلى ما حدثني به الهيثم عن أبي صالح يبلغ به النبي ﷺ أنه قال: «**من صنع**

---

(١) الخيرات الحسان، لابن حجر الهيتمي، ص٥٦.

(٢) المرجع السابق، ص٥٦.

(٣) المرجع السابق، ص٥٧.

إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه به فأثنوا عليه»[(١)]، وهذا الحديث أحب إليّ من جميع ما أملك)[(٢)].

● ـ وقد عرض الخليفة المنصور على الإمام أبي حنيفة تولية القضاء، فأبى عليه، فحلف ليفعلنَّ، فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل، فأعاد المنصور فأعاد أبو حنيفة، فقال له الربيع الحاجب: ألا ترى أمير المؤمنين يحلف!

قال: هو أقدر على كفارة يمينه مني على كفارة يميني.

فأمر بحبسه، ثم دعا به فقال: أترغب عما نحن فيه؟

فقال: أصلح الله أمير المؤمنين، والله ما أنا مأمون الرضا فكيف أكون مأمون الغضب؟ فلا أصلح لذلك.

فقال: كذبت أنت تصلح لذلك.

فقال: يا أمير المؤمنين، قد حكمتَ على نفسك، إن كنتُ صادقاً فقد أخبرتُ أمير المؤمنين أني لا أصلح، وإن كنتُ كاذباً فكيف يحل لك أن تولي قاضياً كاذباً[(٣)]؟

● ـ قال الإمام عبدالله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

رأيــت أبــا حــنــيــفــة كــلَّ يــوم
يــزيــد نَــبــاهــة ويــزيــد خــيــرا
ويــنــطــقُ بــالــثــواب ويــصــطــفــيــه
إذا مــا قــال أهــل الــجَــور جَــورا

---

(١) رواه أبو داود، رقم: ١٦٧٢، وابن حبان في صحيحه، رقم: ٣٤٠٠، والحاكم ٤١٢/١.
(٢) الخيرات الحسان، ص٥٨.
(٣) الخيرات الحسان، ص٨٩.

رأيـت أبـا حـنـيـفـة حـيـن يُـؤتـى
ويُـطـلَـب عـلـمُـه بـحـراً غـزيـرا
إذا مـا الـمـشـكـلاتُ تـدافَـعَـتْـهـا
رجـالُ الـعـلـم كـان بـهـا بـصـيـرا[1]

❋ جار الإمام أبي حنيفة:

كان لأبي حنيفة جار بالكوفة إسكاف، يعمل طوال النهار، ثم يرجع إلى منزله فيأكل، ثم يشرب الخمر، حتى إذا دبَّ الشراب فيه أنشد:

أضـاعـونـي وأيّ فـتًـى أضـاعـوا
لـيـومِ كـريـهـةٍ وسـدادِ ثـغـر

فلا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى يأخذه النوم، وكان أبو حنيفة يسمع جَلَبته كل ليلة، وأبو حنيفة كان يصلي بالليل، ففقد صوته فسأل عنه، فقيل: أخذه العسَسَ (أي: الشرطة) منذ ليالٍ وهو محبوس، فركب أبو حنيفة بغلته واستأذن على الأمير، فقال له: ما حاجتك؟ قال: لي جار إسكاف أخذه العَسَس، يأمر الأمير بتخليته، قال: نعم، وكل من أُخذ في تلك الليلة.

فركب أبو حنيفة، والإسكاف يمشي وراءه، فلما نزل مضى إليه وقال: يا فتى أضعناك؟ قال: لا، بل حفظتَ ورعيت، جزاك الله خيراً على حُرمة الجوار ورعاية الحق، وتاب الرجل ولم يَعُد إلى ما كان عليه[2].

---

(١) الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء، ص٢٠٧.

(٢) وفيات الأعيان ٥/٤١٠.

✵ وفاته:

توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة خمسين ومائة، وله سبعون سنة.

وابنه الفقيه حماد بن أبي حنيفة كان ذا علم ودين وصلاح وورع تام، ولما توفي والده وكان عنده ودائع كثيرة وأهلها غائبون، فنقلها حماد إلى الحاكم ليتسلمها، فقال: بل دعها عندك، فإنك أهل، فقال: زنها واقبضها حتى تبرأ منها ذمة الوالد، ثم افعل ما ترى ففعل القاضي ذلك، وبقي في وزنها وحسابها أياماً، واستتر حماد فما ظهر حتى أودعها القاضي عند أمين[١].

✵ ثناء الإمام الشافعي على الإمام أبي حنيفة:

ـ قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: (الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة)[٢].

ـ ومن بدائع شعر الإمام الشافعي في الثناء على الإمام أبي حنيفة رَحِمَهُمَا اللَّهُ، قوله:

لقد زانَ البلاد ومَن عليها
إمام المسلمين أبو حنيفهْ
بأحكام وآثارٍ وفقهٍ
كآيات الزبور على الصحيفهْ
فما بالمشرقين له نظيرٌ
ولا بالمغربين ولا بكوفهْ[٣]

(١) سير أعلام النبلاء ٦/٤٠٣.
(٢) الخيرات الحسان في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان، لابن حجر الهيتمي، ص٤٤.
(٣) ديوان الإمام الشافعي، ص١٠١.

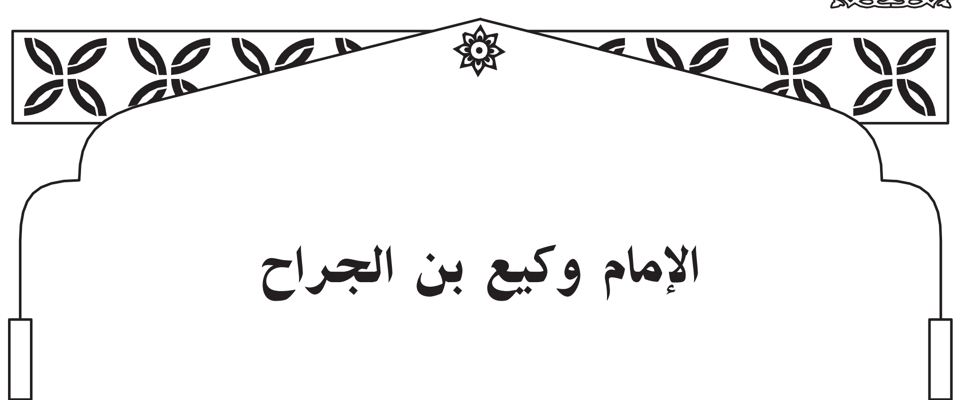
❁ ثناء الإمام أحمد على الإمام أبي حنيفة:

قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ثنائه على الإمام أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(إنه من أهل الورع والزهد وإيثار الآخرة بمحلٍ لا يدركه أحد، ولقد ضُرب بالسياط ليتولى القضاء للمنصور فلم يفعل، فرحمة الله عليه ورضوانه)(١).



(١) الخيرات الحسان في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان، ص٤٦.



الإمام وكيع بن الجراح

الإمام الحافظ محدِّث العراق، أحد الأعلام، ولد سنة تسع وعشرين ومائة، وكان من بحور العلم وأئمة الحفظ، وتوفي سنة سبع وتسعين ومائة[١].

● وقد نقل الإمام الذهبي عن يحيى بن أكثم قوله: (صحبت وكيع بن الجراح في الحضر والسفر، وكان يصوم الدهر، ويختم القرآن في كل ليلة).

وعلَّق الإمام الذهبي قائلاً: (هذه عبادة يخضع لها، ولكنها من قِبل إمام من الأئمة مفضولة، فقد صح نهيه عليه السلام عن صوم الدهر، وصحّ أنه نهى أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث، والدين يسر، ومتابعة السنة أولى، فرضيَ الله عن وكيع، وأين مثل وكيع؟).

● قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله:

(ما رأيت قط مثل وكيع في العلم والحفظ والإسناد والأبواب مع خشوع وورع).

(١) سير أعلام النبلاء ٩/١٤٣.

وقال أيضاً: (ما رأت عيناي مثله قط، يحفظ الحديث جيداً، ويذاكر في الفقه فيحسن)[١].

● وعن سفيان بن وكيع قال: (كان أبي يجلس لأصحاب الحديث من بُكرة إلى ارتفاع النهار، ثم ينصرف، فيقيل[٢]، ثم يصلي الظهر، ويقصد الطريق إلى المشرعة[٣] التي يصعد منها أصحاب الروايا فيريحون نواضحهم[٤]، فيعلِّمهم من القرآن ما يؤدون به الفرض، إلى حدود العصر، ثم يرجع إلى مسجده، فيصلي العصر، ثم يجلس يدرِّس القرآن ويذكر الله إلى آخر النهار، ثم يدخل منزله، فيقدَّم إليه إفطاره. . ، ثم يقوم فيصلي ورده من الليل، ثم ينام)[٥].

وفي هذا العمل المبارك إشارة إلى الاهتمام بعامة الناس، والشعور بالمسؤولية نحوهم حتى يتم إنقاذهم من الجهل، فالإمام وكيع وهو من كبار الأئمة لم يمنعه ازدحام طلبة العلم حوله من الذهاب إلى العامة في أماكن عملهم، ليعلمهم من القرآن الكريم ما تصحُّ به صلواتهم وهذا من عجائب علو همته رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وصبره على التعليم.

قال علي بن خشرم: ما رأيتُ بيد وكيع كتاباً قط، إنما هو حفظ، فسألتهُ عن أدوية الحفظ، فقال: إن علَّمتك الدواء استعملته؟ قلت: إي والله. قال: ترك المعاصي ما جربتُ مثله للحفظ[٦].

---

(١) صفة الصفوة ١١٩/٢.

(٢) أي: ينام القيلولة وهي قبيل الظهر.

(٣) المشرعة: المواضع التي يجتمع فيها الماء، يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون.

(٤) النواضح: الدواب التي يُستقى عليها.

(٥) سير أعلام النبلاء ١٥٠/٩.

(٦) سير أعلام النبلاء ١٥١/٩.

وتأمل قول الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

شكوتُ إلى وكيعٍ سوء حفظي
فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نورٌ
ونورُ اللَّه لا يُهدى لعاصي[(١)]

قال إبراهيم بن شماس: (لو تمنيتُ كنت أتمنى عقل ابن المبارك وورعه، وزهده الفُضيل ورِقّتهُ، وعبادة وكيع وحفظه)[(٢)].

حدَّث وكيع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وجلس بعد موت الثوري في مكانه، وصنّف التصانيف الكثيرة، وحج سنة ست وتسعين ومائة، فلما رجع توفي في محرم سنة سبع وتسعين ومائة، وهو ابن ست وستين سنة[(٣)].



(١) ديوان الإمام الشافعي، ص٥٤.
(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي ـ ٣٠٨/١.
(٣) صفة الصفوة ١٢٠/٢.



الإمام مالك بن أنس

وصفه الإمام الذهبي بقوله: (هو شيخ الإسلام، حجة الأمة، إمام دار الهجرة)[١] فمن هو الإمام مالك؟

إنه أبو عبدالله مالك بن أنس، ولد سنة ثلاث وتسعين، وطلب العلمَ وهو ابن بضع عشرةَ سنةً، وتأهَّل للفُتيا، وجلس للإفادة، وله إحدى وعشرون سنة، وحدَّث عنه جماعةٌ وهو شابٌّ طريٌّ، وقصده طَلَبَةُ العلم من الآفاق في آخر دولة أبي جعفر المنصور وما بعد ذلك، وازدحموا عليه في خلافة الرشيد، وإلى أن مات سنة تسع وسبعين ومائة.

● عن أبي هريرة، يبلغ به النبي ﷺ قال: **«لَيضربَنَّ الناسُ أَكباد الإبل في طَلَبِ العِلْمِ، فَلاَ يَجِدُونَ عَالِماً أَعْلَمَ مِنْ عَالِمِ المَدِينَةِ»**[٢].

قال الإمام الذهبي: (كان عالم المدينة في زمانه بعد رسول الله ﷺ، وصاحبيه، زيدُ بن ثابت، وعائشة، ثم ابنُ عمر، ثم

(١) سير أعلام النبلاء ٤٨/٨، تذكرة الحفاظ ٢٠٧/١.

(٢) أخرجه أحمد ٢٩٩/٢، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن حبان (٢٣٠٨)، والحاكم ٩١/١، والبيهقي ٣٨٦/١ كلهم من حديث سفيان بن عيينة، عن ابن جريج، عن أبي الزبير، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، وحسنه الترمذي، وصححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي.

سعيد بنُ المسيِّب، ثم الزُّهريُّ، ثم عبيدُالله بن عمر، ثم مالك).

وعن ابن عيينة قال: (مالكٌ عالم أهلِ الحجاز، وهو حُجّةُ زمانِه).

وقال الشافعي: (إذا ذُكر العلماء فمالكٌ النجم)[١].

ولم يكن بالمدينة عالمٌ من بعد التابعين يُشْبِهُ مالكاً في العلم، والفِقه، والجَلالَة، والحفظ. وكان مجلسه مجلس وقارٍ وحلم. وكان مَهيباً نبيلاً، ليس في مجلسه شيءٌ من المِراء، واللغط، ولا رفع صَوْتٍ.

● وقد أورد الإمام الذهبي أقوال العلماء في الثناء على الإمام مالك، ومنها[٢]:

قول الشافعيُّ: (العلمُ يدور على ثلاثة: مالك، والليث، وابن عُيينة).

وروى عن الأوزاعي أنه كان إذا ذَكر مالكاً يقول: (عالم العلماء، ومفتي الحرمين).

وعن بَقيَّةَ أنه قال: (ما بقي على وجه الأرض أعلمُ بسنّة ماضية منك يا مالك).

وقال ابن وهب: (ما نقلنا من أدب مالك أكثر مما تعلمنا من علمه)[٣].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/٥٧.

(٢) المرجع السابق ٨/٩٤.

(٣) المرجع السابق ٨/١١٣.

وقال عبدالله بن المبارك: (ما رأيتُ أحداً ارتفع مثل مالك، ليس له كثير صلاة وصيام، إلا أن تكون له سريرة).

وعقب الإمام الذهبي بقوله: (ما كان عليه من العلم ونشره أفضل من نوافل الصوم والصلاة لمن أراد به الله)(١).

● قال الحافظ ابن عبدالبر: إن عبدالله العُمري العابد كتب إلى مالك يحضُّه على الانفراد والعمل (أي التفرغ للعبادة والبعد عن الناس) فكتب إليه مالك: إن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق، فرُبَّ رجلٍ فُتح له في الصلاة ولم يُفتح له في الصوم، وآخر فُتح له في الصدقة ولم يُفتح له في الصوم، وآخر فُتح له في الجهاد، فنشرُ العلم من أفضل أعمال البر، وقد رضيتُ بما فُتح لي فيه، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خيرٍ وبِر(٢).

● ـ ومن أبرز شيوخ الإمام مالك ربيعة الرأي مفتي المدينة، وقد قال عنه الإمام مالك: (ذهبت حلاوة الفقه منذ مات ربيعة)(٣) توفي سنة ست وثلاثين ومائة بالمدينة، وكان من أئمة الاجتهاد.

قال ابن عيينة: (بكى ربيعة يوماً، فقيل: ما يبكيك؟ قال: رياءٌ حاضر وشهوة خفية)(٤)، وهذا من دقائق محاسبته لنفسه رحمه الله تعالى.

● وقد تحدث الإمام ابن العماد الحنبلي في كتابه (شذرات

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٩٧.
(٢) المرجع السابق ٨/ ١١٤.
(٣) المرجع السابق ٦/ ٩١.
(٤) المرجع السابق ٦/ ٩٠.

الذهب في أخبار من ذهب) عن أحداث سنة تسع وسبعين ومائة، فقال: (وفيها توفي إمام دار الهجرة أبو عبدالله مالك بن أنس، شهير الفضل، وكان طوالاً جسيماً عظيم الهامة، أبيض الرأس واللحية...

وكان مالك عظيم المحبة لرسول الله ﷺ، مبالغاً في تعظيم حديثه، حتى كان لا يركب في المدينة مع ضعفه وكبر سنه، ويقول: لا أركب في بلد فيها جسد رسول الله ﷺ مدفون...

وكان مالك يشهد الصلوات الخمس والجمعة ويصلي على الجنائز ويعود المرضى ويقضي الحقوق...

● وحدّث عتيق بن يعقوب الزبيدي قال: قدِم هارون الرشيد المدينة، وكان قد بلغه أن مالك بن أنس عنده الموطأ يقرؤه على الناس، فوجّه إليه البرمكي فقال: أقرئه السلام، وقل له يحمل إليَّ الكتاب ويقرؤه عليّ، فأتاه البرمكي فقال: أقرئه السلام، وقل له إن العلم يؤتى ولا يأتي)[١].

● وعن عبدالله بن وهب قال: سمعت مالك بن أنس يقول: ليس العلم بكثرة الرواية، وإنما هو نور يضعه الله في القلب، وقد قيل لمالك: ما تقول في طلب العلم؟ قال: حسن جميل، ولكن انظر إلى الذي يَلزُمك من حين تصبح إلى حين تمسي فالزمه[٢].

● وقد أورد الإمام ابن خلكان في كتابه (وفيات الأعيان)[٣] في ترجمة الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى أنه كان إذا أراد أن

(١) شذرات الذهب ١/٢٨٩.
(٢) صفة الصفوة ١/٥٠٤.
(٣) وفيات الأعيان ٤/١٣٥.

يحدِّث بأحاديث النبي ﷺ توضأ وجلس، وسرَّح لحيته، وتمكَّن في جلوسه بوقار وهيبة، ثم حدَّث.

فسُئل عن سبب ذلك، فقال:

(أحب أن أُعَظِّم حديث رسول الله ﷺ، ولا أحدِّث به إلاَّ متمكناً على طهارة).

وكان يكره أن يحدِّث على الطريق أو قائماً أو مستعجلاً، ويقول: (أحب أن أتفهَّم ما أحدّث به عن رسول الله ﷺ).

❁ وفاته:

توفي الإمام مالك رحمه الله تعالى سنة تسع وسبعين ومائة للهجرة، وعمره ست وثمانون سنة، ودفن بالبقيع، بجوار إبراهيم ولد النبي ﷺ.

وقد رثاه أبو محمد جعفر السراج بقوله:

إمامٌ مُوطأه الذي طبقت به
أقاليمُ في الدنيا فِساحٌ وآفاقُ
أقام به شرع النبي محمدٍ
له حذرٌ من أن يُضام وإشفاق
له سَنَدٌ عالٍ صحيح وهيبةٍ
فللكلِّ منه حين يرويه إطراقُ
وأصحابُ صدقٍ كلهم عَلَم فَسَلْ
بهم، إنهم إنْ أنت ساءلتَ حُذَّاق[1]

(١) وفيات الأعيان ١٣٨/٤.

ـ وعن أبي أويس قال: اشتكى مالك بن أنس أياماً يسيرة، فسألت بعض أهلنا عما قال عند الموت، فقال: تشهَّد، ثم قال: لله الأمر من قبل ومن بعد[١].

● ولنختم حديثنا عن هذا الإمام الكبير والعالم الجليل إمام دار الهجرة، بما كان يُعرف عنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ من عدم التسرع في الفتوى.

عن ابن مهدي قال: سأل رجل مالكاً عن مسألة، فقال: لا أُحسنها.

فقال الرجل: إني ضربت إليك من كذا وكذا لأسألك عنها.

فقال له مالك: فإذا رجعتَ إلى مكانك وموضعك فأخبِرهم أني قلت لك: لا أحسنها[٢].

وقد قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ما أفتيتُ حتى شهد لي سبعون أني أهلٌ لذلك)[٣].

فأين الذين يتصدرون اليوم للفتوى ويسارعون لإصدار الأحكام وهم في بداية طلبهم للعلم؟!



(١) صفة الصفوة ٥٠٥/١.

(٢) صفة الصفوة ٥٠٤/١.

(٣) تذكرة الحفاظ ٢٠٨/١.



مالك بن دينار

يكنى أبا يحيى، من ثقات التابعين والعلماء الأبرار[١]، ولد في أيام ابن عباس وسمع من أنس بن مالك، وحدَّث عنه، وتوفي سنة إحدى وثلاثين ومائة بالبصرة.

● ـ دخل عليه لص، فما وجد ما يأخذه، فناداه مالك: (لم تجد شيئاً من الدنيا، فترغبُ في شيء من الآخرة؟

قال: نعم.

قال: توضأ، وصلِّ ركعتين.

ففعل ثم جلس وخرج إلى المسجد.

فسُئل: من هذا؟ قال: جاء ليسرق فسرقناه).

● ـ وقال مالك بن دينار:

خرج أهل الدنيا من الدنيا ولم يذوقوا أطيب شيء فيها، قيل: وما هو؟ قال: معرفة الله تعالى.

---

(١) للمزيد من ترجمته: سير أعلام النبلاء ٥/٣٦٢، العبر ١/٢٣٨، صفة الصفوة ٢/١٩٥، شذرات الذهب ١/١٧٣، طبقات ابن سعد ٧/٢٤٣، وفيات الأعيان ٤/١٣٩.

● ـ وقال: (إن الصدِّيقين إذا قُرئ عليهم القرآن طربتْ قلوبهم إلى الآخرة).

قال جعفر: سمعت مالك بن دينار يقول: (ما تنعَّم المتنعمون بمثل ذكر الله تعالى).

قال: وسمعته يقول: (يا حملة القرآن ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟ فإن القرآن ربيع المؤمن، كما أن الغيث ربيع الأرض، وقد ينزل الغيث من السماء إلى الأرض فيصيب الحش، فيكون فيه الحبَّة فلا يمنعها نتنُ موضعها أن تهتز، وتخضَّر وتحسُن، فيا حملة القرآن ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟ أين أصحاب سورة؟ أين أصحاب سورتين؟ ماذا عملتم فيهما؟)[1].

● وقال مالك بن دينار: (إن البدن إذا سقم لا ينجع فيه طعام ولا شراب ولا نوم ولا راحة، وكذلك القلب إذا علقه حب الدنيا لم ينجع فيه المواعظ).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: (بقدر ما تحزن للدنيا كذلك يخرج همُّ الآخرة من قلبك، وبقدر ما تحزن للآخرة فكذلك يخرج همُّ الدنيا من قلبك).

● وقال الحارث بن سعيد: (كنا عند مالك بن دينار، وعندنا قارئ يقرأ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾ فجعل مالك ينتفض، وأهل المجلس يبكون، حتى انتهى إلى هذه الآية: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾، قال: فجعل مالك يبكي حتى غُشي عليه).

ـ وقال جعفر: سمعت مالكاً يقول: (إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلَّت موعظته عن القلوب كما تزلُّ القطرة عن الصفا).

(١) الزهد للإمام أحمد، ص٤٤٦، وصفة الصفوة ١٩٦/٢.

ـ وقال أيضاً: رأيت مالك بن دينار يتقنّع بكساء، ثم يقول: إلهُ مالك، قد علمتَ ساكن الجنة من ساكن النار، فأيُّ الدارين دارُ مالك؟ وأيُّ الرجلين مالك؟ ثم يبكي.

ـ وقال فضيل بن عياض: رأى مالك بن دينار رجلاً يسيءُ صلاته، فقال: ما أرحمني لعياله. فقيل له: يسيء هذا صلاته وترحم عياله؟ قال: إنه كبيرهم ومنه يتعلمون[١].

ـ أسند مالك بن دينار عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وعن جماعة من كبار التابعين كالحسن، وابن سيرين، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبيدالله.

ـ وكان مالك يكتب المصاحف بالأجرة، وأقام أربعين سنة لا يأكل إلا من عمل يده[٢].



(١) تُنظر هذه الأقوال والروايات في صفة الصفوة، لابن الجوزي، ٢٠٢/٢ ـ ٢٠٤.
(٢) شذرات الذهب ١٧٣/١.

الإمام عبدالله بن المبارك

هو الإمام أبو عبدالرحمٰن عبدالله بن المبارك، ولد سنة ١١٨هـ في مدينة مَرْو بخراسان، وأخذ العلم عن بقايا التابعين، وصنَّف الكتب النافعة الكثيرة، وارتحل إلى الحرمين والشام ومصر والعراق وخراسان معلِّماً ومتعلماً، حتى سُمِّي أمير المؤمنين في الحديث، وقد وصفه الإمام الذهبيُّ بقوله: (الإمام، شيخ الإسلام، عالم زمانه، وأمير الأتقياء في وقته.. الحافظ الغازي)[١].

ـ عن عبدالرحمٰن بن زيد قال: (قال الأوزاعي: رأيتَ ابن المبارك؟ قلت: لا. قال: لو رأيتَهُ لقرَّت عَيْنُك)[٢].

ـ عن نُعيم بن حمَّاد قال: (قيل لعبدالله بن المبارك: إلى متى تطلب العلم؟ فقال: حتى الممات إن شاء الله)[٣].

● ـ ولهذا قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الثناء على ابن المبارك: (لم يكن أحدٌ في زمان ابن المبارك أطْلبَ للعلم منه، رحل

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/٣٧٨.
(٢) المرجع السابق ٨/٣٨٤.
(٣) علو الهمة، ص٢٠٢.

إلى اليمن وإلى مصر وإلى الشام والبصرة والكوفة، وكان من رواة العلم، كتب عن الصغار والكبار وجمع أمراً عظيماً)[١].

● ـ ومن ورعه وعُلوِّ همَّته رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى قوله:

(استعرتُ قلماً بأرض الشام، فذهبتُ على أن أردَّه، فلما قدمت مرو نظرت، فإذا هو معي، فرجعت إلى الشام حتى رَدَدْتُه على صاحبه)[٢].

فتأمَّل هذه الهمَّة العالية والصَّبر والمجاهدة والورع الذي قلَّ نظيره، حتى قطع رَحِمَهُ ٱللَّهُ المسافات الشاسعة عائداً إلى الشام، ليعيد القلم إلى صاحبه.

● ـ وقد أثنى عليه الإمام سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقال:

(إني لأشتهي من عمري كلِّه أن أكون سنة مثلَ ابن المبارك، فما أقدر أن أكون ولا ثلاثة أيام)[٣].

فتأمَّل هذا القول من سفيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو الذي قيل في بيان منزلته: (سفيان في زمانه كأبي بكر وعمر في زمانهما)[٤].

فمن يكون إذاً عبدالله بن المبارك في علمه وفضله وعلوِّ منزلته؟

إنه إحدى القمم السامية في الهمَّة العالية، فقد كان يحجُّ سنة، ويغزو مرابطاً سنة، واجتمعت له السِّيادة في العلم والشَّجاعة في

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/٣٩٧، الرحلة في طلب العلم، للخطيب البغدادي، ص٩١.
(٢) المرجع السابق ٨/٣٩٥.
(٣) المرجع السابق ٨/٣٩٨.
(٤) عجز الثقات، ص٤٥.

القتال، والسَّعة في المال، وكانت تجارته وقوافله تسير من خراسان إلى العراق والشام، وهو ينفق تلك الأموال على طلبة العلم والمحتاجين، وهمته مشغولة بالتعليم[١].

● ـ قال علي بن الحسن بن شقيق:

(قمتُ لأخرج مع ابن المبارك، في ليلةٍ باردة من المسجد، فذاكرني عند الباب بحديث أو ذاكرتُهُ، فما زلنا نتذاكر حتى جاء المؤذن للصبح)[٢].

● ـ وقال سعيد بن رحمة الأصبحي: (كنت أسبق إلى مجلس عبدالله بن المبارك بليلٍ مع أقراني، لا يسبقني أحد، ويجيء هو مع الأشياخ، فقيل له: قد غَلَبنا عليك هؤلاء الصبيان، فقال: هؤلاء أرجى عندي منكم، أنتم كم تعيشون؟ وهؤلاء عسى الله أن يبلغ بهم)[٣].

فانظر إلى اهتمامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالناشئة من طلبة العلم أكثر من كبار السن الذين لا يُرجى لهم العيش سنوات طويلة يتمكنون فيها من تعليم العلم لمن بعدهم.

● ـ ولم تكن مشاركة عبدالله بن المبارك في الجهاد والغزوات تشغله عن العلم والتعليم، فقد روى الإمام الذهبي بسنده عن نُعيم بن حماد قال:

(حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا ابن المبارك، عن خالد الحذَّاء، عن عكرمة، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**البركة مع**

---

(١) ينظر كتاب «عبدالله بن المبارك» للشيخ علي الطنطاوي.

(٢) سير أعلام النبلاء ٨/٤٠٤.

(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ١/٣١٢.

أكابركم»[١]، فقلت للوليد: أين سمعت من ابن المبارك؟ قال: في الغزو)[٢].

● ـ ومن بدائع شعره رَحِمَهُ ٱللَّهُ قصيدته المشهورة التي أرسلها للفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ويقول في مطلعها:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا
لعلمت أنك بالعبادة تلعبُ
من كان يخضب خَدَّه بدموعه
فنحورنا بدمائنا تتخضبُ

فلما قرأها الفضيل بكى، ثم قال: صدق أبو عبدالرحمٰن، ونصح[٣].

● وإذا أردت أن تعرف الباعث لعلوِّ همة ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فتأمل هذه الرواية:

قال نعيم بن حماد: (قال رجلٌ لابن المبارك: قرأتُ البارحة القرآن في ركعة، فقال: لكني أعرف رجلاً لم يزل البارحة يكرِّر: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ١﴾ إلى الصبح ما قدر أن يجاوزها)، يعني: نفسه[٤].

فقد كان في قيام الليل يناجي ربه بخشوع وخشية، ويستحضر ـ جزيل النعم، وهيبة السؤال والحساب يوم القيامة، ولهذا شُغِلَ بتدبُّر سورة التكاثر ليلة كاملة، ولم يقدر أن يتجاوز آخر آية فيها، وهي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ٨﴾.

---

(١) رواه ابن حبان (١٩١٢)، والحاكم (٦٢/١) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) سير أعلام النبلاء ٤١٠/٨.

(٣) سير أعلام النبلاء ٤١٢/٨.

(٤) سير أعلام النبلاء ٣٩٧/٨.

● ـ وقد تحدث الإمام الذهبي عن الإمام ابن المبارك فقال:

(أخذ عن بقايا التابعين، وأكثر من الترحال والتطواف في طلب العلم، وفي الغزو، وفي التجارة، والإنفاق على الإخوان في الله، وتجهيزهم معه إلى الحج)(١).

وقال أيضاً:

(ووقع لي حديثه من غير وجهٍ عالياً، وبالإجازة بيني وبينه ستة أنفُس، والله إني لأحبه في الله، وأرجو الخير بحبه، لما منحه الله من التقوى والعبادة والإخلاص والجهاد وسعة العلم والإتقان والمواساة والفُتوَّة والصفات الحميدة)(٢).

ونقل عن الفضيل بن عياض قوله: (وربِّ هذا البيت ما رأت عيناي مثل ابن المبارك)(٣).

وروى عن محمد بن علي قال: سمعت أبي يقول: كان ابن المبارك إذا كان وقت الحج اجتمع إليه إخوانه من أهل مرو، فيقولون: نصحبك، فيقول: هاتوا نفقاتكم، فيأخذ نفقاتهم، فيجعلها في صندوق، ويُقفل عليها، ثم يكتري لهم، فلا يزال ينفق عليهم، ويطعمهم أطيب الطعام وأطيب الحلوى، ثم يُخرجهم بأحسن زي حتى يصلوا إلى مدينة الرسول ﷺ، فيقول لكل واحد: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من المدينة؟

فيقول: كذا وكذا، ثم يُخرجهم إلى مكة، فإذا قضوا حجهم، قال لكل واحد منهم: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من متاع مكة؟

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣٧٩/٨.
(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي ـ ١/ ٢٧٥.
(٣) المرجع السابق ـ ١/ ٢٧٧.

فيقول: كذا وكذا، فيشتري لهم، ثم يُخرجهم من مكة، فلا يزال ينفق عليهم إلى أن يصيروا إلى مرو، فيجصِّص بيوتهم وأبوابهم، فإذا كان بعد ثلاثة أيام عمل لهم وليمة وكساهم، فإذا أكلوا وسرّوا، دعا بالصندوق ففتحه ودفع إلى كل رجل منهم صرَّته، عليها اسمه(١).

● ـ توفي ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ عام ١٨١هـ وعمره ثلاث وستون سنة، بعد عودته من الغزو، وذلك في وقت السَّحَر في العاشر من شهر رمضان المبارك، في خلافة هارون الرشيد رَحِمَهُ اللَّهُ.



(١) سير أعلام النبلاء ٨/٣٨٥.



الإمام الشافعي

هو الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي(١)، يجتمع نسبه مع النبي ﷺ في عبد مناف، وشافع الذي هو جدٌ للشافعي، لقي النبي ﷺ وهو مترعرع؛ حيث أسلم أبوه (السائب) يوم غزوة بدر.

ولد الشافعي بغزة سنة خمسين ومائة، وانتقل صغيراً إلى مكة، ومات بمصر آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين، وعاش أربعاً وخمسين سنة وقد قال الربيع بن سليمان: ولد الشافعي يوم مات أبو حنيفة (أي في نفس العام ١٥٠هـ).

● ـ قال الشافعيُّ: (كنت يتيماً في حِجْر أمي، ولم يكن معها ما تعطي المعلم، وكان المعلم قد رضي مني أن أخلفهُ إذا قام، فلما ختمت القرآن دخلت المسجد، وكنت أجالس العلماء وأحفظ الحديث، وكان منزلنا بمكة في شِعْب الخيْف)(٢).

وقال أيضاً: (كنت وأنا في الكُتَّاب أسمع المعلم يلقِّن الصبي،

---

(١) ينظر: صفة الصفوة لابن الجوزي ٥٥٠/١، سير أعلام النبلاء للذهبي ١٠/١، البداية والنهاية لابن كثير ٢٧٨/١٣، مناقب الإمام الشافعي، للإمام ابن الأثير الجزري، تحقيق: الدكتور خليل ملا خاطر.

(٢) مناقب الإمام الشافعي، ص٧٧.

فأحفظ ما يقول، ولم يكن عند أمي ما تعطي المعلم، وكنت يتيماً، فكان المعلم يرضى مني بأن أخلفه إذا قام، ولقد كانوا يكتبون، وقبل أن يفرغ المعلم من الإملاء أكون حفظتُ جميع ما كتبتُ)[١].

ـ وقال أيضاً: (حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر سنين)[٢].

ـ وكان الشافعيُّ يطلب اللغة العربية والفصاحة والشعر في صغره، ويخرج إلى البدو لهذا الغَرَض، ثم خَرَج إلى مالك بن أنس بالمدينة، وأخذ عنه وعن فقهاء المدينة ومحدِّثيها، وَرَحَل إلى اليمن، فأخذ عن علمائها، والشام ومصر والعراق.

ـ ولما رحل إلى الإمام مالك ودخل عليه نظر إليه الإمام مالك وسمع كلامه ثم قال له: (يا محمد اتق الله واجتنب المعاصي، فإنه سيكون لك شأن).

ـ كان الشافعيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقسِّم الليل ثلاثة أقسام: ثلثاً للعلم، وثلثاً للصلاة، وثلثاً للنوم.

ـ قال الحميدي: سمعت مسلم بن خالد الزَّنْجي يقول للشافعي: (أفتِ يا أبا عبدالله، فقد آن لك أن تفتي)[٣]، وهو ابن خمس عشرة سنة.

ـ وقال أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ وهو تلميذ الشافعي ـ: (لولا الشافعي ما عرفنا فقه الحديث).

ـ وقال عبدالله بن أحمد بن حنبل: قلت لأبي: أيُّ رجل كان

---

(١) صفحات من صبر العلماء ـ ص/١٧٣ نقلاً عن مناقب الشافعي للبيهقي ـ ١/٩٥.
(٢) مناقب الإمام الشافعي، ص٨٠.
(٣) المرجع السابق، ص١٢٠.

الشافعي فإني أسمعك تكثر له من الدعاء؟ قال لي: (يا بني، كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس، فانظر هل لهذين من خَلَف، أو منهما من عِوَض؟).

ـ وقال إسحاق بن راهويه: (أخذ أحمد بن حنبل بيدي، وقال: تعال حتى أذهبَ بكَ إلى من لم تر عينك مثله، فذهب بي إلى الشافعي).

ـ وقال الربيع بن سليمان: (أقام الشافعي بمصر أربع سنين، فأملى ألفاً وخمسمائة ورقة، وخرَّج كتاب الأم أَلْفَيْ ورقة، وكتاب السُّنن وأشياء كثيرة، كلها في أربع سنين، وكان عليلاً شديد العلة).

❁ نماذج من أقواله:

من أقوال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ليس العلم ما حُفظ، العلم ما نفع واستُعمل).

وقال أيضاً: (من تعلَّم القرآن جلَّ في أعين الناس، ومن تعلَّم الحديث قويت حُجَّتُه، ومن تعلَّم الفقه نَبُل قدره، ومن لم يصُنْ نفسَه لم ينفعه علمُه، وملاكُ ذلك كله التقوى)[1].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إذا رأيتُ رجلاً من أصحاب الحديث فكأني رأيتُ رجلاً من أصحاب النبي ﷺ، جزاهم الله خيراً، هم حفظوا لنا الأصل فلهم علينا الفضل)[2].

---

(١) مناقب الإمام الشافعي، ص١٣٩.
(٢) سير أعلام النبلاء ـ ١٠/ ٥٩.

ـ ومن أواخر وصاياه وأقواله في الأيام الأخيرة من حياته:

(ما ناظرتُ أحداً على الغلبة، ووِدِّي أن جميع الخلق يعلمون كتبي ولا ينسبون إليَّ منها حرفاً)[١]، قال ذلك يوم الأحد، ومات رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوم الخميس.

● ـ ودخل عليه تلميذه المزني، وقد أقعده المرض، فقال له: كيف أصبحت؟ قال: (أصبحت من الدنيا راحلاً، وللإخوان مفارقاً، ولكأس المنيَّةِ شارباً، والله ما أدري روحي تصير إلى الجنة فأهنيها أو إلى النار فأعزيها، ثم بكى وقال:

فلما قسا قلبي وضاقت مذاهبي
جعلتُ الرجا مني لعفوك سُلَّما
تعاظَمني ذنبي فلمَّا قرنتهُ
بعفوك ربي كان عفوُك أعظما
فما زلتَ ذا عفوٍ عن الذنب لم تزل
تجود وتعفو مِنَّةً وتكرُّما
يقول حبيبي أنتَ سؤلي وبُغيتي
كفى بك للراجين سُؤلاً ومَغنما
فيا ليت شعري هل أصير لجنَّةٍ
فأهنأ، وإما للسعير فأندما
فللَّه درُّ العارف الفردِ إنه
تسحُّ لفرطِ الوجدِ أجفانهُ دما
يقيم إذا ما الليلُ جنَّ ظلامُه
على نفسه من شدة الخوف مأتما

(١) ديوان الشافعي، ص٩٥.

ألستَ الذي غذَّيتني وكفلتني
وما زلتَ منّاناً عليَّ ومُنعما
عسى مَنْ له الإحسان يغفر زلّتي
ويستر أوزاري وما قد تقدَّما[١]

✵ وفاته:

توفي الإمام الشافعي بمصر آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين عاش أربعاً وخمسين سنة.

● ـ قال يونس بن عبد الأعلى: ما رأيت أحداً لقيَ من السَّقَم مثل ما لقي الشافعي، دخلت عليه فقال: (اقرأ عليَّ ما بعد العشرين والمائة من آل عمران)[٢]، فقرأت، فلما أردتُ القيام قال رحمه الله: (لا تغفل عني فإني مكروب)، قال يونس: عنيَ بقراءتي ما لقيَ النبي ﷺ وأصحابه[٣].

● ـ وانقضت أيام بعد وفاته، فوقف على الحلقة أعرابي، فقال: (أين قمر هذه الحلقة وشمسها؟ قالوا: توفي رحمه الله ففاضت عيناه بالدمع، فبكى بكاء شديداً ثم قال: رحمه الله وغفر له، فلقد كان يفتح ببيانه مُنْغلِق الحجة... ويوسع بالرأي أبواباً منسدَّة)[٤].

ـ ونختم حديثنا عن هذا الإمام العظيم بذكر نماذج من بعض أشعاره التي حفلَتْ بها كتب العلم والأدب، وما هي إلا فيض من

---

(١) صفة الصفوة ٥٥٦/١، وديوان الشافعي، ص٩٥.

(٢) وهي الآيات التي تتحدث عن غزوة أحد والدروس المستفادة منها، وتأمر المؤمنين بالصبر على ما أصابهم والتمسك بالتقوى، والمسارعة إلى الخيرات.

(٣) سير أعلام النبلاء ٧٥/١٠.

(٤) صفة الصفوة ٥٥٧/١.

مشاعره السامية، وهمته العالية فمن أقواله رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

علـيَّ ثـيـابٌ لـو يُـبـاع جـمـيـعـهـا
بـفَـلـسٍ كـان الـفَـلـسُ مـنـهـنَّ أكـثـرا
وفـيـهـن نـفْـسٌ لـو يُـقـاس بـمـثـلـهـا
نـفـوسُ الـورى كـانـت أجـلَّ وأخـطـرا[1]

- وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عـزيـزُ الـنـفـسِ مَـنْ لـزِم الـقـنـاعـهْ
ولـم يـكـشـف لـمـخـلـوقٍ قِـنـاعـهْ
أفـادتـنـي الـقـنـاعـة كـلَّ عـزٍ
وأيُ غـنًـى أعـزُ مـن الـقـنـاعـهْ
فـصـيِّـرهـا لـنـفـسـك رأسَ مـالٍ
وصـيِّـرهـا مـع الـتـقـوى بـضـاعـهْ[2]

● ومن بدائع شعره في الحثِّ على اغتنام الأوقات في المبادرة للطاعات قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

سـأنـفـق ريـعـان الـشـبـيـبـة كـلـهـا
عـلـى طـلـب الـعـلـيـاء أو طـلـب الأجـر
إذا هَـجَـع الـنُّـوَّام أسـلـبـتُ عَـبـرتـي
وأنـشـدتُ بـيـتـاً وهـو مـن ألـطـف الـشـعـر
ألـيـس مـن الـخـسـران أن لـيـالـيـاً
تـمـرُّ بـلا عـلـمٍ وتُـحـسـب مـن عـمـري[3]!

(١) ديوان الشافعي، ص٦١.

(٢) كشف الخفاء، للإمام العجلوني ١٠٢/٢.

(٣) ديوان الشافعي، ص٦٧.

● وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ:

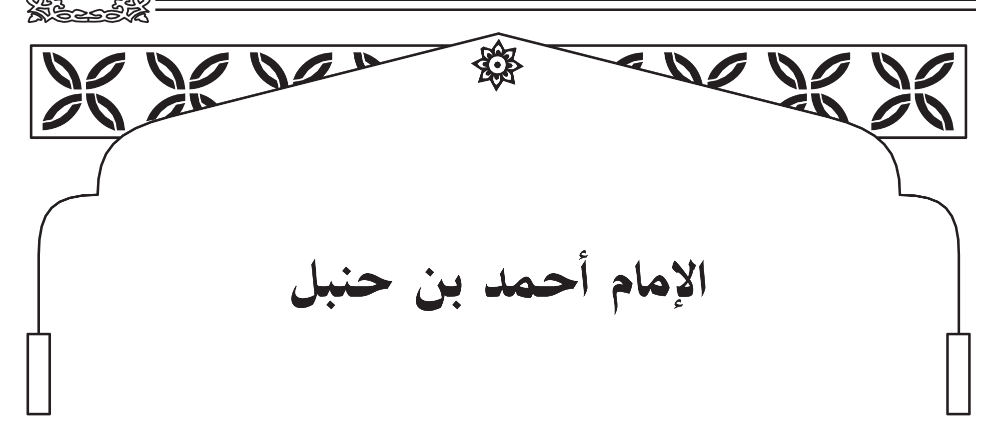
إذا رأيتَ شباب الحي قد نشأوا
لا يحملون قلالَ الحِبر والورقا
ولا تراهم لدى الأشياخ في حلقٍ
يعونَ من صالح الأخبار ما اتَّسقا
فعُدَّ عنهم ودعهم إنهم هَمَجٌ
قد بدّلوا بعلو الهمة الحُمقا[١]

● وتأمل قوله رَحِمَهُ اللَّهُ في تطلعه للقمم العالية بالهمة الكاملة رغم عدم توفر الإمكانات المالية:

ما همَّتي إلا مطالبةُ العُلا
خَلُقَ الزمان وهمَّتي لم تَخلُقِ[٢]
الجِدُّ يدني كل أمرٍ شاسعٍ
والجِدُّ يفتح كلَّ بابٍ مُغلقِ[٣]
وأحقُّ خلقِ اللَّه بالهمِّ امرؤٌ
ذو همَّة يُبلى برزقٍ ضيقِ[٤]

---

(١) ديوان الشافعي، ص٧٩.
(٢) خَلُق: بمعنى بَلي، فالزمان يبلى ولكن همَّته متجدِّدة لا تفتر ولا تبلى.
(٣) الجد: بكسر الجيم، هو السعي والاجتهاد في الأمر.
(٤) ديوان الشافعي، ص٨٣.



الإمام أحمد بن حنبل

هو الإمام أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل، الشيباني، المروزي الأصل، خرجت أمه من مَرْو وهي حامل به، فولدته في بغداد في شهر ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة[١].

ـ كان إمام المحدثين، وقد صنف كتابه (المسند) وجمع فيه من الحديث ما لم يتفق لغيره، وقد أخذ عنه الحديث جماعة من الأئمة، منهم الإمام البخاري والإمام مسلم، كما صنف كتاب (الزهد) وكتاب (فضائل الصحابة).

قال عنه الإمام إبراهيم الحربي: (رأيت أحمد بن حنبل، كأن الله قد جمع له علم الأولين والآخرين من كل صنف، يقول ما شاء ويمسك ما شاء)[٢].

● ـ وقد دُعي إلى القول بخلق القرآن أيام المعتصم فلم يُجب، فضُرب وحُبس هو مُصرٌّ على الامتناع، وبقي محبوساً إلى أن مات المعتصم، فلما وُلِّي الخليفة الواثق منعه من الخروج من داره، إلى أن أخرجه المتوكل وأكرمه ورفع المحنة في خلق القرآن.

---

(١) وفيات الأعيان ٦٤/١.

(٢) صفة الصفوة ٦٠٤/١.

ـ قال الإمام ابن عبدالبر في ثنائه على الإمام أحمد بن حنبل:

(كان إمام الناس في الحديث، وكان ورعاً خيِّراً فاضلاً عابداً، صَليباً في السنة، غليظاً على أهل البدع، وكان أعلم الناس بحديث الرسول ﷺ)[١].

ـ وكان له وَلدان عالمان، وهما صالح وعبدالله، فأما صالح فقد توفي سنة ست وستين ومائتين، وكان قاضي أصبهان فمات بها، وأما عبدالله فإنه بقي إلى سنة تسعين ومائتين، وكنيته أبو عبدالرحمٰن[٢].

وقد تحدث كلٌ عن الهمة العالية لوالدهما الإمام أحمد في طلبه للعلم منذ الصغر وحتى الكِبَر.

قال عبدالله بن أحمد بن حنبل: (سمعت أبي يقول: كنت ربما أردتُ البكور في الحديثُ، فتأخذ أمي بثيابيُ وتقول: حتى يؤذِّن الناس، أو حتى يصبحوا)[٣]، أي: أنه كان يبادر إلى مجلس الحديث قبل أذان الفجر، وقال صالح بن أحمد بن حنبل: (رأى رجل مع أبي مَحبرةُ فقال له: يا أبا عبدالله أنتَ قد بلغتَ هذا المبلغ، وأنت إمام المسلمين!! فقال: مع المحبرة إلى المقبرة)[٤].

فتأمل هذا الحرص على الاستمرار في طلب العلم وحمل المحبرة ليكتب الحديث رغم بلوغه المنزلة الكبيرة في العلم.

---

(١) الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء، لابن عبدالبر الأندلسي، ص١٦٦.

(٢) وفيات الأعيان ٦٥/١.

(٣) مناقب الإمام أحمد، لابن الجوزي، ص٢٦.

(٤) المرجع السابق، ص٣١. وينظر: صفحات من صبر العلماءُ ص١٢٠.

✵ بين الإمامين أحمد بن حنبل والشافعي رحمهما الله تعالى:

كان الإمام أحمد بن حنبل من أصحاب الإمام الشافعي وخواصِّه، ولم يزل مصاحباً له إلى أن ارتحل الشافعي إلى مصر، وقد أثنى عليه قائلاً: (خرجت من بغداد وما خلَّفت بها أتقى ولا أفقه من ابن حنبل)[١].

ومن بدائع أقوال الإمام الشافعي قوله في الثناء على الإمام أحمد بن حنبل:

قالوا: يزورك أحمدٌ وتزورهُ
قلت: الفضائل لا تفارقُ منزلَهْ
إن زارني فبفضله، أو زرتُه
فلفضلهِ، فالفضل في الحالين له[٢]

قال يعقوب بن إسحاق: (كنا نأتي الشافعي فنجد أحمد بن حنبل عنده قد سبقنا إليه، وما زال معنا حتى سمع كتب الشافعي كلها)[٣].

وقال محمد بن الليث الرازي: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما صليتُ صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو فيها للشافعي[٤].

- قال الربيع:

إن الشافعي خرج إلى مصر وأنا معه فقال لي: يا ربيع، خذ

(١) وفيات الأعيان ١/٦٤.
(٢) ديوان الإمام الشافعي، ص١١٧.
(٣) الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء، ص١٢٤.
(٤) المرجع السابق، ص١٢٩.

كتابي هذا وامض به، وسلّمه إلى أبي عبدالله أحمد بن حنبل، وائتني بالجواب. قال الربيع: فدخلت بغداد، ومعي الكتاب، فلقيت أحمد حنبل صلاة الصبح، فصليت معه الفجر. فلما انفتل من المحراب سلمت إليه الكتاب وقلت له: هذا كتاب أخيك الشافعي من مصر، فقال أحمد: نظرتَ فيه؟ قلتُ: لا، فكسر أبو عبدالله الختم، وقرأ الكتاب، فتغرغرت عيناه بالدموع فقلت: إيش فيه يا أبا عبدالله؟! قال: يذكر **أنه رأى النبي ﷺ في النوم** فقال له: اكتب إلى أبي عبدالله أحمد بن حنبل واقرأ عليه مني السلام وقل: إنك ستُمتَحن وتدعى إلى خلق القرآن فلا تجبهم، فسيرفع الله لك علماً إلى يوم القيامة.

قال الربيع: فقلت: البشارةُ فخلع أحمد قميصيه الذي يلي جلده ودفعه إليّ فأخذته، وخرجت إلى مصر، وأخذت جواب الكتاب، فسلمته إلى الشافعي[١].

✵ من أبرز أقواله رَحِمَهُ اللَّهُ:

- قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

سئل الإمام أحمد عن الرجل يكون معه ألف دينار هل يكون زاهداً؟

قال: نعم، بشرط أن لا يفرح إذا زادت ولا يحزن إذا نقصت.

ثم قال ابن القيم: (فالزهد فراغ القلب من الدنيا لا فراغ اليدين منها)[٢].

---

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ٣/٢٥٠.

(٢) عدة الصابرين، ص٢١١.

ـ وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ:

(الزهد على ثلاثة أوجه: الأول: ترك الحرام، وهو زهد العوام، والثاني: ترك الفضول من الحلال، وهو زهد الخواص، والثالث: ترك ما يشغل عن الله، وهو زهد العارفين)[١].

ـ وقال علي بن المديني: لما ودَّعت الإمام أحمد قلت: يا أبا عبدالله توصيني بشيء؟ قال: نعم، ألزِم التقوى قلبك، والزَم الآخرة أمامك[٢].

ـ وعن عبدالله بن أحمد قال: كنت أسمع أبي كثيراً يقول في دُبر الصلاة: اللَّهم كما صُنتَ وجهي عن السجود لغيرك صُنهُ عن المسألة لغيرك[٣].

❁ وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ:

مرض الإمام أحمد بن حنبل تسعة أيام في بداية ربيع الأول سنة **٢٤١هـ** وأقبل الناس لعيادته، ولزموا الباب الليل والنهار يبيتون، فيدخلون أفواجاً يسلّمون عليه فيردُّ عليهم بيده.

وتوفي رَحِمَهُ اللَّهُ يوم الجمعة، واجتمع الناس حتى ملأوا السكك والشوارع وارتجّت الأصوات بخبر موته، وقد استكمل سبعاً وسبعين سنة، ودفن في بغداد.

قال أبو بكر المروزي: رأيت أحمد بن حنبل في النوم، كأنه في

(١) مدارج السالكين ١٢/٢.

(٢) صفة الصفوة ٦٠٦/١.

(٣) صفة الصفوة ٦١٠/١.

روضة، وعليه حلّتان خضراوان، وعلى رأسه تاج من النور، فقلت: ما هذا التاج الذي أراه على رأسك؟

قال: إن ربي ﷻ أوقفني وحباني وقرّبني، وتوجني بهذا التاج وقال لي: يا أحمد هذا تاج الوقار توَّجتك به كما قلتَ: القرآن كلامي غير مخلوق[1].

رحمه الله تعالى وجزاه عن أمة الإسلام خير الجزاء.



(١) صفة الصفوة ٦١٦/١.



الإمام البخاري

هو الإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبة، وهي لفظة بخارية معناها الزرّاع، ولد في شوال سنة أربع وتسعين ومائة في بخارى، يكنّى أبا عبدالله، والمغيرة والد جد البخاري أسلم على يد اليمان الجعفي والي بخارى(١).

وارتحل سنة عشر ومائتين في طلب العلم، وخرج مع أمه وأخيه إلى مكة للحج، وبقي فيها لطلب الحديث.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لقيتُ أكثر من ألف رجل من أهل العلم من أهل الحجاز ومكة والمدينة والكوفة والبصرة وواسط وبغداد والشام ومصر)(٢).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (دخلت بغداد آخر ثماني مرات، في كل ذلك أُجالس أحمد بن حنبل، فقال لي في آخر ما ودعتُه: يا أبا عبدالله، تدعُ العلم والناس، وتصير إلى خراسان؟ قال: فأنا الآن أذكر قوله)(٣).

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات للنووي ١/٦٧، سير أعلام النبلاء للذهبي ١٢/٣٩١، شذرات الذهب لابن العماد ٢/١٣٤.

(٢) صفة الصفوة لابن الجوزي ٢/٣٩٧.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٢/٤٠٣.

وقال أيضاً: (ما جلستُ للحديث حتى عرفتُ الصحيح من السقيم، وحتى نظرتُ في عامة كتب الرأي، وحتى دخلت البصرة خمس مرات أو نحوها، فما تركتُ بها حديثاً صحيحاً إلا كتبتُه، إلا ما لم يظهر لي)[1].

● ـ قال سليم بن مجاهد: كنتُ عند محمد بن سلام، فقال: لو جئتَ قبلُ لرأيتَ صبياً يحفظ سبعين ألف حديث، قال: فخرجتُ في طلبه حتى لحقتُه، فقلت: أنت الذي تحفظ سبعين ألف حديث؟

قال: نعم، وأكثر، ولا أجيئك بحديثٍ من الصحابة والتابعين إلا عرَّفتك مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم، ولستُ أروي حديثاً من حديث الصحابة أو التابعين إلا ولي من ذلك أصلٌ أحفظه حفظاً عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ[2].

● ـ وقال محمد بن إسحاق بن خُزيمة: (ما رأيتُ تحت أديم السماء أعلمَ بحديث رسول الله ﷺ وأحفظَ له من محمد بن إسماعيل)[3].

● ـ وقال محمد بن العباس الفِرَبْري: (أملى البخاري عليَّ حديثاً كثيراً، فخاف مَلالي، فقال: طبْ نفساً، فإن أهل الملاهي في ملاهيهم، وأهل الصناعات في صناعاتهم، والتجار في تجاراتهم، وأنت مع النبي ﷺ وأصحابه)[4].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤١٦/١٢.
(٢) المرجع السابق ٤١٧/١٢.
(٣) المرجع السابق ٤٣١/١٢.
(٤) المرجع السابق ٤٤٥/١٢.

● ـ وكان البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في أول ليلة من رمضان يجتمع إليه أصحابه، فيصلي بهم فيقرأ في كل ركعة عشرين آية، وكان يقرأ في السحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن، فيختم في كل ثلاث ليال، ويقول: عند كل ختمة دعوة مستجابة[١].

● ـ وقد اجتمع طلاب العلم حول الإمام البخاري ينهلون من علمه ويتلقون عنه الحديث وهو شاب في ريعان شبابه.

عن أحمد بن المنهال أن أبا بكر الأعْين قال: كتبنا عن محمد بن إسماعيل ـ يعني البخاري ـ على باب محمد بن يوسف الفريابي، وما في وجهه شعرة، فقلت: ابنُ كم كنتَ؟ قال: ابن سبع عشرة سنة[٢].

قال الإمام الذهبي في ثنائه على الإمام البخاري:

(شيخ الإسلام وإمام الحفاظ.. صاحب الصحيح والتصانيف.. صنَّف وحدَّث وما في وجهه شعرة، وكان رأساً في الذكاء، رأساً في العلم، ورأساً في الورع والعبادة)[٣].

ـ رحل الإمام البخاري في طلب الحديث إلى أكثر محدثي الأمصار، وكتب بخراسان ومدن العراق والحجاز والشام ومصر، وقدم بغداد، واجتمع إليه أهلها واعترفوا بفضله، وشهدوا بتفرده في علم الرواية والدراية[٤].

---

(١) صفة الصفوة ٢/٣٩٨.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي ١/٣٢٦.

(٣) تذكرة الحفاظ ٢/٥٥٥.

(٤) وفيات الأعيان ٤/١٨٩.

❋ مجلس اختبار البخاري:

لما قدم الإمام البخاري بغداد سمع به أصحاب الحديث، فاجتمعوا، وعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها، وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر، ودفعوا إلى عشرة أشخاص كل رجل عشرة أحاديث، وأمروهم إذا حضروا المجلس يُلقون ذلك على البخاري، وأخذوا الموعد للمجلس، فحضر المجلس جماعة من أصحاب الحديث من الغرباء، من أهل خراسان وغيرها، ومن البغداديين.

فلما اطمأن المجلس بأهله قام إليه واحد من العشرة، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث، فقال البخاري: لا أعرفه، فسأله عن آخر، فقال: لا أعرفه، فما زال يلقي عليه واحداً بعد واحد، حتى فرغ من عشرته، والبخاري يقول: لا أعرفه.

فكان الفقهاء من حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض، ويقولون: الرجل فهم. ومن كان منهم ضدُ ذلك يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم. ثم قام رجل آخر من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة، فقال البخاري: لا أعرفه، فسأله عن آخر، فقال: لا أعرفه، فلم يزل يلقي عليه واحداً بعد واحد حتى فرغ من عشرته، والبخاري يقول: لا أعرفه. ثم قام الثالث والرابع إلى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة، والبخاري لا يزيدهم على قوله: لا أعرفه.

فلما علم البخاري أنهم فرغوا التفت إلى الأول منهم فقال: أما حديثك الأول فهو كذا، وحديثك الثاني فهو كذا، والثالث والرابع، حتى أتى على تمام العشرة، فردَّ كل متن إلى إسناده، وكل إسناد إلى متنه.

وفعل ذلك بالآخرين، وردّ متون الأحاديث كلها إلى أسانيدها، وأسانيدها إلى متونها، فأقر له الناس بالحفظ، وأذعنوا له بالفضل[١].

✵ صحيح البخاري:

تحدّث الإمام البخاري عن سبب تصنيفه لهذا الكتاب، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كنت عند إسحاق بن راهويه فقال لنا بعض أصحابنا: لو جمعتم كتاباً مختصراً في الصحيح لسنن رسول الله ﷺ، فوقع ذلك في قلبي، وأخذت في جمع هذا الكتاب... وصنَّفته لست عشرة سنة، خرجته من ستمائة ألف حديث، وجعلته حجة بيني وبين الله.

ورأيت النبي ﷺ في المنام، وكأني واقف بين يديه، وبيدي مروحة أذبُّ عنه، فسألت بعض المعبِّرين، فقال: أنت تذُّب عنه الكذب، فهو الذي حملني على إخراج الصحيح.

قال: وما وضعتُ في كتاب الصحيح حديثاً إلا اغتسلتُ قبل ذلك وصليتُ ركعتين)[٢].

ـ وكان البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ يصنّف كتابه في كل بلدة، وخاصة بخارى ومكة والبصرة، واستمر في تصنيفه ست عشرة سنة، وسماه: (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننهِ وأيامه)[٣].

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (اتفق العلماء على أن أصح الكتب المصنفة

---

(١) وفيات الأعيان ١٨٩/٤.
(٢) تهذيب الأسماء واللغات ٧٤/١.
(٣) المرجع السابق ٧٣/١.

صحيحا البخاري ومسلم، واتفق الجمهور على أن صحيح البخاري أصحهما صحيحاً، وأكثرهما فوائد)[١].

وجملة ما في صحيح البخاري من الأحاديث المسندة سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون حديثاً بالأحاديث المكررة، وبحذف المكررة نحو أربعة آلاف[٢].

● ـ **قال الشيخ أبو الحسن الندوي** رَحِمَهُ اللَّهُ:

(اشتهر بين العلماء أن فقه البخاري في (تراجم صحيحه)، ولتنوع مقاصد الإمام البخاري، وبُعد مراميه، وفرط ذكائه، وحِدَّة ذهنه، وتعمقه في فهم الحديث، وحرصه على الاستفادة والإفادة منه أكبر استفادة ممكنة: أورد الحديث الواحد في مواضع كثيرة في أبواب متنوعةِ العنوان والمعنى والموضوع... وشأن الإمام البخاري مع الحديث النبوي الصحيح: شأن العاشق الصادق، والمحب الوامِق، مع الحبيب الذي أسبغ الله عليه نعمة الجمال والكمال.. فهو لا يكاد يملأ عينيه منه، وهو كلما نظر إليه اكتشف جديداً من آيات جماله.. ولذلك نرى الإمام البخاري لا يكاد يشبع من استخراج المسائل، واستنباط الفوائد، والنزول إلى أعماق الحديث، والتقاط الدرر منه، حتى يذكر حديثاً واحداً أكثر من عشرين مرة.

وقد روى حديث جابر قال: (كنت مع النبي ﷺ في غزوة، فأبطأ بي جملي..) الحديث، أكثر من عشرين مرة.

وسر ذلك أن الإمام البخاري لا يقتصر على ما يتبادر إليه الذهن من الأحكام الفقهية المستخرجة من الأحاديث.. بل يستخرج من

(١) المرجع السابق نفسه.
(٢) تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٧٥.

الأحاديث فوائد علمية وعملية، لا تدخل تحت باب من أبواب الفقه المعروفة، رحمه الله تعالى[1].

● ـ **قال الشيخ علي الطنطاوي في الثناء على الإمام البخاري:**

(لقد بدأ بحفظ الحديث وهو في الكتّاب ابن عشر سنين.. ثم رحل في طلب العلم، وإذا كان الشاب اليوم يرحل بالطائرة أو بالباخرة إلى أوربا، فإن رحلات البخاري لو جُمعت لزادت عن محيط كرة الأرض مرتين، قضى حياته في رحلات دائمة، فلم يدع محدّثاً ولا عالماً إلا أخذ منه ما عنده، حتى بلغ مَن أخذ عنه أربعة آلاف شيخ! وكان يرحل لطلب الحديث الواحد، حتى جمع في هذه الذاكرة العجيبة ما عند المحدثين جميعاً، وكان يعيش للعلم يفكر فيه نهاره كله، ويفكر فيه ليلهُ، يقوم في الليل يشعل السراج ويكتب شيئاً، ثم ينام قليلاً، ثم يخطر له خاطر جديد فيقوم، حتى أنه ليشعل السراج في الليلة الواحدة أكثر من عشرين مرة).

وقد أجمع علماء عصره على أنه الأستاذ الأكبر لعلم الحديث، وكان أساتذته يرجعون إليه، ويعرضون عليه مؤلفاتهم، وقد يفخرون بأنه نظر فيها وصحح لهم أخطاءها...

عرض هذه الأحاديث كلها، ثم اختار منها أصحها وأثبتها، فوضعه في كتابه الذي بدأه في المسجد، وبقي في تأليفه ست عشرة سنة، والذي جمع فيه **٢٧٦١** حديثاً فقط.

هذا هو (صحيح البخاري) الذي اتفق المسلمون على أن كل ما فيه صحيح السند، وأنه خير كتب الحديث...

---

(١) الرسول المعلم وأساليبه في التعليم، للشيخ عبدالفتاح أبو غدة، ص١٠٧، نقلاً عن تقديم الشيخ أبو الحسن الندوي لكتاب (الأبواب والتراجم للبخاري)، للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي.

مات، ولكن لم يمت اسمه، ولم يمت كتابه، وسيظل أبداً باقياً ما بقي على الأرض مسلمون.

جزاه الله عن حديث نبيه أفضل ما يجزي العلماء العاملين[(١)].

✵ وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)]:

قال عبدالواحد بن آدم الطواويسي: رأيت النبي ﷺ في النوم، ومعه جماعة من أصحابه، وهو واقفٌ في موضع، فسلّمت عليه، فرد عليَّ السلام، فقلت: ما وقوفك يا رسول الله؟

قال: أنتظر محمد بن إسماعيل البخاري.

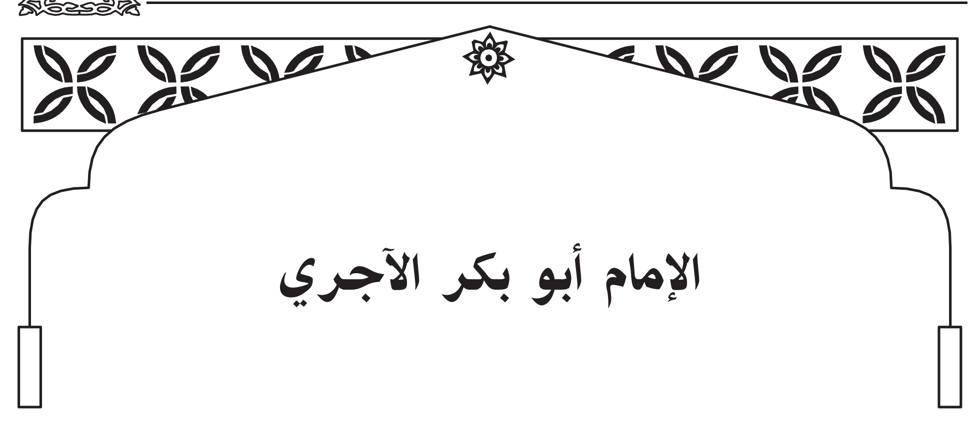
فلما كان بعد أيام بلغني موته، فنظرتُ فإذا قد مات في الساعة التي رأيت النبي ﷺ فيها[(٣)].

وقد توفي رَحِمَهُ اللَّهُ في قرية خزنتك، من قرى سمرقند، ليلة عيد الفطر عند صلاة العشاء، ودفن يوم الفطر سنة ست وخمسين ومائتين، وعاش اثنين وستين سنة.

وكان قد جاء إلى هذه القرية وله فيها أقرباء، فنزل عندهم، فمرض واشتد به المرض فأرادوا أخذه إلى سمرقند، فلما تهيأ للركوب قال: أرسلوني فقد ضعُفتُ، فدعا بدعوات، ثم اضطجع فمات رَحِمَهُ اللَّهُ، وسال منه العرَق، فلما دُفن فاح من قبره رائحة أطيب من المسك، واستمرت أياماً عديدة[(٤)].

---

(١) رجال من التاريخ، علي الطنطاوي، ص١٤٣ ـ ١٤٥.
(٢) سير أعلام النبلاء ٤٦٦/١٢.
(٣) المرجع السابق ٤٦٨/١٢.
(٤) المرجع السابق ٤٦٩/١٢.



الإمام أبو بكر الآجري

هو الإمام المحدث شيخ الحرم الشريف أبو بكر، محمد بن الحسين البغدادي الآجري، ولد سنة ثمانين ومائتين، وتوفي بمكة سنة ستين وثلاثمائة، وكان من أبناء الثمانين[١].

والآجري نسبة إلى قرية آجر من قرى بغداد[٢]، ولد فيها، وانتقل إلى بغداد فحدَّث فيها قبل سنة ثلاثين وثلاثمائة، ثم انتقل إلى مكة.

ومن أبرز مصنفاته:

١ ـ كتاب الشريعة.

٢ ـ أخلاق حملة القرآن.

٣ ـ أخلاق العلماء.

٤ ـ أدب النفوس.

٥ ـ التصديق بالنظر إلى الله تعالى في الآخرة.

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٦/١٣٣.

(٢) وفيات الأعيان ٣/٤١٩.

٦ ـ تحريم النرد والشطرنج والملاهي.

٧ ـ أخبار عمر بن عبدالعزيز.

٨ ـ صفة الغرباء من المؤمنين.

● ـ قال الإمام ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وقد صنّف أبو بكر الآجري ـ وكان من العلماء الربانيين في أوائل المائة الرابعة ـ مصنفاً في أخلاق العلماء وآدابهم، وهو من أجلِّ ما صنف في ذلك، ومن تأمله علم منه طريقة السلف من العلماء، والطرائق التي حدثت بعدهم المخالفة لطريقتهم، فوصف فيه عالم السوء بأوصاف طويلة منها أنه قال: (وقد فتنه حب الثناء والشرف، والمنزلة عند أهل الدنيا، يتجمَّل بالعلم كما يتجمل بالحلة الحسناء للدنيا، ولا يجمِّل علمه بالعمل به)[1].

✵ من بدائع أقواله رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حفلت كتب الإمام أبي بكر الآجري بالحديث عن أمراض النفوس وعلاجها، ومن ذلك قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

● ـ (إن مَن قوَّم نفسه حتى تستقيم فبالحريِّ أن ينفع نفسه وغيرها، ومن غلبتهُ نفسُه فأنفسُ الناس أحرى أن تغلبه، وكيف لا يضعف عن أنفس الناس وقد ضَعُف عن نفسه؟ وكيف يُؤمَّن على كل شيء من الأنفس وهو متّهم على نفسه؟ وكيف يُهتدى بمن أضلَّ نفسه؟ ومن لم يُحسن أن يكون طبيباً لنفسه لم يصلح أن يكون طبيباً

(١) شرح وبيان لحديث: «ما ذئبان جائعان»، لابن رجب، ص٣٥.

لنفس غيره، ومن لم يُحسن أن يؤدب نفسه لم يحسن أن يؤدب غيره)[١].

● ـ كما تحدث الإمام أبو بكر الآجري عن أدب النفوس، فقال:

(اعلم أن النفس مثلها كمثل المُهر الحسن من الخيل، إذا نظر إليه الناظر أعجبه حُسنه وبهاؤه، فيقول أهل البصيرة به: لا ينتفع بهذا حتى يُراض رياضة حسنة، ويؤدَّب أدباً حسناً، فحينئذ يُنتفع به، فيصلح للطلب والهرب، ويحمد راكبه عواقب تأديبه ورياضته.

فإن لم يؤدَّب لم ينتفع بحسنه ولا ببهائه، ولا يحمد راكبه عواقبه عند الحاجة... ثم لا يصلح أن يكون الرائض إلا عالماً بالرياضة، معه صبر على ما معه من علم الرياضة، فإن كان الرائض لا معرفة معه بالرياضة ولا علم بأدب الخيل، أفسد هذا المهر وأتعب نفسه... اعقلوا رحمكم الله عِلم هذا المثل، وتفقهوا به تفلحوا وتنجحوا)[٢].

● ـ وتحدث في كتابه النفيس (أخلاق حملة القرآن) فقال:

(أهل القرآن ينبغي أن تكون أخلاقهم مباينة لأخلاق من سواهم ممن لم يتعلَّم كعلمهم، إذا نزلت بهم الشدائد لجؤُوا إلى الله فيها، ولم يلجؤوا فيها إلى مخلوق، وكان الله سبحانه أسبقَ إلى قلوبهم، وقد تأدبوا بأدب القرآن والسُّنة، فهم أعلام يُقتدى بفعالهم، لأنهم خاصَّة الله وأهله)[٣].

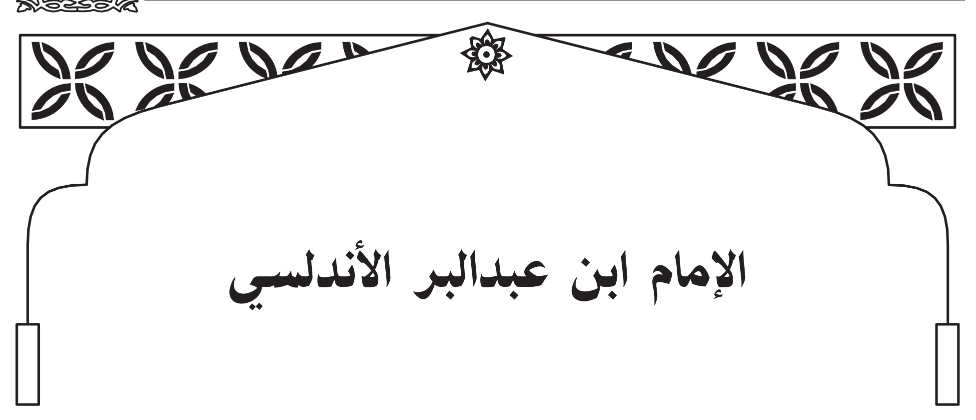
---

(١) أدب النفوس، ص٢٥.
(٢) أدب النفوس، للآجري، ص٢٣.
(٣) أخلاق حملة القرآن، للآجري، ص٥٩.

● ـ وحذّر رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الشدة والقسوة في تعليم القرآن الكريم، فقال: (ينبغي لمن قُرئ عليه القرآن فأخطأ فيه أو غَلِط أن لا يعنِّفه، وأن يرفق به، ولا يجفوَ عليه، ويصبر عليه، فإني لا آمن أن يَجفو عليه فينفِرَ عنه، وبالحريّ أن لا يعود إلى المسجد)[١].



(١) المرجع السابق، ص٧٢.



الإمام ابن عبدالبر الأندلسي

● هو الإمام يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري القرطبي ولد في الخامس من شهر ربيع الآخر سنة **٣٦٨**هـ في قرطبة من أسرة علم، وشب يتيماً، فتحملت والدته العبء الأكبر في تربيته وتعليمه، وتلقى عن أكثر من مائة شيخ.

● لم يكن مثله بالأندلس فقد أخذ عن كبار علماء عصره وامتد عمره قرناً إلا قليلاً، حيث توفي سنة (٤٦٣هـ)، واستكمل خمساً وتسعين سنة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ـ قال عنه الإمام الذهبي: (هو الإمام العلامة حافظ المغرب، شيخ الإسلام.. صاحب التصانيف الفائقة.. طال عمره وعلا سندهُ، وتكاثر عليه الطلبة، وجمع وصنّف.. وسارت بتصانيفه الركبان، وخضع لعلمه علماء الزمان)[١].

● استقر ابنه عبدالله في إشبيلية في عهد المعتضد بن عباد الذي قلّده وزارة التعلم ووزارة السيف فلقِّب بذي الوزارتين، فوشى ابن زيدون به عند المعتضد حتى سُجن، فلما علم ابن عبدالبر بذلك سارع

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٨/١٥٣.

إليه ففك أسره ونصحه أن يترك محافل الأمراء ويتجه إلى العلم النافع، وقال له شعراً:

تجافَ عن الدنيا وهوِّن لغدرها
وَوَفِّ سبيل الدين بالعروة الوثقى
وسارع بتقوى اللَّه سراً وجهرةً
فلا ذمةُ أقوى - هُديتَ - من التقوى
ولا تنس شكر اللَّه في كل نعمةٍ
يمنُ بها فالشكر يستجلب النُعمى
وشُحَّ بأيام بقين قلائل
وعمرٍ قصير لا يدوم ولا يبقى
ألم تر أن العمر يمضي مولياً
فجدَّتهُ تبلى ومدته تفنى(١)

✡ ومن أشهر مصنفاته:

١ - جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله.

٢ - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، وقد أمضى ثلاثين عاماً في تأليفه وكان يعتز به ويقول عنه شعراً:

سميرُ فؤادي في ثلاثين حجة
وصاقل ذهني والمفرج عن همي
بسطتُ لهم فيه كلام نبيهم
لما في معانيه من الفقه والعلم

(١) مقدمة الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، لابن عبدالبر ١/١٩.

وفــيـــه مـــن الآداب مـــا يُـــهـــتـــدى بـــه
إلـى الـبـر والـتـقـوى، ويُـنـأى عـن الـظـلـم[١]

وقد أقبل العلماء ينهلون من معينه واهتموا بدراسته واختصاره وشرحه وقد عرف مؤلفه به فقيل: (صاحب التمهيد)، وقال عنه تلميذه ابن حزم: (لم أر مثله، فكيف بأحسن منه)[٢].

٣ ـ الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه (الموطأ) من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بإيجاز واختصار[٣].

٤ ـ الكافي في فروع المالكية: اقتصر فيه على ما يحتاج إليه المفتي في مذهب مالك مع عرض آراء بعض المذاهب الأخرى.

٥ ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب: استوعب فيه **٤٢٢٥** ترجمة مع الابتداء بسيرة النبي ﷺ.

---

(١) المرجع السابق ١/٥٤.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٨/١٥٨.

(٣) وقد طبع كاملاً في ثلاثين مجلداً بتحقق الدكتور عبدالمعطي أمين قلعه جي وأفاض في مقدمته في الحديث عن المؤلف والكتاب والفرق بين التمهيد والاستذكار.
وما بيَّنه أن المؤلف رتب التمهيد على شيوخ الإمام مالك وفيه الكثير من تراجم شيوخ مالك ورواة الحديث، وأما الاستذكار فقد وضعه ليذكر طلبة العلم بمعاني الحديث والآثار ويركز على شرح الحديث دون تعرض للرجال إلا بإيجاز، وهو يحيل إلى التمهيد في كثير من الأحيان، وبالتالي أصبح التمهيد مرتباً على أسماء الشيوخ لا ترتبط أحاديث الباب فيه بموضوع واحد، وأما الاستذكار فهو مرتب حسب الموضوعات، والمسائل الفقهية فيه مترابطة.
وأحاديث (الموطأ) للإمام مالك لا تصل إلى ألفي حديث، وأما (الاستذكار) فقد استوعب فيه ما يزيد على ستين ألف حديث اقتصر في إيرادها على ما يصح.

٦ ـ الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء: مالك وأبي حنيفة والشافعي رحمهم الله تعالى.

٧ ـ الدرر في اختصار المغازي والسير[١].

٨ ـ بهجة المجالس وأُنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، اعتمد في مادته على كتب ابن قتيبة والجاحظ ودواوين الشعراء وتاريخ الطبري، وقسمه إلى مائة واثنين وثلاثين باباً.

وقد قال في مقدمته رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وقد جمعتُ في كتابي هذا من الأمثال السائرة، والأبيات النادرة، والحكم البالغة.. ما انتهى إليه حفظي ورعايتي، وضمته روايتي وعنايتي، ليكون لمن حفظه ورعاه، وأتقنه وأحصاه، زيناً في مَجالسه، وأُنساً لمُجالسه، وشحذاً لذهنه وهاجسه)[٢].

قال الحافظ الذهبي عن مصنفات ابن عبدالبر: (ومن نظر في مصنفاته بان له منزلته من سعة العلم وقوة الفهم وسيلان الذهن)[٣].



(١) طبع بتحقيق الدكتور شوقي ضيف.
(٢) بهجة المجالس ١/٣٥.
(٣) سير أعلام النبلاء ١٨/١٥٧.



الإمام الشاطبي

ـ هو الإمام القاسم بن فِيْرُه بن خلف الرُعيني الأندلسي الشاطبي ناظم (الشاطبية)، ولد سنة ثمان وثلاثين وخمس مائة.

ـ وصفه الإمام الذهبي بقوله: (الشيخ الإمام، العالم العامل القدوة، سيد القراء.. كان يتوقد ذكاء، له الباع الأطول في فن القراءات والنحو والفقه والحديث، وله النظم الرائق، مع الورع والتقوى والوقار)[١].

ـ استوطن مصر وشاع ذكره، وانتهت إليه رياسة الإقراء، وتوفي بمصر في الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة تسعين وخمس مائة.

ـ كان عالماً بكتاب الله تعالى قراءة وتفسيراً، وبحديث رسول الله ﷺ مبرزاً فيه.

ـ وكان إذا قرئ عليه (الموطأ) و(الصحيحان) يُصحِّح النسخ من حفظه، ويُملي النكت على المواضع المحتاج إليها[٢].

(١) سير أعلام النبلاء ٢١/٢٦١.

(٢) وفيات الأعيان ٤/٧١.

● ـ قال عنه الإمام تاج الدين السبكي: (كان الشاطبي إمام القراءات في عصره حرَّر رواياتها، ورفع على هام الجوزاء راياتها، انتهت إليه الرئاسة في إقراء القراءات ومعرفة وجوهها وتقرير علومها، مع المعرفة التامة بالحديث والنحو واللغة وغير ذلك، مما انفرد به، واعترف له به أهل عصره ومن بعدهم)[١].

ـ وقال عنه الإمام ابن الجزري: (هو ولي الله العلامة، أحد الأعلام الكبار المشهورين في الأقطار)[٢].

وقال عنه الإمام ابن الجزري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(هو ولي الله الإمام العلامة، أحد الأعلام الكبار والمشتهرين في الأقطار.. وكان إماماً كبيراً أعجوبة في الذكاء، كثير الفنون، آية من آيات الله تعالى، غاية في القراءات، حافظاً للحديث، بصيراً بالعربية، إماماً في اللغة، رأساً في الأدب، مع الزهد والولاية والعبادة)[٣].

● ـ وقال ابن خلكان:

(الإمام الشاطبي صاحب القصيدة التي سماها «حرز الأماني ووجه التهاني» في القراءات، وعدتها ألف ومائة وثلاثة وسبعون بيتاً، ولقد أبدع فيها كل الإبداع، وهي عمدة قراء هذا الزمان في نقلهم، فقلَّ من يشتغل بالقراءات إلا ويقدِّم حفظها ومعرفتها، وهي مشتملة على رموز عجيبة، وإشارات خفية لطيفة، وما أظنه سُبق إلى أسلوبها، وقد روى عنه أنه كان يقول: لا يقرأ أحد قصيدتي هذه إلا

---

(١) مختصر الفتح المواهبي في مناقب الإمام الشاطبي، للقسطلاني، ص٤٣.
(٢) المرجع السابق، ص٤٤.
(٣) غاية النهاية في طبقات القراء ٢/٢٠.

وينفعه الله ﷻ بها، لأني نظمتها لله تعالى مخلصاً في ذلك.

ونظم قصيدة دالية في خمسمائة بيت، مَن حفظها أحاط علماً بكتاب «التمهيد» لابن عبدالبر)[١].

● ـ وقد افتتح منظومة حرز الأماني بقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بـدأت بـبـسـم الـلَّـه فـي الـنـظـم أولاً
تـبـارك رحـمـانـاً رحـيـمـاً ومـوئِـلا
وثـنـيـتُ: صـلـى الـلَّـه ربـي عـلـى الـرضـى
مـحـمـدٍ الـمُـهـدى إلـى الـنـاس مُـرسَـلا
وعـتـرتـه ثـم الـصـحـابـة ثـم مَـنْ
تـلاهـم عـلـى الإحـسـان بـالـخـيـر وُبَّـلا[٢]
وثـلـثـتُ: أن الـحـمـد لـلَّـه دائـمـاً
ومـا لـيـس مـبـدوءاً بـه أجـذم الـعُـلا[٣]

ـ ثم يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وإن كـتـاب الـلَّـه أوثـقُ شـافـع
وأغـنـى غـنـاءٍ واهـبـاً مُـتـفـضِّـلاً
وخـيـرُ جـلـيـسٍ لا يُـمـلُّ حـديـثُـه
وتَـردادهُ يـزداد فـيـه تَـجـمُّـلاً

---

(١) وفيات الأعيان ٤/٧١.

(٢) عِترة النبي ﷺ أهله وعشيرته الأقربون.

والوبل: جمع وابل، وهو المطر الغزير، فهؤلاء يشبهون المطر الغزير في كثرة خيرهم وعموم نفعهم. (الوافي شرح الشاطبية، عبدالفتاح القاضي، ص٩).

(٣) أجذم: أي ناقص. والمعنى أن كل أمر لا يبدأ بحمد الله فهو ناقص الخير والبركة. (الوافي، ص٩).

وحـيـث الـفـتـى يـرتـاع فـي ظـلـمـاتـه
مـن الـقـبـرِ يـلـقـاهُ سَـنـاً مـتـهـلِّـلاً

- ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ختام قصيدته:

وقـد وفَّـق الـلَّـه الـكـريـم بـمـنِّـه
لإكـمـالـهـا حـسـنـاءَ مـيـمـونـةَ الـجِـلا[1]
وأبـيـاتـهـا ألـفٌ تـزيـد ثـلاثـة
ومـع مـائـةٍ وسـبـعـيـن زُهـراً وكُـمَّـلا

- ويدعو في ختامها قائلاً:

فـيـا خـيـرَ غـفَّـار ويـا خـيـر راحـم
ويـا خـيـرَ مـأمـولٍ جَـداً وتـفـضُّـلاً
أقِـلْ عـثـرتـي وانـفـع بـهـا وبـقـصـدِهـا
حـنـانـيـك يـا الـلَّـه يـا رافـعَ الـعُـلـى
وآخـر دعـوانـا بـتـوفـيـق ربـنـا
أن الـحـمـد لـلَّـه الـذي وحـده عَـلاَ[2]

وقد ابتدأ الإمام الشاطبي تأليف هذه القصيدة بالأندلس، وأكملها بالمدرسة الفاضلية بالقاهرة[3].

---

(١) ميمونة الجلا: ميمونة: من اليُمن وهو البركة، والجلاء بكسر الجيم: البروز والمعنى أن الله سبحانه وفّق لإتمامها حسنةَ اللفظ مباركة البروز ميمونة الطلعة. (الوافي، ص٣٢١).
(٢) منظومة حرز الأماني، تحقيق: د.أيمن سويد، ص١١٧.
(٣) مختصر الفتح المواهبي، ص٥٧.

ـ قال الإمام ابن الجزري في حديثه عن القصيدة الشاطبية:

(لقد رُزق هذا الكتاب من الشهرة والقبول ما لا أعلمه لكتاب غيره في هذا الفن، بل أكاد أقول: ولا في غير هذا الفن، فإني لا أحسب أن بلداً من بلاد الإسلام تخلو منه)[١].

● ـ ولما فتح السلطان صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس توجَّه الإمام الشاطبي لزيارته سنة تسع وثمانين وخمسمائة، وصام به رمضان[٢]، وقد توفي صلاح الدين سنة **٥٨٩**هـ قبل وفاة الشاطبي بعام واحد.

● ـ قال ابن خلكان في حديثه عن الإمام الشاطبي:

(كان يجتنب فضول الكلام، ولا ينطق في سائر أوقاته إلا بما تدعو إليه ضرورة، ولا يجلس للإقراء إلا على طهارة في هيئة حسنة وتخشُّع واستكانة، وكان يعتلُّ العلّة الشديدة فلا يشتكي ولا يتأوه، وإذا سُئل عن حاله قال: العافية، لا يزيد عن ذلك)[٣].

ـ وقال عنه الإمام النووي:

(لم يكن بمصر في زمانه نظيره في تعدد فنونه)[٤].

ـ وقال الإمام الصفدي:

(كان إماماً علامة نبيلاً، محققاً ذكياً، حافظاً للحديث، كثير

---

(١) غاية النهاية، ٢/ ٢٢.
(٢) مختصر الفتح المواهبي في مناقب الإمام الشاطبي، للقسطلاني، ص٣٩.
(٣) وفيات الأعيان ٤/ ٧٢.
(٤) مختصر الفتح المواهبي، ص٤٥.

العناية به، عالماً بالقرآن قراءة وتفسيراً، وبالحديث مبرِّزاً فيه، حسن المقاصد، مخلصاً فيما يقول ويفعل)[١].

ـ قال الشيخ الدكتور أيمن رشدي سويد:

(إمامنا الشاطبي أعجوبة الأعصار وشيخ القراء في كل الأمصار، سبحان الفتاح العليم الذي اختصه بهذا العطاء الرباني، عطاءٌ قلَّ أن يُرى أو يُسمع بمثله، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله واسع عليم)[٢].

ـ ومن مؤلفات الإمام الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١ ـ منظومة (حرز الأماني ووجه التهاني) في القراءات السبع، المشهورة بالشاطبية.

٢ ـ منظومة (عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد) في علم رسم المصاحف الشاملة لنفائس الفرائد، في أسلوب مبدع.

٣ ـ قصيدته الدالية في خمسمائة بيت، من حفظها أحاط علماً بكتاب «التمهيد» لابن عبدالبر، وهذه القصيدة مفقودة لم تنشر[٣].

● **ـ ومن طرائف شعره** رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما أورده الإمام القسطلاني أن الإمام الشاطبي لما عمي أنشد قائلاً:

وقـــالـــوا قـــد عـــمـــيـــتَ فـــقـــلـــت كـــلا
وإنـــــي الـــــيـــــوم أبـــــصـــــر مـــــن بـــــصـــــيـــــر

---

(١) المرجع السابق، ص٤٧.

(٢) من تقديم الدكتور أيمن سويد لمنظومة حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع للإمام الشاطبي.

(٣) الإمام الشاطبي سيد القراء، إبراهيم الجرمي، ص٨٨.

سـوادُ الـعـيـن زاد سـواد قـلـبـي
لـيـجـتـمـعـا عـلـى فـهـم الأمـور[١]

وقد ذكر المؤرخون عنه أنه كان يجلس إليه مَن لا يعرفه فلا يرتاب به أنه يبصر لذكائه، ولا يظهر منه ما يدل على العمى.

● ـ وقد ذكر الإمام المقّري أن الأمير عز الدين موسك بعث إلى الشيخ الشاطبي يدعوه إلى الحضور عنده، فأمر الشيخ بعض أصحابه أن يكتب إليه:

قـلْ لـلأمـيـر مـقـالـةً
مـن نـاصـحٍ فَـطِـنٍ نـبـيـهْ
إن الـفـقـيـه إذا أتـى
أبـوابـكـم لا خـيـرَ فـيـهْ[٢]

● ـ توفي الإمام الشاطبي سنة تسعين وخمسمائة وعمره ٥٢ سنة، وقد رثاه الشيخ أبو إسحاق الجعبري فقال:

سـقـت سـحـب الـرضـوان طـلّاً ووابـلا
ثـرًى ضـمّ شـخـص الـشـاطـبـي الـمـسـدَّدِ
إمـامٍ فـريـدٍ بـارعٍ مـتـورعٍ
صـبـورٍ طـهـور ذي عـفـاف مـؤيَّـدِ
زكـا عـلـمُـه فـاخـتـاره الـنـاس قـدوة
فـكـم عـالـم فـي دُرِّه مـتـقـلِّـدِ[٣]

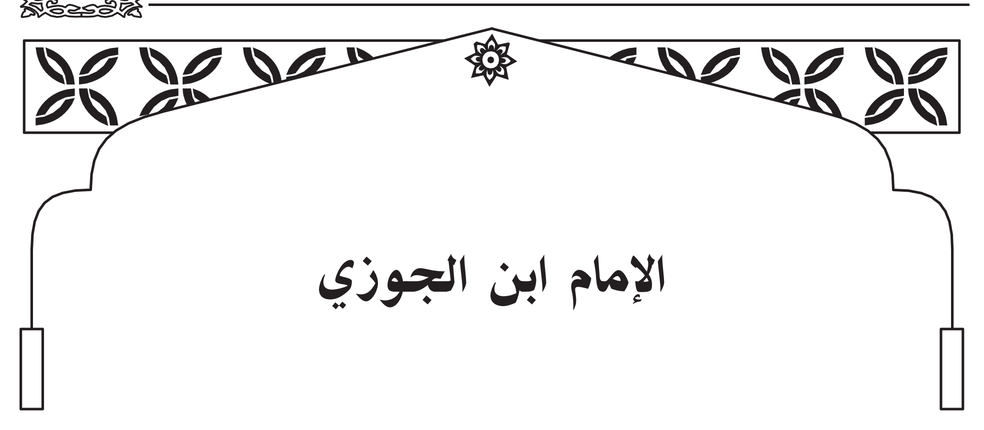
(١) مختصر الفتح المواهبي، ص٥٢.
(٢) المرجع السابق، ص١٠٦.
(٣) المرجع السابق، ص١٠٢.

● ويطلق اسم الإمام الشاطبي أيضاً على الإمام إبراهيم بن موسى أبو إسحاق[١] المتوفى سنة **٧٩٠**هـ الأصولي النحوي صاحب كتاب (الموافقات) و(الاعتصام) رحمه الله تعالى.



---

(١) الأعلام ٧٥/١.



الإمام ابن الجوزي

ـ الإمام أبو الفرج عبدالرحمٰن بن علي، سُمي بابن الجوزي نسبة إلى جده الأكبر، وينتهي نسبه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

ـ ولد في بغداد سنة **٥١٠**هـ وعاش يتيماً، وتوفي سنة **٥٩٧**هـ، وكان رحمه الله بارعاً في كثير من العلوم، مشتهراً بمجالس الوعظ والتذكير، حُبِّب إليه العلم منذ الصغر.

● ـ قال عنه الإمام الذهبي رحمه الله:

(كان رأساً في التذكير بلا مُدَافعة، يقول النَّظم الرائق، والشعر الفائق بديهاً، ويُسهب ويُعجب، ويُطرب، ويُطنب، لم يأت قبله ولا بعده مثله، فهو حامل لواء الوعظ والقيِّم بفنونه، مع الشكل الحسن والصوت الطيِّب، والوقع في النفوس وحسن السيرة، كان بحراً في التفسير، علاَّمة في السِّير والتاريخ، موصوفاً بحسن الحديث ومعرفة فنونه، فقيهاً.. ذا تفنُّن وفهم وذكاء)[١].

● ـ وقال عنه الإمام الذهبي رحمه الله أيضاً:

(كان ذا حظ عظيم، وصيتٍ بعيد في الوعظ، يحضر مجالسه

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢١/٣٦٧.

الملوك والوزراء وبعض الخلفاء والأئمة الكبار، لا يكاد المجلس ينقص عن ألوف كثيرة)[١].

ـ كتب الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بخط يده آلاف الصفحات، ووضع من الكتب ما يزيد عن ثلاثمائة كتاب كتبها كلها بخط يده، وتاب على يده مائة ألف، وأسلم على يده ألف يهودي ونصراني[٢].

ـ قال يوماً في وعظه: (يا أمير المؤمنين، إن تكلمتُ خفتُ منك، وإن سكتُّ خفتُ عليك، وأنا أقدّم خوفي عليك على خوفي منك، فقول الناصح: اتق الله، خير من قول القائل: أنتم أهل بيتٍ مغفور لكم)[٣].

● ـ ومن شعر الإمام ابن الجوزي قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اللَّـهَ أسأل أن يطوِّل مُدتي
وأنال بالإنعام ما في نيّتي
لي همةٌ في العلم ما مِن مثلِها
وهي التي جَنَت النُّحول هي التي
كم كان لي من مجلسٍ لو شُبِّهت
حالاتُه لتشبَّهت بالجنة[٤]

وكان يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ينبغي لذي الهمة أن يترقى إلى الفضائل، فيتشاغل بحفظ القرآن وتفسيره، وبحديث رسول الله ﷺ، وبمعرفة

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢١/٣٧٠.
(٢) ينظر: تقديم الأستاذ مروان العطية لكتاب (الحث على حفظ العلم) لابن الجوزي، ص١٥.
(٣) سير أعلام النبلاء ٢١/٣٧٢.
(٤) علو الهمة، ص٢٠٣.

سيَرِه وسير أصحابه والعلماء بعدهم، ليتخيَّرَ مرتبة الأعلى فالأعلى. . وما تقف همة إلا لخساستها، وإلا فمتى عَلَتِ الهمة لم تقنع بدون، وقد عرفتُ بالدليل أن الهمم في بعض الأوقات، فإذا حُثَّتْ سارت)[١].

ومن بدائع كتبه كتاب (**صيد الخاطر**) الذي سطَّر فيه كثيراً من آماله وحديثه مع نفسه، ودعوته إلى علو الهمة والتطلع لمعالي الأمور، وفيه يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(لقد كنت في حلاوة طلبي العلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل لأجل ما أطلب وأرجو.

كنت في زمان الصِّبا آخذ معي أرغفة يابسة فأخرج في طلب الحديث، وأقعد على النهر، فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء، فكلَّما أكلت لقمة شربت عليها، وعين همَّتي لا ترى إلا لذة العلم)[٢].

ثم يقول: (نظرت إلى علوِّ همتي فرأيتُها عَجَباً، وذلك أنني أروم من العلم ما أتيقَّن أني لا أصل إليه، لأنني أحب نَيْل كلِّ العلوم على اختلاف فنونها)[٣].

ويقول: (للَّهِ أقوام ما رضوا من الفضائل إلا بتحصيل جميعها، فهم يبالغون في كل علم، ويثابرون على كل فضيلة، فإذا ضعفت أبدانهم عن بعض ذلك قامت النيَّات نائبة، وهم لها سابقون)[٤].

---

(١) لفتة الكبد في نصيحة الولد، لابن الجوزي، ص٤٧.
(٢) صيد الخاطر، ص٢١٦.
(٣) المرجع السابق، ص٢١٩.
(٤) المرجع السابق، ص٢٤٥.

ويقول أيضاً: (دعوتُ يوماً فقلت: اللَّهم بلّغني آمالي من العلم والعمل، وأطل عمري لأبلغ ما أحبُّ من ذلك.. فيا ليتني قدرت على عمر نوح، فإن العلم كثير، وكلّما حصل منه حاصل رفع ونفع)(١).

ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (من أعملَ فكرهُ الصافي دلَّهُ على طلب أشرف المقامات، ونهاه عن الرضا بالنقص في كل حال، وقد قال المتنبي:

ولم أرَ في عيوب الناس عيباً
كنقص القادرين على التمام

فينبغي للعاقل أن ينتهي إلى غاية ما يمكنه، فلو كان يتصور للآدمي صعود السماوات لرأيت من أقبح النقائص رضاه بالأرض!!

وفي الجملة: لا يترك فضيلة يمكن تحصيلها إلاَّ حصلها، فإن القنوع حالة الأرذال، وما قعد من قعد إلاَّ لدناءة الهمّة وخساستها، واعلم أنك في ميدان سباق والأوقات تُنتهب، فلا تخلد إلى الكَسَل، فما فات ما فات إلاَّ بالكسل، ولا نال من نال إلاَّ بالجدِّ والعزم، وإن الهمَّة لتغلي في القلوب غليان ما في القدور)(٢).

ويتحدَّث عن خسيس الهمَّة فيقول: (فذاك لا يُؤْلمه فقدُ شيء، ويرى ما وجد هو الغاية، فهو يفرح فَرَحَ الأطفال بالزخارف)(٣).

---

(١) صيد الخاطر ص١٠٦.
(٢) المرجع السابق، ص١٥١ ـ ١٥٣ بتصرف.
(٣) المرجع السابق، ص١٧٤.

ويحدِّثنا عن نفسه قائلاً: (خُلِقَت لي همَّة عالية تطلب الغايات، بلغتُ السنَّ وما بلغتُ ما أمَّلت، فأخذتُ أسأل تطويل العمر، وتقوية البدن، وبلوغ الآمال، فأنكرتْ عليَّ العادات، وقالت: ما جرت العادة بما تطلب.

فقلت: إنما أطلب مِن قادرٍ على تجاوز العادات.. وإن لم يتفق ذلك فسيدي أعلم بالمصالح، فإنه لا يمنع بخلاً، ولا حَوْل ولا قوَّة إلاَّ به)[١].

● ـ ويصف لنا همم القدماء السابقين، فيقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(كانت همم القدماء من العلماء عليّة، تدل عليها تصانيفهم التي هي زبدة أعمارهم، إلاَّ أن أكثر تصانيفهم دُثرت، لأن همم الطلاب ضعفت، فصاروا يطلبون المختصرات، ولا ينشطون للمطوَّلات، ثم اقتصروا على ما يدرسون به من بعضها، فدثرت الكتب ولم تُنسخ)[٢].

ويقول في مقدمة كتابه «الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ»: (لما رأيت الكسل مستولياً على المتشاغلين بالعلم، وضعت هذا الكتاب محرِّضاً لهم على الاجتهاد)[٣].

● ـ ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ متحدثاً عن تفسيره للقرآن الكريم:

(في يوم السبت سابع عشر جمادى الأولى سنة ٥٧٠هـ انتهى تفسيري للقرآن في المجلس على المنبر، فإني كنت أذكر في كل مجلس منه آيات من أول الختمة على الترتيب إلى أن تمَّ فسجدت

---

(١) صيد الخاطر، للإمام ابن الجوزي، ص٢٢٩.
(٢) المرجع السابق ص٣٨٧.
(٣) الحث على حفظ العلم، ص٣٦.

على المنبر سجدة الشكر، وقلت: ما عرفتُ أن واعظاً فسَّر القرآن كله في مجلس الوعظ منذ نزل القرآن، فالحمد لله المنعم)[(١)].

● ـ ويخاطب نفسه قائلاً:

(لقد كنت أخاف على نفسي من العُجب، غير أنه ﷻ صانني وعلّمني.. ولقد تاب على يدي في مجلس الذكر أكثر من مائتي ألف، وأسلم على يدي أكثر من مائتي نفس، وكم سالت عين متجبّر بوعظي لم تكن تسيل.

ويحقُ لمن تلمَّح هذا الإنعام أن يرجو التمام، وربما لاحت أسباب الخوف بنظري إلى تقصيري وزللي.

ولقد جلستُ يوماً فرأيت حولي أكثر من عشرة آلاف ما فيهم إلا من قد رقَّ قلبه أو دمعت عيناه، فقلت لنفسي: كيف بك إن نجوا وهلكت؟

فصحتُ بلسان وجدي: إلٰهي وسيدي إن قضيتَ عليَّ بالعذاب غداً فلا تُعلِمهم بعذابي صيانة لكرمك لا لأجلي، لئلا يقولوا عذّب من دلَّ عليه)[(٢)].

فتأمل كيف يحاسب علماء الأمة وأعلامها نفوسهم ويلزموها بالخشية والتواضع.

● ـ وقد نالته محنة في أواخر عمره، ووَشَوْا به إلى الخليفة الناصر فخُتم على داره وأُقعد في سفينة فحُبس بها، فبقي على ذلك

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لابن الجوزي ٢١٣/١٨.

(٢) صيد الخاطر، ص٢١٦.

خمس سنين قرأ فيها القراءات العشر على ابن الباقلاني، وسنُّ الشيخ نحو الثمانين[١]، فانظر إلى هذه الهمة العالية.

ولهذا أورده الإمام ابن الجزري في كتابه (غاية النهاية في طبقات القراء) ووصفه بقوله: (شيخ العراق وإمام الآفاق)[٢].

✵ وفاته:

- توفي ليلة الجمعة الثالث عشر من رمضان سنة **٥٩٧**هـ وعمره نحو التسعين وصلّى عليه ابنه أبو القاسم، وغُلِّقت الأسواق، وكان يوماً مشهوداً[٣].

✵ مؤلفاته:

- له أكثر من مائتي مصنف، ومن أبرزها:
- زاد المسير في علم التفسير **٩** مجلدات.
- فنون الأفنان في عيون علوم القرآن.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم.
- صيد الخاطر.
- تلبيس إبليس.
- الحث على حفظ العلم.
- لفتة الكبد في نصيحة الولد.

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ١٣٤٦/٤.
(٢) غاية النهاية ٣٧٥/١.
(٣) تذكرة الحفاظ ١٣٤٧/٤.

ـ الثبات عند الممات.

ـ مناقب الإمام الشافعي.

ـ مناقب الإمام أحمد بن حنبل.

ـ العلل المتناهية في الأحاديث الواهية.

ـ فضائل عمر بن الخطاب.

ـ فضائل عمر بن عبدالعزيز.

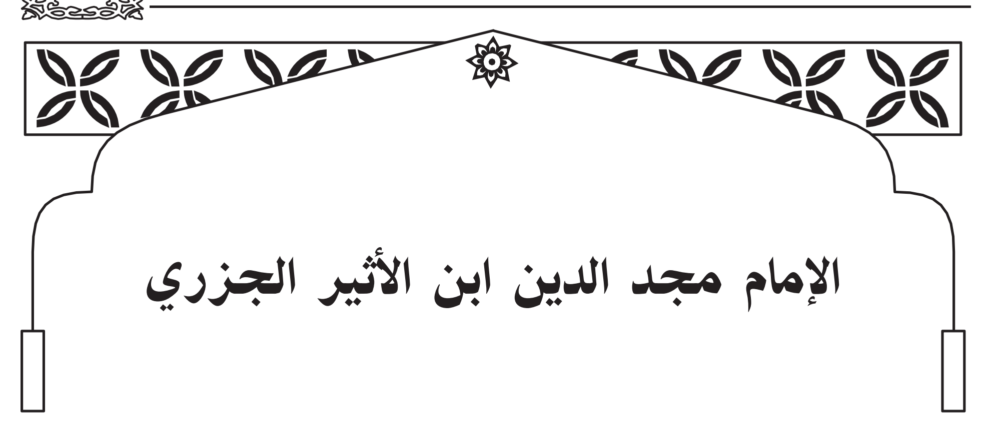
ـ فضائل سعيد بن المسيب.

ـ فضائل الحسن البصري.

ـ وكتاب (صفة الصفوة) مختصر لكتاب (حلية الأولياء) لأبي نعيم الأصفهاني وقد رتبه الإمام ابن الجوزي على البلدان، وبدأ فيه بعد ترجمة سيدنا رسول الله ﷺ بالمدينة، لأنها دار الهجرة، ثم ثنَّى بمكة المكرمة، ثم ذكر الطائف لقربها من مكة، ثم بغداد، ثم بلاد المشرق، ثم بلاد المغرب[1].



(١) من تعليق الشيخ عبدالفتاح أبو غدة رحمه الله في حاشية كتاب (الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الخلفاء)، لابن عبدالبر، ص٣٦.



الإمام مجد الدين ابن الأثير الجزري

هو الإمام أبو السعادات مجد الدين محمد بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري[١].

صاحب الكتاب المشهور: «جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ»، وكتاب: «النهاية في غريب الحديث»، وكتاب: «الشافي في شرح مسند الشافعي»، وكتب أخرى عديدة حافلة بالعلم النافع، ولا يستغني عنها طالب علم.

وُلِد رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٥٤٤هـ) قرب الموصل، وتوفي سنة (٦٠٦هـ).

● ـ وقد حُبِّب إليه طلب العلم من صغره، كما بيَّن ذلك في مقدمة كتابه: «جامع الأصول» بقوله:

(ما زلتُ في ريعان شبابي وحداثة سنِّي مشغوفاً بطلب العلم، ومجالسة أهله والتشبُّه بهم حسب الإمكان، وذلك من فضل الله عليَّ ولطفه بي أن حبَّبه إليَّ، فبذلتُ الوسع في تحصيل ما وُفِّقْتُ له من أنواعه، حتى صار فيَّ قوَّة الاطِّلاع على خفاياه وإدراك خباياه.. ولله الحمد على ما أنعم به من فضله، وأجزل من طَوْله)[٢].

---

(١) وفيات الأعيان ٤/١٤١.

(٢) طَوله ـ بفتح الطاء ـ: فضله وغناه.

● ـ ويقول في مقدمة كتابه «الشافي في شرح مسند الإمام الشافعي»:

(ناجتني نفسي أن أنتصب لشرح هذا الكتاب شرحاً جامعاً.. وتقضَّت الأيام وهذا العارض في النفس يقوى، والخاطر المبارك يشتد، والهمة تُنازع إليه، والرغبة تُنافس عليه، وأنا أُعلِّل النفس بما يشغلها عن مقصدها، وهي لا ترعوي[1] إلى مقالة ناصح، ولا يردعها عن رأي صالح في اغتنام متجر رابح؛ فاستخرتُ الله عز وجل، وشرعت في العمل..)[2].

فانظر إلى همة نفسه المتوقدة التي تدعوه إلى المسارعة، وهو يزجرها تواضعاً منه، خشية ألا يكون أهلاً لشرح مسند هذا الإمام الكبير، وهو الإمام الشافعي رحمه الله، والناس اليوم إذا همَّ أحدهم بعملٍ نافعٍ دعتهُ نفسه إلى الخمول والكسل والتخاذل، حتى تفتر همَّته أو يؤدي عمله بلا إتقان ولا رغبة صادقة.

✵ الإخوة الأعلام الثلاثة[3]:

هذا النسب (ابن الأثير الجزري) يشتهر به ثلاثة إخوة من العلماء الأعلام وهم:

١ ـ مجد الدين أبو السعادات (ت٦٠٦هـ) وهو صاحب: جامع الأصول في أحاديث الرسول ـ والذي تحدثنا عنه ـ.

٢ ـ عز الدين أبو الحسن علي (ت٦٣٠هـ) مصنف كتاب: أُسد

---

(١) أي: لا تنزجر ولا تنصرف.

(٢) مناقب الإمام الشافعي، ص٦٠ ـ ٦١.

(٣) البداية والنهاية ١٣/١٣٩.

الغابة في معرفة الصحابة، وكتاب: الكامل في التاريخ.

٣ ـ ضياء الدين أبو الفتح نصر الله (ت**٦٣٧**هـ) وقد كان وزيراً للملك علي بن الناصر، وهو مؤلف كتاب: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر.

وقد نقل الزبيدي في تاج العروس في مادة (أثر) قول بعضهم:

وبنو الأثير ثلاثة
قد حاز كلٌّ مفتخَرْ
فمؤرخٌ جمع العلو
م، وآخر ولِيَ الوَزَر
ومحدّث كتب الحدي
ث، له النهاية في الأثرْ[1]

ـ والإمام عز الدين ابن الأثير الجزري كان إماماً في حفظ الحديث ومعرفته، حافظاً للتواريخ المتقدمة والمتأخرة، وكتابه (الكامل في التاريخ) ابتدأ فيه من أول الزمان إلى سنة ثمان وعشرين وستمائة، وقد رحل إلى الشام والقدس، والتقى به الإمام شمس الدين ابن خلكان (ت**٦٠٨**هـ) في حلب، وتحدث عنه فقال: (اجتمعت به فوجدته رجلاً مكملاً في الفضائل وكرم الأخلاق وكثرة التواضع، فلازمت التراداد إليه، وكان بينه وبين الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ مؤانسة أكيدة، ثم سافر إلى دمشق، ثم عاد إلى حلب، فجريت معه على عادة التراداد والملازمة، ثم توجه إلى الموصل، وتوفي بها سنة ثلاثين وستمائة)[2].

---

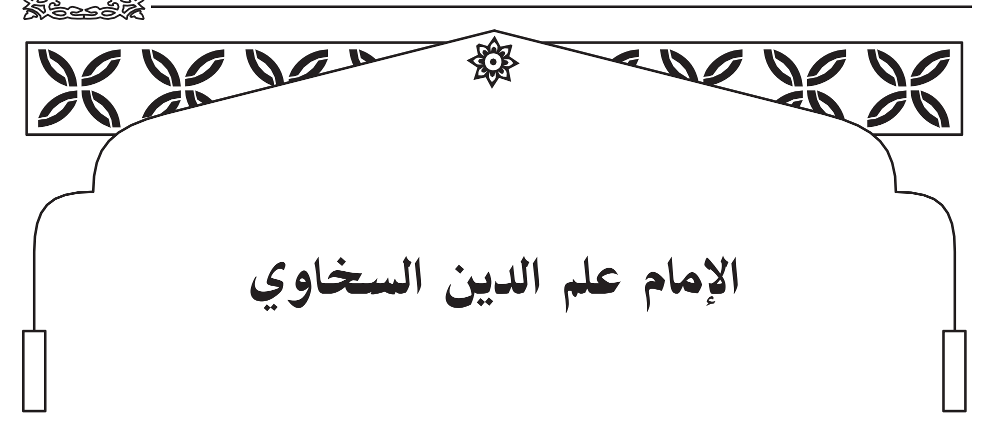
(١) من مقدمة الدكتور خليل ملا خاطر لكتاب (مناقب الإمام الشافعي)، ص١٠.

(٢) وفيات الأعيان، لابن خلكان **٣٤٨/٣**.

وقد تحدث الإمام الذهبي عن مناقب الإمام عز الدين ابن الأثير فقال: (كانت داره مجمع الفضلاء، وكان مكمَّلاً في الفضائل، علّامة نسّابة، أخبارياً، عارفاً بالرجال وأنسابهم، لا سيما الصحابة، مع الأمانة والتواضع والكرم)(١).



(١) تذكرة الحفاظ ١٣٩٩/٤.



الإمام علم الدين السخاوي

● قال عنه ابن خلكان:

(ورأيته بدمشق والناس يزدحمون عليه في الجامع لأجل القراءة، ولا تصح لواحد منهم نوبة إلا بعد زمان، ورأيته مراراً يركب بهيمة وهو يصعد إلى جبل الصالحية وحوله اثنان وثلاثة، وكل واحد يقرأ ميعاده في موضع غير الآخر، والكل في دفعة واحدة، وهو يرد على الجميع، ولم يزل مواظباً على وظيفته إلى أن توفي بدمشق سنة ثلاث وأربعين وستمائة وقد نيَّف على تسعين سنة)[١].

✵ فمن هو الإمام السخاوي؟

● هو الإمام أبو الحسن، علي بن محمد، عَلَم الدين السخاوي، ولد في (سخا) بمصر سنة ٥٥٨هـ وانتقل إلى القاهرة لطلب العلم، وأخذ القراءات واللغة والنحو عن شيخه الإمام الشاطبي، ثم ارتحل إلى دمشق في أواخر القرن السادس، وذاع صيته واجتمع عليه الطلاب يتلقون منه، وبقي على ذلك أكثر من أربعين سنة، وتتلمذ على يده عدد من العلماء كأبي شامة المقدسي، وتبوأ

---

(١) وفيات الأعيان ٣/٣٤٠.

المناصب في دمشق وألَّف الكتب النافعة، إلى أن توفي ليلة الأحد ١٢ جمادى الآخرة عام (٦٤٣هـ) ودفن بجبل قاسيون.

● ووصفه تلميذه أبو شامة فقال: (علامة زمانه وشيخ عصره وأوانه.. وخُتم بموته موت مشايخ الشام يومئذ، وفقد الناس بموته علماً كثيراً، ومنه استفدت علوماً جمَّة كالقراءات والتفسير وعلوم فنون العربية، وصحبته من شعبان سنة ٦١٤، ومات وهو عني راضٍ..)[١].

● وقال الذهبي: (وانتهت إليه رئاسة الإقراء والأدب في زمانه بدمشق، وقرأ عليه خلق لا يحصيهم إلا الله، وما علمتُ أحداً حمل عليه القراءات أكثر مما حمل عنه)[٢].

● وقال أيضاً: (كان إماماً في العربية، بصيراً باللغة، فقيهاً مفتياً، عالماً بالقراءات وعللها مجوِّداً لها، بارعاً في التفسير، صنَّف وأقرأ وأفاد، وروى الكثير، وبَعُدَ صيتُه، وتكاثر عليه القراء.. وكان مع سعةِ علومه وفضائله ديّناً، حسن الأخلاق، محبباً إلى الناس.. ليس له شغل إلا العلم ونشره)[٣].

● وقال ابن الجزري: (ليس له شغل إلا العلم والإفادة، أقرأ الناس نيفاً وأربعين سنة بجامع دمشق.. وقصده الطلبة من الآفاق، وازدحموا عليه، وتنافسوا في الأخذ عنه)[٤].

● وقال ابن العماد الحنبلي: (قرأ القراءات على الشاطبي

---

(١) الذيل على الروضتين، ص١٧٧.
(٢) العبر ١٧٨/٥.
(٣) سير أعلام النبلاء ١٢٢/٢٣.
(٤) غاية النهاية ٥٦٩/١.

وغيره، حتى فاق أهل زمانه في القراءات وانتهت إليه رياسة الأقراء والأدب بدمشق، وقرأ عليه خلق لا يحصيهم إلا الله ﷻ)[١].

✵ أبرز مؤلفاته:

١ ـ جمال القراء وكمال الإقراء: جمع أنواعاً من الموضوعات تتضمن مباحث في علوم القرآن والناسخ والمنسوخ والتجويد والقراءات وفضائل القرآن، ويقع في مجلدين[٢].

٢ ـ فتح الوصيد في شرح القصيد، وهي شرح لقصيدة شيخه الشاطبي (حرز الأماني).

٣ ـ الوسيلة إلى شرح العقيلة، وهي شرح لمنظومة شيخه الأخرى المسماة (عقلية أتراب القصائد في علم رسم المصاحف).

٤ ـ منير الدياجي في تفسير الأحاجي، شرح للأحاجي النحوية للزمخشري[٣].

٥ ـ هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في متشابه الكتاب، منظومة في متشابه القرآن.

ـ ولما حضرته الوفاة أنشد لنفسه:

قالوا غداً تأتي ديار الحمى
ويـنـزل الـركـب بـمـغـنـاهـمُ
فكل من كان مطيعاً لهم
أصبح مسروراً، بلقياهمُ

---

(١) شذرات الذهب ٥/٢٢٢.

(٢) طبع بتحقيق الدكتور علي حسين البواب عام ١٤٠٨هـ.

(٣) حققه لرسالة دكتوراه بجامعة أم القرى (سلامة عبدالغفور المراقي).

قــلــت: فــلــي ذنــبٌ فــمــا حــيــلــتــي
بــــأي وجــــهٍ أتــــلــــقــــاهــــمُ
قــالــوا: ألــيــس الــعــفــو مــن شــأنــهــم
لا ســيــمــا عــمــن تــرجَّــاهــمُ[١]



(١) شذرات الذهب ٥/٢٢٣.



الإمام النووي

الإمام محيي الدين يحيى بن شرف النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عاش ستاً وأربعين سنة، من سنة (٦٣١ ـ ٦٧٦هـ)، وحفظ القرآن الكريم منذ صغره، ولما بلغ عشر سنين جعله أبوه في دكان، فكان لا ينشغل بالبيع والشراء عن القرآن، وقد زار الشيخ ياسين المراكشي قرية نوى، فرأى النووي وهو ابن عشر سنين والصِّبيان يُكرهونه على اللعب معهم، وهو يهرب منهم، ويقرأ القرآن في تلك الحال، يقول الشيخ ياسين: فوقع في قلبي محبته، فأتيتُ الذي يُقْرئه القرآن فوصَّيتُه به، وقلت له: هذا الصبي يرجى أن يكون أعلم أهل زمانه وأزهدهم وينتفع الناس به.

● ولما بلغ تسع عشرة سنة قدم به والده إلى دمشق لطلب العلم، وكان صاحب همة عالية وصبر عجيب في التعلم والتعليم.

قال ابن العطار: (ذكر لي أنه كان لا يضيع وقتاً في ليل ولا نهار، إلا في وظيفة من الاشتغال بالعلم، حتى في ذهابه في الطريق ومجيئه، يشتغل في تكرار محفوظه.. ثم اشتغل بالتصنيف والإفادة والمناصحة للمسلمين وولاتهم، مع ما هو عليه من المجاهدة لنفسه

والعمل بدقائق الفقه.. والمراقبة لأعمال القلوب وتصفيتها من الشوائب)[(١)].

● يقول النووي: فلما كانت سنة إحدى وخمسين وستمائة حججتُ مع والدي، وكانت وقفة جمعة، وكان رحيلنا من أول رجب، فأقمت بمدينة رسول الله ﷺ نحواً من شهر ونصف.

قال ابن العطار: قال لي والده: لما توجها من نوى للرحيل أخذتْه الحُمى فلم تفارقه إلى يوم عرفة، ولم يتأوه قط، فلما قضينا المناسك ووصلنا إلى نوى، ونزل إلى دمشق، صبَّ الله عليه العلم صباً ولم يزل يشتغل بالعلم.. والعبادة والزهد والورع، وعدم إضاعة شيء من أوقاته، إلى أن توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)].

● وترك من المؤلفات ما لو قُسم على سنوات حياته لكان نصيب كل يوم كراستين، وبدأ التصنيف سنة ٦٦٠هـ إلى موته سنة ٦٧٦هـ أي (١٦ سنة فقط)، بالإضافة إلى انشغاله بتعليم الطلبة وقراءة الكتب.

وقد كان يكتب حتى تكلَّ يده فتعجز فيضع القلم، وكان لا يأكل إلا مرة واحدة في اليوم، ويسفُّ الطعام أحياناً لئلا يشغله عن طلب العلم، وكان عند طلبه للعلم يقرأ كل يوم اثني عشر درساً على المشايخ تستغرق أكثر من عشر ساعات يومياً.

● وقد صنَّف عدد من العلماء كتباً مستقلة في ترجمة الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومنهم الإمام السيوطي، والذي تحدث عن الإمام النووي فقال:

---

(١) المنهاج السوي في ترجمة الإمام النووي، للسيوطي، ص٤٢.
(٢) الإمام النووي، عبدالغني الدقر، ص٢٧.

(إمام أهل عصره علماً وعبادة، وسيد أوانه ورعاً وسيادة.. عابد العلماء وعالم العُبّاد، وزاهد المحققين ومحقق الزهاد، لم تسمع بعد التابعين بمثله أُذن.. راقب الله في سره وجهره، ولم يبرح طرفة عين عن امتثال أمره، ولم يُضيِّع من عمره ساعةً في غير طاعة مولاه.. وحوى من الفضل ما حواه، وبلغ ما نواه، فتشرَّفت به نَواه، ولم يكن له مَنْ ناواه[١].. من سلك منهاجه أيقن بروضة قطوفها دانية، ومن تتبع آثاره فهو مع الصالحين في رياضٍ عيونُها جارية، ومن لزم أذكاره ومهذب أخلاقه فالخير فيه مجموع[٢]، ومن استقى من بحره ظفر بأروى وأصفى ينبوع)[٣].

● ـ وتحدث الإمام ابن الوردي عن الإمام النووي، فقال يمتدحه ببعض أبيات من الشعر:

لقيتِ خيراً يا نوى
وحُرستِ من ألم النوى[٤]
فلقد نشأ بك زاهدٌ
في العلم أخلص ما نوى
وعلى عِداه فَضلُه
فضل الحبوب على النَّوى[٥]

---

(١) بلغ ما نواه: النية الصالحة، وتشرفت به نَواه: نسبة إلى قرية نَوى مسقط رأسه، ولم يكن له من ناواه، أي: ناوأه وعاداه.

(٢) المنهاج، والروضة، ورياض الصالحين، والأذكار، والتهذيب، والمجموع؛ التي أشار إليها الإمام السيوطي هي من مصنفات الإمام النووي.

(٣) المنهاج السوي في ترجمة الإمام النووي، ص٢٦.

(٤) ألم النوى: ألم الفراق وبُعد الأحبة.

(٥) تاريخ ابن الوردي ٢/٢١٩.

● يقول تلميذه ابن العطار:

(وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ رفيقاً بي، شفيقاً عليّ، لا يمكِّن أحداً من خدمته غيري، على جهد مني في طلب ذلك منه، مع مراقبته لي في حركاتي وسكناتي، ولطفه بي في جميع ذلك، وتواضعه معي في جميع الحالات، وتأديبه لي في كل شيء حتى الخطرات، وأعجز عن حصر ذلك.

وقرأت عليه كثيراً من تصانيفه ضبطاً وإتقاناً، وأذن لي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في إصلاح ما يقع لي من تصانيفه، فأصلحت بحضرته أشياء، فكتبه بخط يده وأقرني عليه)[1].

✵ مؤلفات الإمام النووي:

ألَّف الإمام النووي في علوم شتى: الفقه والحديث وشرح الحديث، والمصطلح، واللغة والتراجم، والتوحيد، وغير ذلك، وتمتاز مؤلفاته بالوضوح وسهولة التعبير وانسيابه وعدم التكلف[2]، ومن أبرز مؤلفاته:

١ ـ شرح صحيح مسلم:

وقد قال في مقدمته رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وأما صحيح مسلم فقد استخرت الله تعالى الكريم الرؤوف الرحيم في جمع كتاب في شرحه متوسط بين المختصرات والمبسوطات.. ولولا ضعف الهمم وقلة الراغبين، لبسطته فبلغت به

---

(١) الإمام النووي، عبدالغني الدقر، ص١٠٥.

(٢) المرجع السابق، ص٧٤.

ما يزيد على مائة من المجلدات، من غير تكرار ولا زيادات عاطلات، بل ذلك لكثرة فوائده، وعظم عوائده الخفيات والبارزات).

٢ ـ روضة الطالبين في المذهب الشافعي:

اختصرها من كتاب الإمام الرافعي (الشرح الكبير) المسمى (فتح العزيز شرح الوجيز).

٣ ـ رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين:

وقال في مقدمته: (رأيت أن أجمع مختصراً من الأحاديث الصحيحة، مشتملاً على ما يكون طريقاً لصاحبه إلى الآخرة، محصلاً لآدابه الباطنة والظاهرة، جامعاً للترغيب والترهيب).

٤ ـ الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار:

كتاب نفيس ذكر فيه المؤلف عمل اليوم والليلة، وزاد عليها أذكاراً لمناسبات شتى.

٥ ـ التبيان في آداب حملة القرآن

٦ ـ الأربعون النووية:

جمع فيه اثنين وأربعين حديثاً مما يحتاجه كل مسلم، وانتفع الناس كثيراً بهذا الكتاب، وما برح العلماء ينصحون لطلبتهم بحفظه وفهمه[1].

٧ ـ المجموع شرح المهذب:

والمهذب للإمام الشيرازي، ولم يكمله الإمام النووي فقد وصل فيه إلى كتاب الربا، في تسع مجلدات، ثم جاء الإمام التقي

(١) الإمام النووي، عبدالغني الدقر، ص٩٤.

السبكي[1] فأكمل منه ثلاث مجلدات فقط، ثم أكمله الشيخ محمد نجيب المطيعي عام **١٣٤٣**هـ وهو من علماء مصر.

٨ ـ تهذيب الأسماء واللغات:

ذكر فيه الأسماء وترجم لأصحابها، واللغات صحيحها وضعيفها، وتوفي ولم يكمله.

٩ ـ بستان العارفين:

وهو كتاب في الرقائق والتهذيب.

١٠ ـ إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق ﷺ:

وهو اختصار لكتاب (معرفة علوم الحديث) للإمام ابن الصلاح مع زيادات قيمة نافعة.

✵ وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

● ـ قال ابن العطار:

كنت عند النووي فقال: قد أُذن لي في السفر.. ثم قال: قم حتى نودع أصحابنا وأحبابنا.

فخرجت معه إلى القبور التي دُفن فيها بعض شيوخه، فزارهم وبكى، ثم زار أصحابه الأحياء، ثم سافر إلى نوى، وزار القدس والخليل، ثم عاد إلى نوى، ومرض بها في بيت والده، فبلغني مرضه، فقدمت من دمشق لعيادته، ففرح بي، وقال: ارجع إلى أهلك.

---

(١) الإمام تقي الدين السبكي، ولد ببلدة سبك من أعمال المنوفية بمصر سنة **٦٨٣**هـ وتوفي سنة **٧٥٦**هـ.

وودَّعته وقد أشرف على العافية، يوم السبت العشرين من رجب سنة ست وسبعين وستمائة، وتوفي ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من رجب ودُفن صبيحتها في نوى.

فبينما أنا نائم تلك الليلة إذ منادٍ ينادي بجامع دمشق: الصلاة على الشيخ ركن الدين، فصاح الناس، فاستيقظت، فبلغنا يوم الجمعة موته، وصُلي عليه بجامع دمشق، وتأسف المسلمون عليه تأسفاً بليغاً[(١)].

● ـ وقال ابن فضل الله: حكى لي أخوه الشيخ عبدالرحمٰن، أنه لما مرِض مَرَض موته اشتهى التفاح، فجيء به فلم يأكله، فلما مات رآه بعض أهله في المنام، فقال: ما فعل الله بك؟

فقال: أكرمَ نُزلي، وتقبّل عملي، وأول قراي[(٢)] جاءني: التفاح[(٣)].

● ـ وقال العلامة محمد بن أحمد الأربلي في رثاء الإمام النووي[(٤)]:

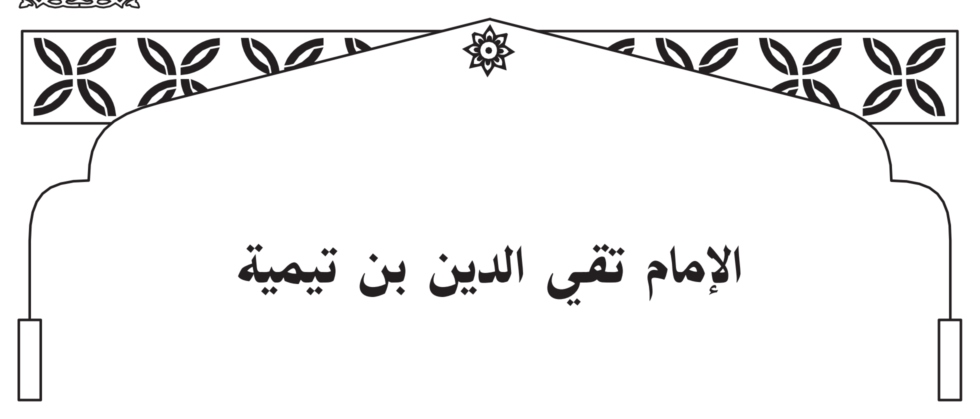
قد كنتَ للدين نوراً يُستضاء به
مسدَّداً منك فيه القول والعملُ
وكنت تتلو كتاب اللَّه معتبراً
لا يعتريك على تكراره مللُ

(١) المنهاج السوي في ترجمة الإمام النووي، للسيوطي، ص٧٨.
(٢) القِرى: ما يقدم للضيف.
(٣) المنهاج السوي، ص٨٠.
(٤) المرجع السابق، ص٨٢، وهي قصيدة طويلة، وهذه أبيات مختارة منها.

وكنت في سنة المختار مجتهداً
وأنت باليُمن والتوفيق مشتَمَل
كساك ربك أوصافاً مجمَّلة
يضيق عن حصرها التفصيل والجُمل
فمثلُ فقدك ترتاع العقول له
وفقدُ مثلك جرحٌ ليس يندملُ
زهدتَ في هذه الدنيا وزخرفها
عزماً وحزماً ومضروبٌ بك المثل
أسهرتَ في العلم عيناً لم تذق سِنَةً
إلا وأنت به في الحكم مشتغل
يا محيي الدين كم غادرتَ من كبدٍ
حرّى عليك، وعينٌ دمعها هَطِل
عالجتَ نفسك والأدواء شاملة
حتى استقامت وحتى زالت العِلل
بلغتَ بالتعب الفاني رضى ملكٍ
ثوابه في جنان الخلد متصل(١)



(١) المنهاج السوي، ص٨٢.



الإمام تقي الدين بن تيمية

ولد الإمام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية[١] في العاشر من ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة في حرّان، وقدم مع والده وأهله إلى دمشق وهو صغير، فسمع الحديث من عدد من الشيوخ، ثم اشتغل بالعلوم، وكان ذكياً كثير المحفوظ فصار إماماً في التفسير عارفاً بالفقه، عالماً باختلاف العلماء، وأما الحديث فكان حافظاً له عارفاً برجاله.

وأثنى عليه جماعة من علماء عصره، مثل ابن دقيق العيد، وابن النحاس، وهذا الثناء عليه وكان عمره يومئذ نحو الثلاثين سنة.

- قال عنه الإمام الذهبي:

(الشيخ الإمام العلامة الناقد الفقيه، المجتهد المفسر البارع، شيخ الإسلام، عَلَم الزهاد، نادرة العصر. . .

كان من بحور العلم، ومن الأذكياء المعدودين، والزُّهاد والشجعان الكبار، والكرماء الأجواد، أثنى عليه الموافق والمخالف، وسارت بتصانيفه الركبان)[٢].

---

(١) البداية والنهاية، لابن كثير ١٣٦/١٤، شذرات الذهب ٨٠/٦.

(٢) تذكرة الحفاظ ١٤٩٦/٤.

وقال أيضاً: (وقد انفرد بفتاوى نِيلَ من عِرضه لأجلها، وهي مغمورة في بحر علمه، فالله تعالى يسامحه ويرضى عنه، فما رأيت مثله، وكل أحدٍ من الأمة يؤخذ من قوله ويُترك)(١).

● وقال الإمام ابن كثير في حديثه عن شيخه الإمام ابن تيمية:

(كان بيني وبينه مودة ومحبة من الصغر، وسماع الحديث والطلب من نحو سنة، وله فضائل كثيرة..)(٢).

● وقال الإمام ابن العماد الحنبلي في ثنائه على الإمام ابن تيمية:

(أقبل على العلوم في صغره، فأخذ الفقه والأصول.. وأقبل على تفسير القرآن الكريم فبرز فيه، وأحكم أصول الفقه والفرائض والحساب والجبر والمقابلة، وغير ذلك من العلوم، ونظر في الكلام والفلسفة وبرز في ذلك على أهله، وردَّ على رؤسائهم وأكابرهم، وتأهل للفتوى والتدريس، وله دون العشرين سنة، وأفتى من قبل العشرين أيضاً، وأمده الله بكثرة الكتب وسرعة الحفظ وقوة الإدراك والفهم.. ثم توفي والده، وله إحدى وعشرون سنة، فقام بوظائفه بعده.. وجلس مكان والده بالجامع على المنبر أيام الجمع لتفسير القرآن العظيم، فكان يورد في المجلس من حفظه نحو كراسين أو أكثر)(٣).

● وقال عنه الإمام الذهبي:

(شيخنا وشيخ الإسلام وفريد العصر علماً ومعرفة وشجاعة وذكاء وتنويراً إلٰهياً، وكرماً ونصحاً للأمة، وأمراً بالمعروف ونهياً عن

---

(١) تذكرة الحفاظ ١٤٩٧/٤.
(٢) البداية والنهاية ١٣٧/١٤.
(٣) شذرات الذهب ٨١/٦.

المنكر، سمع الحديث.. ونظر في الرجال والطبقات.. وبرع في تفسير القرآن، وغاص في دقيق معانيه، بطبعٍ سيال وخاطر وقاد.. وفاق الناس في معرفة الفقه واختلاف المذاهب وفتاوى الصحابة والتابعين.. ونصر السنة بأوضح حجج وأبهر براهين، وأُوذي في ذات الله من المخالفين، حتى أعلى الله مناره، وجمع قلوب أهل التقوى على محبته والدعاء له، وهدى به رجالاً كثيراً من أهل الملل والنِحل)[١].

❋ ومن أقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ـ (الإيمان إذا باشر القلب وخالطته بشاشتُه، فإن له من الحلاوة واللذة والسرور والبهجة ما لا يمكن التعبير عنه لمن لم يذقه.. واللذة تتبع المحبة، فمن أحب شيئاً ونال ما أحبَّه وَجَد اللذة به.. وليس للخلق محبة أعظم ولا أكمل ولا أتم من محبة المؤمنين لربهم، وكل ما يحَبُّ سواه فمحبته تبعٌ لمحبته)[٢].

ـ (البر والتقوى يبسط النفس ويشرح الصدر، بحيث يجد الإنسان في نفسه اتساعاً وبسطاً، والفجور والبخل يقمع النفس ويضعها ويهينها.. فالنفس البخيلة الفاجرة قد دسَّها صاحبها في بدنه بعضها في بعض، ولهذا وقت الموت تُنزع من بدنه كما يُنزع السّفود من الصوف المبتل. والنفس البرَّة التقية النقية التي قد زكاها صاحبها، فارتفعت واتسعت ومجدت ونبلت، فوقت الموت تخرج من البدن تسيل كالقطرة من فم السقاء، وكالشعرة من العجين)[٣].

---

(١) شذرات الذهب ٦/٨٢.
(٢) مجموع الفتاوى ١٠/٦٤٨.
(٣) المرجع السابق ١٠/٦٣٠.

ـ وقد تحدث تلميذه الإمام ابن القيم فقال: (حدثني شيخنا الإمام ابن تيمية قال: ابتدأني مرض، فقال لي الطبيب: إن مطالعتك وكلامك في العلم يزيد المرض، فقلت له: لا أصبر على ذلك، وأنا أحاكمك إلى علمك، أليس النفس إذا فرحت وسُرَّت قويتْ الطبيعة فدفعت المرض؟ فقال: بلى، فقلت له: فإن نفسي تُسرُّ بالعلم فتقوى الطبيعة فأجد راحة. فقال: هذا خارج عن علاجنا)[(١)].

❋ مؤلفات الإمام ابن تيمية:

ترك الإمام ابن تيمية مجموعة كثيرة من المؤلفات في عدة أبواب من العلم[(٢)].

وقد قام الشيخ عبدالرحمٰن بن قاسم بجمع فتاوى الإمام ابن تيمية، وطبعت في **٣٥** مجلد، من سنة **١٣٨١هـ** إلى سنة **١٣٨٦هـ**، وصنع لها الشيخ محمد بن عبدالرحمٰن بن قاسم فهارس عامة في مجلدين.

ومن أبرز مؤلفاته رحمه الله:

١ ـ منهاج السنة النبوية، تحقيق: د.محمد رشاد سالم.

٢ ـ الاستقامة، تحقيق: د.محمد رشاد سالم.

٣ ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح.

٤ ـ الصارم المسلول على شاتم الرسول.

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص٨٧.

(٢) مقدمة (شرح حديث يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي)، لابن تيمية، تقديم وتعليق: محمد صبحي حلاق، ص١١.

٥ ـ الإيمان.

٦ ـ نقض المنطق.

٧ ـ القواعد النورانية الفقهية.

٨ ـ قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة.

٩ ـ درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: د.محمد رشاد سالم.

وقد تحدث عن هذا الكتاب تلميذه الإمام ابن قيم الجوزية، فقال:

(كتاب شيخنا «بيان موافقة العقل الصحيح للنقل الصحيح» كتاب لم يطرق العالَم له نظير في بابه، فإنه هدم فيه قواعد أهل الباطل من أسسها، فخرَّت عليهم سقوفه من فوقهم، وشيَّد فيه قواعد أهل السنة والحديث، وأحكمها ورفع أعلامها)[(١)].

✵ وفاة الإمام ابن تيمية:

تحدث الإمام ابن كثير عن وفاة الإمام ابن تيمية فقال:

(في ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة توفي الشيخ الإمام العالم العَلَم العلامة الفقيه الحافظ الزاهد العابد المجاهد القدوة شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس، شيخنا الإمام العلامة.. بقلعة دمشق بالقاعة التي كان محبوساً بها، وحضر جمع كثير إلى القلعة.. واجتمع الخلق بالقلعة والطريق إلى الجامع.. وحضرت الجنازة ووضعت في الجامع.. وتقدم للصلاة عليه الشيخ محمد بن تمام.. وتزايد الجمع إلى أن ضاقت الرحاب والأزقة

---

(١) مقدمة الدكتور محمد رشاد سالم لكتاب (درء تعارض العقل والنقل) ٦/١.

والأسواق بأهلها ومن فيها.. ثم خرج الناس من أبواب البلد جميعها من شدة الزحام فيها.. وعظُم الأمر بسوق الخيل، وتضاعف الخلق، وكثر الناس، ووضعت الجنازة هناك، وتقدّم للصلاة عليه هناك أخوه زين الدين عبدالرحمٰن، ثم حُمل إلى المقبرة فدفن إلى جانب أخيه شرف الدين رحمهما الله.. وأغلق الناس حوانيتهم.. والجميع يترحمون عليه ويبكون[١].

✵ بين ابن تيمية وابن الوردي:

كما تحدث الإمام ابن الوردي في تاريخه[٢] عن وفاة الإمام ابن تيمية في ليلة الاثنين والعشرين من شهر ذي القعدة (سنة **٧٢٨هـ**) حيث صُلِّي عليه بجامع دمشق بعد الظهر وأُخرج من باب الفرج، واشتد الزحام وكثر البكاء عليه، وكان مُشيِّعوه أكثر من مائتي ألف، ثم ذكر عدة أبيات في رثائه فقال:

فـتـىً فـي عـلـمـه أضـحـى فـريـداً
وحَـلُّ الـمـشـكـلات بـه يُـنـاطُ
فـيـا لـلَّـه مـا قـد ضـمَّ لـحـدٌ
ويـا لـلَّـه مـا غـطَّـى الـبـلاط
بـنـو تـيـمـيـة كـانـوا فـبـانـوا
نـجـومُ الـعـلـم أدركـهـا انـهـبـاطُ
إمـام لا ولايـةَ كـان يـرجـو
ولا وقـفٌ عـلـيـهِ ولا ربـاطُ

(١) البداية والنهاية ١٤/١٣٥.
(٢) تاريخ ابن الوردي ٢/٢٧٥ ـ ٢٧٨.



ثم تحدث الإمام ابن الوردي عن لقائه بشيخ الإسلام ابن تيمية فقال:

(وكنتُ اجتمعت به رَحِمَهُ ٱللَّهُ بدمشق بمسجده بالقصاعين، وبحثت بين يديه في فقه وتفسير ونحو، فأعجبني كلامه، وقبَّل وجهي، وإني لأرجو بركة ذلك.. وسهرت عنده ليله فرأيت من فتوته ومروءته ومحبته لأهل العلم ولا سيما الغرباء منهم أمراً كثيراً، وصليت خلفه التراويح في رمضان فرأيت على قراءته خشوعاً، ورأيت على صلاته رقة تأخذ بمجامع القلوب).

ثم نقل عن القاضي ابن دقيق العيد قوله: (لما اجتمعتُ بابن تيمية رأيت رجلاً كل العلوم بين عينيه، يأخذ ما يريد، ويدع ما يريد).

رحم الله أسلافنا العلماء رحمة واسعة ونفعنا بعلومهم وجزاهم عنا خير الجزاء.

✵ الإمام مجد الدين ابن تيمية[١]

هو جد الإمام تقي الدين ابن تيمية، ولد سنة تسعين وخمس مائة، وسار إلى بغداد وهو مراهق فسمع من علمائها، وتفقّه، وصنّف التصانيف، وانبهر علماء بغداد لذكائه وفضائله.

قال عنه الإمام تقي الدين: (كان جدنا عجباً في سرد المتون وحفظ مذاهب الناس، وإيرادها بلا كلفة).

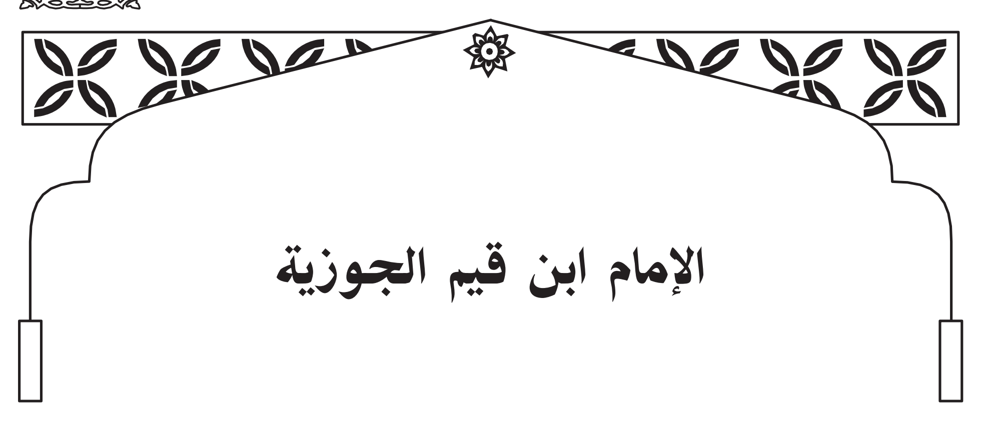
توفي يوم الفطر سنة اثنين وخمسين وست مائة رحمه الله تعالى.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢٣/٢٩١.

ومن أبرز مؤلفات الإمام مجد الدين كتاب (المنتقى من أخبار المصطفى) في مجلدين، ويشتمل على جملة من الأحاديث النبوية التي ترجع إليها أصول الأحكام.





الإمام ابن قيم الجوزية

هو أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر الزُّرعي الشهير بابن قيم الجوزية، والزُّرعي نسبة إلى زُرع إحدى قرى حوران قرب دمشق. ولد سنة ٦٩١هـ في دمشق(١).

● ـ وسبب شهرته بابن قيم الجوزية أن (قيّم الجوزية) هو والده الشيخ أبو بكر بن أيوب، إذ كان قيّماً على المدرسة الجوزية بدمشق.

وقد قال الإمام ابن كثير في الثناء على والده:

(الشيخ الصالح العابد الناسك أبو بكر بن أيوب الزرعي الحنبلي، قيم الجوزية، كان رجلاً صالحاً متعبداً قليل التكلف، توفي ليلة الأحد تاسع عشر ذي الحجة)(٢).

● ـ ومن أبرز أبناء الإمام ابن قيم الجوزية ابنه عبدالله، ولد سنة ٧٢٣هـ، وتوفي سنة ٧٥٦هـ، وكان مفرط الذكاء والحفظ، حفظ

---

(١) ينظر: كتاب ابن قيم الجوزية، حياته وآثاره، للشيخ بكر أبو زيد. وينظر: الدرر الكامنة لابن حجر ٤٣٤/٢، وشذرات الذهب لابن العماد ٣٥٨/٦.

(٢) البداية والنهاية ٩٥/١٤.

سورة الأعراف في يومين، وصلى بالقرآن سنة **٧٣١**هـ وهو في التاسعة من عمره[١].

● ـ وقد تحدث الإمام ابن رجب الحنبلي عن شيخه الإمام ابن قيم الجوزية فقال:

(وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذا عبادة وتهجد، وطول صلاة إلى الغاية القصوى، وشغف بالمحبة، والإنابة والاستغفار، والافتقار إلى الله والانكسار له، لم أشاهد مثله في ذلك، ولا رأيت أوسع منه علماً، ولا أعرف بمعاني القرآن والسنة وحقائق الإيمان منه.. وقد امتُحن وأُوذي مرات.. وحج مرات كثيرة، وجاور بمكة، وكان أهل مكة يذكرون عنه من شدة العبادة، وكثرة الطواف أمراً يتعجب منه)[٢].

● ـ وقال تلميذه الإمام ابن كثير:

(لا أعرف في زماننا أكثر عبادة منه، وكانت له طريقة في الصلاة يطيلها جداً، ويمد ركوعها وسجودها، ويلومه كثير من أصحابه في بعض الأحيان فلا يرجع ولا ينزع عن ذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ)[٣].

● ـ وقال أيضاً:

(وكان حسن القراءة والخُلق، كثير التودد، لا يحسد أحداً ولا يؤذيه.. وبالجملة كان قليل النظير في أموره وأحواله.. وكنتُ من أصحبِ الناس له وأحب الناس إليه)[٤].

---

(١) البداية والنهاية ١٤/٢٠٢.
(٢) ذيل طبقات الحنابلة ٢/٤٤٨.
(٣) البداية والنهاية ١٤/٢٠٢.
(٤) المرجع السابق ١٤/٢٠٢.

● ـ وقال الإمام ابن حجر في ثنائه على الإمام ابن قيم الجوزية:

(كان إذا صلى الصبح جلس مكانه يذكر الله حتى يتعالى النهار، ويقول: هذه غدوتي، لو لم أقعدها سقطت قوايَ.. وكان يقول: لا بد للسالك من همة تسيِّره وترقيه، وعلم يبصِّره ويهديه)[١].

● ـ وقد برع الإمام ابن قيم الجوزية في مختلف العلوم وخاصة التفسير والحديث والفقه والأصول، وعلم التوحيد، واللغة والنحو، وانبرى لطلب العلم منذ السابعة من عمره، وتلقى عن عدد كبير من الشيوخ.

قال الإمام ابن كثير في حديثه عن الإمام ابن قيم الجوزية:

(سمع الحديث واشتغل بالعلم، وبرع في علوم متعددة، لا سيما علم التفسير والحديث.. ولما عاد شيخ الإسلام ابن تيمية من الديار المصرية سنة **٧١٢**هـ لازمه إلى أن مات الشيخ، فأخذ عنه علماً جماً، مع ما سلف له من الاشتغال، فصار فريداً في بابه في فنون كثيرة، مع كثرة الطلب ليلاً ونهاراً وكثرة الابتهال)[٢].

● ـ وقد تحدث رَحِمَهُ اللَّهُ عن مرضه عندما كان في مكة فقال:

(ولقد أصابني أيام مقامي بمكة أسقام مختلفة، ولا طبيب هناك ولا أدوية.. فكنت أستشفي بالعسل وماء زمزم، ورأيت فيها من الشفاء أمراً عجباً).

وقال أيضاً: (لقد جربت أنا من ذلك أموراً عجيبة، ولا سيما

---

(١) الدرر الكامنة ٢١/١٤.

(٢) البداية والنهاية ٢٠٢/١٤.

مدة المقام بمكة، فإنه كان يعرض لي آلام مزعجة، بحيث تكاد تنقطع الحركة مني.. فأبادر إلى قراءة الفاتحة وأمسح بها على محل الألم، فكأنه حصاة تسقط، جربتُ ذلك مراراً عديدة، وكنت آخذ قدحاً من ماء زمزم فأقرأ عليه الفاتحة مراراً، فأشربه، فأجد به من النفع والقوة ما لم أعهد مثله في الدواء، والأمر أعظم من ذلك، ولكن بحسب قوة الإيمان وصحة اليقين، والله المستعان)[1].

✵ مؤلفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بلغ عدد مؤلفات الإمام ابن قيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ قرابة مائة كتاب، بعضها مطبوع وبعضها لم يطبع[2].

ومن أبرز مؤلفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد (خمسة مجلدات).

٢ ـ بدائع الفوائد (أربعة أجزاء).

٣ ـ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (ثلاثة مجلدات).

٤ ـ طريق الهجرتين وباب السعادتين.

٥ ـ جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام.

٦ ـ إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (في مجلدين).

٧ ـ مفتاح دار السعادة ومنشور ألوية العلم والإرادة.

٨ ـ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح.

---

(١) ابن القيم، حياته وآثاره، ص٣٤.

(٢) ابن القيم: حياته وآثاره، الشيخ بكر أبو زيد، ص٢٠٠.

٩ ـ تهذيب سنن أبي داود.

١٠ ـ الوابل الصيّب ورافع الكلم الطيب.

١١ ـ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي.

١٢ ـ تحفة المودود بأحكام المولود.

١٣ ـ عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين.

١٤ ـ الفوائد.

١٥ ـ إعلام الموقعين عن رب العالمين (في أربعة مجلدات).

١٦ ـ التبيان في أقسام القرآن.

١٧ ـ روضة المحبين ونزهة المشتاقين.

١٨ ـ المنار المنيف في الصحيح والضعيف.

١٩ ـ هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى.

● ـ قال الشيخ أبو الحسن الندوي[١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ متحدثاً عن نشأته العلمية:

(بدأت أطالع كتباً غير مرتبطة بالمنهج الدراسي، فاستهللت مطالعتي بكتاب «زاد المعاد في هدي خير العباد» لابن قيم الجوزية، فحلَّ مني محلاً عظيماً، فكأنه مكتبتي ورفيقي في السفر، ومشرفي وأستاذي، وبدا لي كممثل بارع عظيم للمكتبة الدينية العامرة.. وبه عرفتُ كيف أقضي نهاري وليلي في ضوء السيرة النبوية)[٢].

---

(١) هو الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي، من كبار علماء الهند، توفي عام ١٤٢٠هـ.

(٢) شخصيات وكتب، للندوي، ص١٥٤.

❋ وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

توفي الإمام ابن قيم الجوزية ليلة الخميس ثالث عشر من رجب سنة ٧٥١هـ وعمره ستون عاماً، وصُلي عليه بالجامع الأموي بدمشق، وازدحم الناس على تشييع جنازته، ودُفن بمقبرة الباب الصغير عند والدته رحمهما الله تعالى.

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وقد كانت جنازته حافلة رحمه الله تعالى، شهدها القضاة والأعيان والصالحون من الخاصة والعامة، وتزاحم الناس على حمل نعشه)[1].

❋ من بدائع أقوال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حفلت كتب الإمام ابن قيم بنفائس الأقوال وبدائع الحكم، وجواهر الكلام في تربية النفوس وحياة القلوب وعلاجها من أدرانها وآفاتها، ومن أقواله رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

● (ربك يحب حياة نفسك وأنت تريد قتلها، يريد بك اليسر وأنت تريد العسر، يريد بك الكرامة وأنت جاهدٌ في إهانتها.. من نام على فراش الكسل أصبح ملقى بوادِ الأسف، الجد كله حركة، والكسل كله سكون)[2].

● (إذا رأيتَ الباب مسدوداً في وجهك فاقنع بالوقوف خارج الدار مستقبل الباب، سائلاً مستعطياً، فعسى، ولكن لا تولِّ ظهرك وتقول ما حيلتي وقد سُدَّ الباب دوني)[3].

---

(١) البداية والنهاية ٢٠٢/١٤.

(٢) بدائع الفوائد ٢٢٤/٣.

(٣) المرجع السابق ٢٢٦/٣.

فما أبدع هذا التوجيه في ترقُّب الفرج مهما اشتد الكرب، والبقاء أمام الباب لعله يُفتح، وما أجمل الأمل وأشنع اليأس والقنوط!!

● (من أعجب الأشياء أن تعرفه ثم لا تحبه، وأن تسمع داعيهُ ثم تتأخر عن الإجابة، وأن تعرف قدر الربح في معاملته ثم تعامل غيره، وأن تعرف قدر غضبه ثم تتعرض له، وأن تذوق ألم الوحشة في معصيته، ثم لا تطلب الأُنس بطاعته، وأن تذوق عصرةَ القلب عند الخوض في غير حديثه، ثم لا تشتاق إلى انشراح الصدر بذكره ومناجاته)[1].

● (إنما يجد المشقة في ترك المألوفات والعوائد من تركها لغير الله، أما مَن تركها صادقاً مخلصاً من قلبه لله فإنه لا يجد في تركها مشقة إلا في أول وهلة، ليُمتحن أصادقٌ هو في تركها أم كاذب، فإن صبر على تلك المشقة قليلاً استحالت لذة)[2].



(١) الفوائد، ص٨٥.

(٢) المرجع السابق، ص١٩٩.

الإمام شمس الدين الذهبي

ـ هو الإمام الحافظ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد المعروف بالذهبي ولد بدمشق سنة ٦٧٣هـ، وطلب العلم في حداثته ثم رحل إلى مصر والحجاز، ثم عاد إلى دمشق فأقام فيها، وتصدر للحديث والإقراء والتدريس[١].

● ـ قال عنه تلميذه الإمام تاج الدين السبكي: (إمام الوجود حفظاً، وذهب العصر معنى ولفظاً، وشيخ الجرح والتعديل، ورجل الرجال في كل سبيل، كأنما جُمعت الأمة في صعيد واحد فنظرها، ثم أخذ يخبر عنها إخبار من حضرها)[٢].

● ـ وقال الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي: (مفيد الشام، ومؤرخ الإسلام، ناقد المحدثين، وإمام المعدلين والمجرحين.. وكان آية في نقد الرجال، عمدة في الجرح والتعديل)[٣].

● ـ وقال الحافظ ابن حجر: (مَهَر في فن الحديث، وجمع فيه

(١) شذرات الذهب ٦/١٥٤.
(٢) طبقات الشافعية الكبرى ٩/١٠١.
(٣) الرد الوافر، ص٣١. وينظر تقديم الشيخ قاسم على سعد لكتاب (الأمصار ذوات الآثار)، للذهبي، ص١٢٤.

المجاميع المفيدة الكثيرة، حتى كان أكثر أهل عصره تصنيفاً.. ورغب الناس في تواليفه، ورحلوا إليه بسببها، وتداولوها قراءة ونسخاً وسماعاً)[١].

● ـ وقال العلامة محمد بن شاكر الكتبي في (فوات الوفيات):

(أتقن الحديث ورجاله، ونظر علله وأحواله، وعرف تراجم الناس، وأزال الإبهام في تراجمهم والإلباس، جمع الكثير، ونفع الجم الغفير، وأكثر من التصنيف، ووفَّر بالاختصار مؤنة التطويل في التأليف)[٢].

● ـ وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ أديباً شاعراً، ومن شعره في أواخر حياته قوله:

تولى شبابي كأن لم يكن
وأقبل شيبٌ علينا تولَّى
ومن عاين المنحنى والنَّقى
فما بعد هذين إلا المُصلَّى[٣]

✵ مواقف وأقوال للإمام الذهبي:

صنّف الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عدة كتب في السير والتراجم، ضمّنها الكثير من نفائس الأقوال والمواقف المشرقة.

---

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٣/٤٢٦.

(٢) من تقديم الدكتور نور الدين عتر لكتاب (المغني في الضعفاء) ١/٤، نقلاً عن فوات الوفيات ٢/١٨٣.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى ٥/٢١٧.

ومن أبرز مواقفه وأقواله رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ـ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ترجمته للإمام محمد بن نصر[١]:

(ولو أنّا كلما أخطأ إمام في اجتهاده في آحاد المسائل خطأً مغفوراً له، قمنا عليه، وبدّعناه، وهجرناه، لما سَلِم معنا لا محمد بن نصر، ولا من هو أكبر منه، والله هو هادي الخلق إلى الحق، وهو أرحم الراحمين، فنعوذ بالله من الهوى والفظاظة)[٢].

ـ وتحدث رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الإمام الحافظ يحيى بن حماد[٣]، فنقل من أوصافه قول محمد بن النعمان: (لم أر أعبدَ من يحيى بن حماد، وأظنه لم يضحك) وعلّق على ذلك قائلاً[٤]:

(الضحك اليسير والتبسم أفضل.. قال النبي ﷺ: «**تبسمك في وجه أخيك صدقة**»[٥]، وقال جرير: (ما رآني رسول الله ﷺ إلا تبسم)[٦] فهذا هو خلق الإسلام، فأعلى المقامات من كان بكّاء بالليل، بسّاماً بالنهار).

ثم قال: (بقي هنا شيء: ينبغي لمن كان ضحوكاً بساماً أن يقصّر من ذلك، ويلوم نفسه حتى لا تمجَّه الأنفس، وينبغي لمن كان

---

(١) هو أبو عبدالله الحافظ محمد بن نصر، ولد ببغداد سنة اثنتين ومائتين، ومنشؤه بنيسابور، ومسكنه سمرقند، توفي سنة أربع وتسعين ومائتين. (سير أعلام النبلاء ١٤/٣٣).

(٢) سير أعلام النبلاء ٤/٤٠.

(٣) هو الإمام الحافظ أبو محمد يحيى بن حماد، كان ثقة كثير الحديث، توفي سنة ٢١٥هـ.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٠/١٤٠.

(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، رقم: ٨٩١، والترمذي، رقم: ١٩٥٦، وحسّنه وصححه ابن حبان، رقم: ٨٦٤.

(٦) أخرجه البخاري، رقم: ٣٠٣٥، ومسلم، رقم: ٢٤٧٥.

عبوساً منقبضاً أن يتبسم، ويحسِّن خلقه، ويمقت نفسه على رداءة خلقه، وكلُّ انحراف عن الاعتدال فمذموم)[١].

✵ عناية الإمام الذهبي بالقراءات والحديث[٢]:

ـ عُني الإمام الذهبي بالقراءات ودرسها على كبار شيوخ عصره من المقرئين المشهورين، وذكر ابن ناصر الدين أنه كان إماماً في القراءات، ومن أبرز كتبه: (معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار).

ـ كما برزت مكانته في علم الحديث وجمع فيه الكتب الكثيرة، وأقبل على سماع الحديث، وانطلق بعد ذلك إلى علم الجرح والتعديل، حتى أطلق عليه معاصروه (محدّث العصر).

ـ وبلغ اعتراف الحافظ الإمام ابن حجر العسقلاني بفضل الإمام الذهبي وبراعته إلى درجة أنه شرب ماء زمزم سائلاً الله أن يصل إلى مرتبة الذهبي في الحفظ وفطنته.

ـ قال عنه الإمام تاج الدين السبكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(إنه كان شيخ الجرح والتعديل، ورجل الرجال، وكأنما جُمعت الأمة في صعيد واحد فنظرها، ثم أخذ يعبِّر عنها إخبار من حضرها)[٣].

وكان الذهبي مدرسة قائمة بذاتها، خرَّجت العديد من الحفاظ

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٤١/١٠.
؟ طبقات الشافعية الكبرى ٢١٧/٥.
(٢) من تقديم الدكتور بشار عواد معروف لكتاب (سير أعلام النبلاء)، ص٥١ ـ ٥٤.
(٣) طبقات الشافعية الكبرى ١٠١/٩.

والعلماء، وقد أتاحت له معرفته العظيمة الواسعة بالحديث وعلومه والتاريخ وفنونه مكانة مرموقة بين علماء عصره وتلاميذه[١].

❁ أبرز مؤلفاته:

مؤلفات الإمام الذهبي كثيرة تقارب المائة[٢]، ومن أبرزها:

١ ـ سير أعلام النبلاء، طبع في **٢٣** مجلد مع مجلدين للفهارس[٣].

٢ ـ تاريخ الإسلام.

٣ ـ تذكرة الحفاظ.

٤ ـ الأمصار ذوات الآثار[٤].

٥ ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال.

٦ ـ الموقظة في علم مصطلح الحديث[٥] اختصره من كتاب شيخه الإمام ابن دقيق العيد، المسمى (الاقتراح في بيان الاصطلاح).

٧ ـ معجم الشيوخ الكبير.

٨ ـ المغني في الضعفاء[٦]، في مجلدين.

٩ ـ الكبائر.

---

(١) تقديم: الدكتور بشار معروف، ص٦٨.

(٢) الأعلام ٣٢٦/٥.

(٣) أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: الشيخ شعيب الأرناؤوط.

(٤) طبع بتحقيق الشيخ قاسم علي سعد.

(٥) طبع بتحقيق الشيخ عبدالفتاح أبو غدة.

(٦) طبع بتحقيق الدكتور نور الدين عتر.

١٠ ـ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار.

✵ وفاته:

توفي رَحِمَهُ اللهُ ليلة الاثنين الثالث من ذي القعدة سنة ٧٤٨هـ ودفن في مقبرة الباب الصغير بدمشق، ومن المراثي التي قيلت فيه قول الإمام السبكي رَحِمَهُ اللهُ:

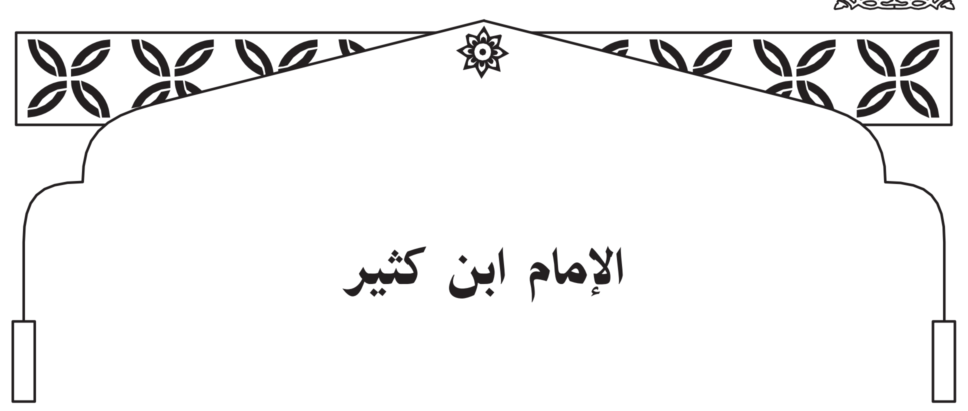
مَن للحديث وللسارين في الطلب
مَنْ بعد موت الإمام الحافظ الذهبي
مَن للرواية للأخبار ينشرها
بين البرية من عُجم ومن عَربِ
مَن للدراية والآثار يحفظها
بالنقد من وضع أهل الغي والكذب
ثبْتٌ صدوقٌ خبيرٌ حافظ يقظٌ
في النقل أصدق أنباء من الكتب[١]

● ولنختم حديثنا عن الإمام الذهبي بتلك الوصية الذهبية التي تمسُّ الحاجة إليها، فقد قال رَحِمَهُ اللهُ: (إذا وقعت الفتن فتمسك بالسنة، والزم الصمت، ولا تخض فيما لا يعنيك، وما أشكل عليك فردَّه إلى الله ورسوله، وقف وقل: الله أعلم)[٢].



(١) طبقات الشافعية ١٠٠/٩.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٤١/٢٠.



الإمام ابن كثير

هو الإمام الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير البصري ثم الدمشقي، ولد سنة ٧٠٠هـ في قرية من أعمال بصرى الشام، وقدم دمشق وله سبع سنين مع أخيه بعد موت أبيه[١].

كان كثير الاستحضار قليل النسيان، وألَّف في صغره، ولازم الحافظ المزي وتزوج بابنته، وسمع عليه أكثر تصانيفه.

● ـ صحب الإمام ابن تيمية وأخذ عنه، وانتشرت فتاويه في البلاد، واشتهر بالضبط والتحرير، وانتهت إليه رئاسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير.

● ـ وقد نظم الشعر، ومن أقواله:

تــمــر بــنــا الأيــام تــتــرى وإنــمــا
نُــســاق إلــى الآجــال والــعــيــن تــنــظــر
فــلا عــائــدٌ ذاك الــشــبــاب الــذي مــضــى
ولا زائــلٌ هــذا الــمــشــيــب الــمــكــدر

---

(١) شذرات الذهب ٦/٢٣١، الأعلام ١/٣٢٠.

● ـ قال عنه تلميذه ابن حجي:

(أحفظُ مَن أدركناه لمتون الأحاديث، وأعرفهم بجرحها ورجالها وصحيحها وسقيمها، وكان أقرانه وشيوخه يعترفون له بذلك، وما أعرف أني اجتمعت به على كثرة ترددي إليه إلا واستفدت منه)(١).

● ـ وقال عنه الإمام الذهبي:

(وسمعت مع الفقيه المفتي المحدث ذي الفضائل عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير.. وله عناية بالرجال والمتون والتفقه، خرَّج وألَّف وناظر وصنَّف، وفسَّر وتقدم)(٢).

● توفي الإمام ابن كثير بدمشق سنة ٧٧٤هـ وعمره ٧٤ عاماً.

❁ أبرز مؤلفاته:

١ ـ تفسير القرآن العظيم، ٤ مجلدات.

٢ ـ البداية والنهاية، ١٤ مجلد انتهى فيه إلى حوادث سنة ٧٦٧هـ. وذكر فيه قصص الأنبياء والأمم الماضية والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي إلى زمنه، ثم ألف (الفتن وأشراط الساعة والملاحم) وهو المقصود بـ (النهاية).

٣ ـ الفصول في اختصار سيرة الرسول ﷺ.

٤ ـ اختصار علوم الحديث لابن الصلاح.

وقد شرحه الشيخ أحمد محمد شاكر في كتابه (الباعث الحثيث).

---

(١) شذرات الذهب ٦/٢٣٢.

(٢) تذكرة الحفاظ ٤/١٥٨.

وقد أفرد بعض المحققين بعض الكتب من كتاب (البداية والنهاية) ومنها:

١ ـ قصص الأنبياء، تحقيق: الدكتور مصطفى عبدالواحد.

٢ ـ شمائل الرسول ﷺ، تحقيق: الدكتور مصطفى عبدالواحد.

٣ ـ النهاية في الفتن والملاحم.

❁ من بدائع أقواله رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حفلت كتب الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ ببدائع الأقوال والحكم، وخاصة كتابه (تفسير القرآن العظيم) ومن أبرز هذه الأقوال:

● ـ قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير آية: (﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾[1] معيشة ضنكاً في الدنيا، فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيقٌ حرجٌ لضلاله، وإن تنعَّم ظاهره ولَبِس ما شاء وأكل ما شاء وسكن حيث شاء، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبةٍ يتردّد، فهذا من ضنك المعيشة)[2].

● ـ وتحدث رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن حسن الخاتمة عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[3]، فقال: (أي: حافظوا على الإسلام في حال صحتكم وسلامتكم لتموتوا عليه، فإن الكريم قد أجرى عادته بكرمه أنه من

---

(١) سورة طه، آية: ١٢٤.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/١٦٨.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٠٢.

عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بُعث عليه، فعياذاً بالله من خلاف ذلك)[١].

● وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في حديثه عن شمائل النبي ﷺ: (الذين اتبعوه لم يتبعوه لرغبة ولا لرهبة، فإنه لم يكن عنده مال يعطيهم، ولا كان له سيف، بل كان السيف والجاه مع أعدائه، وقد آذوا أتباعه بأنواع الأذى وهم صابرون محتسبون، لا يرتدون عن دينهم، لِما خالط قلوبهم من حلاوة الإيمان والمعرفة)[٢].

❁ والد الإمام ابن كثير:

ترجم الإمام ابن كثير لوالده في كتابه (البداية والنهاية)، فقال في أحداث سنة ثلاث وسبعمائة:

(وفيها توفي الوالد، وهو الخطيب شهاب الدين أبو حفص عمر بن كثير.. ولد في قرية يقال لها الشركوين غربي بصرى، في حدود سنة أربعين وستمائة، واشتغل بالعلم.. وأخذ عن النووي والشيخ تقي الدين الفزاري... وقد وُلد له عدة أولاد.. أكبرهم إسماعيل ثم يونس وإدريس.. ثم أنا أصغرهم، وسميت باسم الأخ إسماعيل، لأنه كان قد قدم دمشق، فاشتغل بها بعد أن حفظ القرآن على والده وقرأ مقدمة في النحو.. ثم إنه سقط من سطح الشامية البرانية، فمكث أياماً ومات، فوجد الوالد عليه وجداً كثيراً، ورثاه بأبيات كثيرة، فلما ولدتُ له أنا بعد ذلك سماني باسمه، فأكبر أولاده إسماعيل، وآخرهم وأصغرهم إسماعيل، فرحم الله من سلف، وختم

---

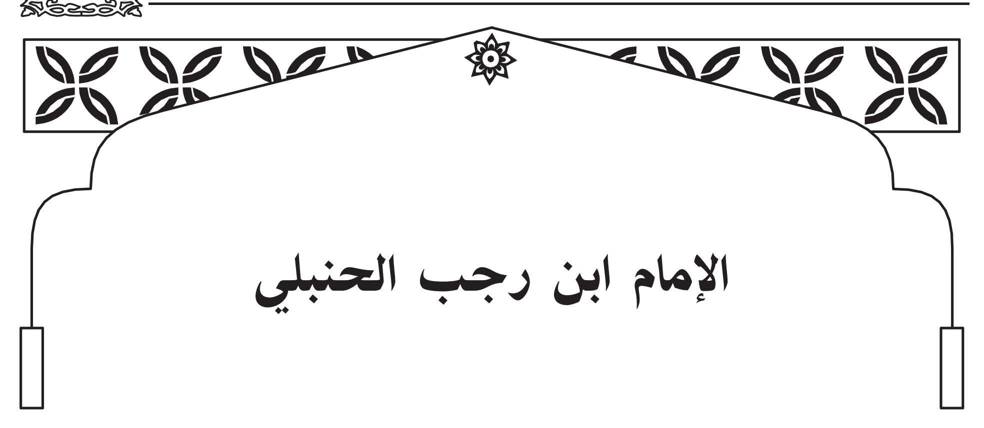
(١) تفسير ابن كثير ٣٨٨/١.

(٢) شمائل الرسول ﷺ، لابن كثير، ص١٣٨.

بخير لمن بقي، توفي والدي سنة ثلاث وسبعمائة في قرية مجيدل، وكنت إذ ذاك صغيراً ابن ثلاث سنين، لا أدركه إلا كالحلم)[١].



(١) البداية والنهاية ٣١/١٤.



الإمام ابن رجب الحنبلي

هو الإمام زين الدين عبدالرحمٰن بن أحمد بن رجب البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب الحنبلي[١].

ولد في بغداد سنة ٧٣٦هـ ونشأ في كنف أسرة علمية، وأقبل يتتلمذ على أبيه، وكان والده يصحبه معه في السماع من الأشياخ، ورحل معه إلى مكة، ثم لازم الإمام ابن قيم الجوزية وغيره من أكابر العلماء.

● ـ وقد وصفه ابن العماد بقوله: (الشيخ الإمام العالم العلامة، الزاهد القدوة البركة، الحافظ العمدة، الثقة الحجة..)[٢].

وبلغ الإمامة في علم الحديث وفنونه، ونبغ في الفقه حتى صار من أعلام المذهب الحنبلي، وصنّف عدداً من المؤلفات في الحديث والفقه والوعظ.

● ـ قال عنه الإمام ابن العماد:

(وكانت مجالس تذكيره للقلوب صادعة، وللناس عامة مباركة نافعة، اجتمعت الفرق عليه، ومالت القلوب بالمحبة إليه)[٣].

---

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٤٢٨/٢، شذرات الذهب ٣٣٩/٦.

(٢) شذرات الذهب ٣٣٩/٦.

(٣) المرجع السابق ٣٣٩/٦.

● ـ وقال عنه الحافظ ابن حجر:

(صنّف شرح الترمذي فأجاد فيه في نحو عشرين مجلداً، وشرح قطعة كبيرة من البخاري، وعمل وظائف الأيام وسماه «اللطائف» بطريق الوعظ، وفيه فوائد، والقواعد الفقهية أجاد فيه)[١].

✵ ومن أبرز مؤلفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١ـ شرح جامع الترمذي ـ في عشرين مجلداً ـ ومعظمه مفقود، وإنما بقي منه (شرح علل الترمذي)[٢].

٢ ـ فتح الباري ـ وهو شرح لصحيح البخاري ـ، وصل فيه إلى كتاب الجنائز، ولم يكمله.

٣ ـ لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف[٣].

٤ ـ ذيل طبقات الحنابلة.

٥ ـ جامع العلوم والحكم ـ شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، ويحتوي على شرح أحاديث الأربعين النووية.

٦ ـ نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس.

٧ ـ كشف الكربة في وصف حال أهل الفرية.

٨ ـ المحجة في سير الدلجة.

٩ ـ الاستخراج في أحكام الخراج.

---

(١) الدرر الكامنة ٤٢٩/٢.

(٢) ينظر تقديم الدكتور حسن عتر في تحقيقه لكتاب (تفسير سورة النصر)، لابن رجب، ص٢٩.

(٣) له طبقات كثيرة، ومن أجودها الطبعة التي حققها الأستاذ ياسين محمد السواس.

١٠ ـ القواعد الفقهية، المسمى: تقرير القواعد وتحرير الفوائد.

١١ ـ فضل علم السلف على الخلف.

١٢ ـ صفة النار والتحذير من دار البوار.

١٣ ـ أهوال يوم القيامة.

١٤ ـ الفرق بين النصح والتعيير.

١٥ ـ تفسير سورة النصر.

١٦ ـ استنشاق نسيم الأُنس من نفحات رياض القدس.

١٧ ـ شرح حديث: «ما ذئبان جائعان».

١٨ ـ شرح حديث: «لبيك اللهم لبيك».

١٩ ـ سيرة عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز.

٢٠ ـ غاية النفع بشرح حديث: «تمثيل المؤمن بخامة الزرع».

٢١ ـ الذل والانكسار للعزيز الجبار.

❋ وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الإمام ابن ناصر الدين: حدثني من حفر لحدَ ابن رجب أن الشيخ زين الدين بن رجب جاءه قبل أن يموت بأيام، فقال لي: احفر لي هاهنا لحداً، وأشار إلى البقعة التي دُفن فيها، قال: فحفرتُ له، فلما فرغ نزل في القبر واضطجع فيه، فأعجبه، وقال: هذا جيد، ثم خرج.

قال: فوالله ما شعرت بعد أيام إلا وقد أُتي به ميتاً محمولاً في نعشه، فوضعتُه في ذلك اللحد[١].

---

(١) شذرات الذهب ٦/٣٤٠.

وقد توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بدمشق ليلة الاثنين رابع من شهر رمضان، سنة خمس وتسعين وسبعمائة.

✵ ومن بدائع أقواله رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

● ـ (السعيد من اغتنم مواسم الشهور والأيام والساعات، وتقرَّب فيها إلى مولاه بما فيها من وظائف الطاعات، فعسى أن تصيبه نفحة من تلك النفحات، فيسعد بها سعادةً يأمن بعدها من النار وما فيها من اللفحات)[1].

● ـ (التوبةَ التوبة قبل أن يصل إليكم من الموت النَّوبة، فيحصل المفرط على الندم والخيبة.. الإنابة الإنابة قبل غلق باب الإجابة.. الإفاقة الإفاقة فقد قَرُب وقت الفاقة.. من نزل به الشيب فهو بمنزلة الحامل التي تمت شهور حملها، فما تنتظر إلا الولادة، كذلك صاحب الشيب لا ينتظر غير الموت، فقبيحٌ منه الإصرار على الذنب)[2].

● ـ (العلم النافع هو ما باشر القلوب، فأوجب لها السكينة والخشية والإخبات لله، والتواضع والانكسار له، وإذا لم يباشر القلب ذلك العلم وإنما كان على اللسان، فهو حجة الله على ابن آدم)[3].

● ـ (من عاش مع الله طاب عيشه، ومن عاش مع نفسه وهواها طال عيشه)[4].

● ـ (إن أحباء الله هم الذين ورثوا طيب الحياة، وذاقوا نعيمها

---

(١) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، ص٤٠.
(٢) المرجع السابق، ص٥٨٧.
(٣) الذل والانكسار للعزيز الجبار، ص٤٥.
(٤) شرح حديث (لبيك اللَّهم لبيك)، ص٦٠.

بما وصلوا إليه من مناجاة حبيبهم، وبما وجدوه من حلاوة حبه في قلوبهم، وما طابت الدنيا إلا بذكره، ولا طابت الآخرة إلا بعفوه، ولا طابت الجنة إلا برؤيته)[١].



(١) شرح حديث (لبيك اللَّهم لبيك)، ص٩٠.

الإمام ابن الجزري

هو الحافظ المقرئ الإمام شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف، المعروف بابن الجزري، نسبة إلى جزيرة ابن عمر قرب الموصل، ولد بدمشق ليلة الخامس والعشرين من رمضان سنة ٧٥١هـ، وتفقَّه بها، وطلب الحديث والقراءات وبرز فيهما، وعمّر للقراء مدرسة سماها دار القرآن، وأقرأ الناس.

قدم القاهرة مراراً، ونزل البحر إلى بلاد الروم سنة ٧٩٨هـ وأخذ أهل البلاد عنه علم القراءات، وتولى قضاء شيراز.

وحضر للحج سنة ٨٢٢هـ وأقام بينبع ثم بالمدينة المنورة ثم بمكة، ورجع إلى العراق، ودخل اليمن تاجراً، ثم دخل القاهرة وأقام بها مدة، إلى أن رجع إلى شيراز[١].

- قال عنه الإمام ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وقد انتهت إليه رياسة علم القراءات في الممالك.. ولهج به أهل اليمن واستكثروا منه.. وحدّث بالقاهرة بمسند أحمد ومسند

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٧/٢٠٥.

الشافعي وغير ذلك.. وعُني بالنظم، وكانت عنايته بالقراءات أكثر.. ونظم قصيدة في القراءات الثلاث، وجمع النشر في القراءات العشر)[١].

● وقال الإمام ابن العماد الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(كان عديم النظير، طائر الصيت، انتفع الناس بكتبه، وسارت في الآفاق مسير الشمس، وتوفي بشيراز في ربيع الأول سنة **٨٣٣**هـ، ودفن بمدرسته التي بناها بها رحمه الله تعالى)[٢].

وشيراز مدينة في جنوب غرب إيران.

✵ مؤلفات الإمام ابن الجزري:

أبدع الإمام ابن الجزري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مؤلفاته ومنظوماته الشعرية ومن أبرز مؤلفاته:

١ ـ النشر في القراءات العشر.

٢ ـ غاية النهاية في طبقات القراء.

٣ ـ التمهيد في علم التجويد.

٤ ـ طيبة النشر في القراءات العشر (منظومة).

٥ ـ المقدمة الجزرية.

٦ ـ الدرة المضية في القراءات الثلاث المتممة للعشر.

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٧/٢٠٥.

(٢) المرجع نفسه.

وقد ذكر في نهايتها أنه نظمها في بلاد نجد عندما كان قادماً للحج، فطوَّقه الأعراب ونهبوا ما معه، ثم قدم إلى مدينة عنيزة فبقي فيها حتى سافر إلى المدينة.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

غـريـبـةُ أوطـانٍ بـنـجـدٍ نـظـمـتُـهـا
وعُـظـمُ اشـتـغـال الـبـالِ وافٍ وكـيـف لا
صُـددتُ عـن الـبـيـت الـحـرام وزَوري الــ
ـمقام الشريف المصطفى أشرفَ الملا
وطـوَّقـنـي الأعـراب بـالـلـيـل غـفـلـةً
فـمـا تـركـوا شـيـئـاً وكِـدتُ لأُقـتـلا
فـأدركـنـي الـلـطـف الـخـفـي وردَّنـي
عُـنـيـزة حـتـى جـاءنـي مـن تـكـفـلا
بـحـمـلـي وإيـصـالـي لـطـيـبـة آمـنـاً
فـيـا رب بـلِّـغـنـي مُـرادي وسَـهِّـلا[١]

● ومن بدائع شعره في مقدمة منظومته طيبة النشر قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وبـعـد: فـالإنـسـان لـيـس يـشـرفُ
إلا بـمـا يـحـفـظـه ويـعـرفُ
لـذاك كـان حـامـلـو الـقـرآن
أشـراف الأمـة أولـي الإحـسـان

(١) متن الدرة المضية، لابن الجزري، ص٤٢.

وإنهم في الناس أهل الله
وإن ربنا بهم يباهي
وقال في القرآن عنهم وكفى
بأنه أورثه من اصطفى[١]

✵ الإمام ابن الجزري يتحدث عن نفسه:

ترجم الإمام ابن الجزري لنفسه وتحدث عن نشأته وطلبه للعلم وشيوخه في كتابه (غاية النهاية في طبقات القراء)[٢] فكان مما قاله رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

- مؤلف هذا الكتاب يكنى أبا الخير، ولد في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة إحدى وخمسين وسبعمائة بدمشق.

- حفظ القرآن سنة أربع وستين، وسمع الحديث، وأفرد القراءات، ثم جمع القراءات سنة ثمان وستين وسبعمائة، وحج في هذه السنة، ثم رحل إلى الديار المصرية فقرأ على شيوخها ثم رجع إلى دمشق وجلس للإقراء تحت النسر من الجامع الأموي سنين، وولي مشيخة الإقراء الكبرى، وقرأ عليه القراءات جماعة كثيرون، وولي قضاء الشام سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة.

- ثم دخل الروم فنزل بمدينة بُرصة، ثم رحل إلى بلاد ما وراء

---

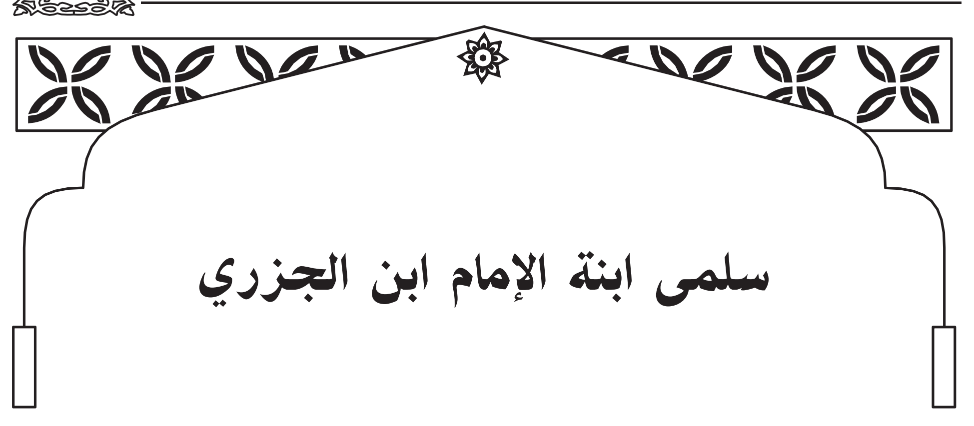
(١) طيبة النشر في القراءات العشر، ص٣١.
(٢) غاية النهاية ٢/٢٤٧.

النهر[1] فقرأ عليه جماعة في سمرقند، ثم دخل أصبهان فقرأ عليه بها جماعة أيضاً، ثم وصل إلى شيراز في رمضان سنة ثمان وثمانمائة فقرأ عليه بها جماعة كثيرون.

ثم رحل إلى البصرة وتوجه معه المولى معين الدين إلى قرية عنيزة من نجد فنظم بها «الدرة في القراءات الثلاث».. وفتح الله تعالى بالمجاورة بالمدينة ومكة وألّف في القراءات كتاب النشر في القراءات العشر وغيره.



(١) هي ما يعرف اليوم بدول آسيا الوسطى، وتضم: طاجيكستان وتركمانستان وقيرغيزستان وأوزبكستان وكازخستان.



سلمى ابنة الإمام ابن الجزري

تحدث الإمام ابن الجزري عن ابنته الحافظة سلمى في كتابه (غاية النهاية) فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ابنتي نفع الله تعالى بها ووفقها لما فيه صلاحها دنيا وأخرى، شرعتْ في حفظ القرآن سنة ثلاث عشرة، وحفظت مقدمة التجويد وعرضَتْها، ومقدمة النحو، ثم حفظت (طيّبة النشر) الألفية، وحفظت القرآن وعرضَته حفظاً بالقراءات العشر، وأكملته في الثاني عشر من ربيع الأول سنة اثنين وثلاثين وثمانمائة[١] قراءة صحيحة مجودة، مشتملة على جميع وجوه القراءات، بحيث وصلت في الاستحضار إلى غاية لا يشاركها أحدِ في وقتها، وتعلمت العروض والعربية، وكتبت الخط الجيد، ونظمت بالعربي والفارسي.

هذا، وهي في ازدياد ـ إن شاء الله تعالى ـ وقرأت بنفسها الحديث، وسمعت مني وعليَّ كثيراً، بحيث صار لها فيه أهلية وافرة، فالله يسعدها ويوفقها لخيري الدنيا والآخرة)[٢].

فتأمل هذه الكلمات الحانية والدعوات المباركة، من أب حافظ

(١) أي قبل وفاة أبيها الإمام ابن الجزري بسنة.
(٢) غاية النهاية في طبقات القراء ١/٣١٠.
وانظر: النقاية من غاية النهاية، للشيخ خالد آل محسوبي، ص١٥٦.

إمام ملأ الدنيا علماً لابنته التي رباها وترقّى بها في درجات العلم والاتقان، وتلقت على يده القراءات القرآنية والحديث، حتى شهد لها بأنها وصلت إلى غاية لا يشاركها أحد في وقتها.

وتحدث الإمام ابن الجزري عن ولده محمد فقال:

(حفظ القرآن وله ثمان سنين، واستظهر الشاطبية والرائية ومنظومتي الهداية، وشرع في الجمع بالعشر عليَّ، فرحلتُ به إلى الديار المصرية، فأدركت به أبا الفتح محمد بن أحمد العسقلاني سنة ثمان وثمانين، فقرأ عليه القراءات)[(١)].

وعندما تحدث الإمام ابن الجزري عن شيخه أحمد بن الحسن السويداوي المصري قال: إنه قرأ عليه (التيسير)، ثم قال: وسمع منه أولادي الثلاثة: محمد وأحمد وعلي[(٢)].

فما أعجب هذا الحرص من الإمام على تربية أبنائه، وإرشادهم إلى طلب العلم حتى اصطحبهم معه ليقرؤوا على شيوخه.

إنها أعظم درس تربوي للعلماء والدعاة أن لا يشغلهم تعليم الناس عن تعليم أهليهم وأبنائهم ليكونوا خير خلف لخير سلف.



---

(١) غاية النهاية ٢/٢٥٢.

(٢) غاية النهاية ١/٤٧.

وينظر: النقاية من غاية النهاية، ص١٠٤.



الإمام ابن حجر العسقلاني

ـ هو الإمام شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني[١] المصري الشافعي المعروف بابن حجر، وهو لقب بعض آبائه، العسقلاني الأصل، المصري المولد والنشأة.

ـ ولد في ثاني عشر من شعبان عام **٧٣٣**هـ.

ـ توفي والده وهو صغير السن فكفله بعض أوصياء والده إلى أن كبر، وحفظ القرآن الكريم، ثم حُبب إليه طلب الحديث فأقبل عليه، وسمع الكثير بمصر وغيرها.

ـ رحل إلى بيت المقدس ودمشق واليمن وجاور بمكة وسمع من شيوخ تلك البلاد، وأقبل على الاشتغال بالتعليم والتصنيف، وبرع في الفقه والعربية، وكان شاعراً، وصار هو المعوَّل عليه في الحديث في سائر الأقطار.

قال عنه الإمام ابن العماد الحنبلي: (قدوة الأمة وعلامة العلماء وحجة الأعلام ومحيي السنة، انتفع به الطلبة، وحضر دروسه وقرأ عليه غالب علماء مصر، ورحل الناس إليه من الأقطار)[٢].

---

(١) شذرات الذهب ٢٧٠/٧، الأعلام ١٧٨/١.

(٢) المرجع السابق ٢٧١/٧.

قال عنه الحافظ أبو المحاسن الحسيني الدمشقي:

(الإمام العلامة الحافظ فريد الوقت مفخرة الزمان، بقية الحفاظ، عَلَم الأئمة الأعلام، عمدة المحققين، خاتمة الحفاظ المبرزين والقضاة المشهورين.. كان لديه ذكاء وسرعة حافظة)[١].

وقال أيضاً:

(ألَّف التآليف المفيدة المليحة الجليلة، السائرة الشاهدة له بكل فضيلة، الدالة على غزارة فوائده، والمعربة عن حُسن مقاصده، جمع فيها فأوعى، وفاق أقرانه جنساً ونوعاً)[٢].

✵ • من أبرز كتبه رحمه الله:

- فتح الباري لشرح صحيح البخاري، وهو كتاب نفيس يقع في ١٤ مجلد.

- تهذيب التهذيب في رجال الحديث ـ ١٢ مجلد.

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ـ ٤ مجلدات.

- هدي الساري مقدمة فتح الباري.

- الإصابة في تمييز الصحابة ـ ٤ مجلدات.

- تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة.

- بلوغ المرام من أدلة الأحكام.

---

(١) ذيل تذكرة الحفاظ، ص٣٢٦.

(٢) المرجع السابق، ص٣٣٢.

ـ القول المسدَّد في الذب عن مسند الإمام أحمد.

ـ لسان الميزان ـ ٦ مجلدات.

ـ التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير ـ مجلدان.

● ـ قال الإمام السخاوي: (انتشرت مصنفاته في حياته وتهادتها الملوك وكتبها الأكابر).

ـ وقد ولاَّه الملك الأشرف قضاء القضاة الشافعية بالديار المصرية، وذلك في محرم سنة ٨٢٧هـ.

● ـ كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ فصيح اللسان شجي الصوت جيد الذكاء راويةً للشعر، ومن شعره:

وأنا الشهاب فلا تعاند عاذلي
إن ملت نحو الكوكب الوقّار

ـ كانت أوقاته مقسمة للطلبة مع كثرة المطالعة والتأليف والتصدي للإفتاء والتصنيف.

● ـ من شيوخه الحافظ العراقي والبلقيني وابن الملقن والفيروزآبادي. ومن تلاميذه الحافظ السخاوي.

✵ وفاته:

ـ توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ٨٥٢هـ ودفن بالرميلة في القاهرة، وكانت جنازته حافلة مشهورة، وعمره ٧٩ سنة.

وقد عادَهُ قاضي القضاة سعد الدين بن الديري في أواخر مرضه فسأله عن حاله، فأنشد أربعة أبيات من قصيدة للإمام أبي القاسم الزمخشري، وهي:

قَـرُب الـرحـيـل إلـى ديـار الآخـرة
فـاجـعـل إلـهـي خـيـر عـمـري آخـره
وارحـم مـبـيـتـي فـي الـقـبـور ووحـدتـي
وارحـم عـظـامـي حـيـن تـبـقـى نـاخـره
فـأنـا الـمـسـكـيـن الـذي أيـامُـهُ
ولَّـتْ بـأوزارٍ غـدتْ مـتـواتـره
فـلـئـن رحـمـتَ فـأنـت أكـرم راحـم
فـبـحـارُ جـودك يـا إلـهـي زاخـرة[1]

✵قرة عين الحافظ ابن حجر:

الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني أكرمه الله ﷻ بالزواج من إحدى النساء الفاضلات ممن فاقت نساء عصرها وهي أُنس بنت عبدالكريم[2]، ووالدها عالم من مشاهير عصره، وهو ابن عبدالعزيز اللخمي، وتزوجها الحافظ ابن حجر سنة (٧٩٨هـ) وعمره آنذاك خمساً وعشرين سنة، وعمر أُنس لا يتعدى الثامن عشر.

ووجد الحافظ ابن حجر عند زوجته حباً شديداً للعلم، وشغفاً للمعرفة، ورغبة للتلقي، فأخذ يعتني بها، ويمهِّد لها سبل العلم، حتى نبغت في علم الحديث، وغدت من المحدثات الفاضلات، كما استدعى لها عدداً من حفاظ العصر من المصريين والشاميين والمكيين واليمنيين لتنال منهم الإجازات العلمية.

وليس بعجيب أن يُعنى الحافظ ابن حجر بزوجته هذه العناية،

---

(١) ذيل تذكرة الحفاظ، ص٣٣٩.

(٢) ينظر تفصيل سيرتها في كتاب (نساء من التاريخ)، أحمد خليل جمعة، ص٢٠٥، وهذه القطوف ملخصة منه.

وهو الذي تتلمذ على مئات العلماء وفيهم أكثر من خمسين امرأة اشتهرن بمختلف المعارف والعلوم، فكان منهن الفقيهات والمحدثات والقارئات.

ولقد علا صيتُ أُنس وسطع نجمها في سماء العلم والمعرفة، فقرأ عليها أكابر العلماء وتتلمذ على يدها عدد كبير من طلاب العلم، وحدَّثت بحضور زوجها ابن حجر.

● وقد أشار الإمام السخاوي إلى تلقيه العلم عن شيخه الحافظ ابن حجر وزوج شيخه أُنس بنت عبدالكريم، فقال: وخرَّجت لها أربعين حديثاً عن أربعين شيخاً، قرأتها عليها بحضوره ـ أي: بحضور ابن حجر ـ.[1]

● وكانت رَحِمَهَاٱللَّهُ تقيم احتفالاً بهيجاً في يوم ختم صحيح البخاري، حيث يشارك فيه الكبار والصغار وأهل محلتها قبيل شهر رمضان، وتوزَّع فيه الحلوى والفاكهة، كما كانت تفيض على طلاب العلم بالعطاء وتكرمهم ترغيباً لهم في المثابرة على طلب العلم.

ومن جواهر أخبارها أنها كانت صافية النفس موصولة القلب بالله عَزَّوَجَلَّ، وكانت ذات دعوة مستجابة، وزادت قرة عين زوجها بها أنها أنجبت خمس بنات هن: زين خاتون، فرحة، غالية، رابعة، فاطمة، خلال خمسة عشر عاماً.

● وكان الحافظ ابن حجر يكرم زوجته إكراماً شديداً لما كانت عليه أخلاقُها العظيمة وشمائلها الكريمة، وقد استصحبها لأداء فريضة الحج عام ٨١٥هـ وكانت شديدة الاحترام والتوقير لزوجها، وكان يبادلها الاحترام نفسه ولا يصبر على فراقها وفراق أولاده وأحفاده،

---

(١) الضوء اللامع للسخاوي ١١/١٢.

ويظهر لنا هذا الشعور جلياً حين رحلته لطلب العلم في بلاد الحجاز، حيث يقول في قصيدة يعبِّر فيها عن شوقه لزوجته وأولاده وأحفاده، جاء في مطلعها:

مَـنْ لـلـديـار عـن مـقـيـلـي شـاسـعـة
وأمـسِ كـانـت لـمـقـالـي سـامِـعـه
أدعـو فـلا يـجـيـبـنـي إلا الـصـدى
رجـعُ الـخـطـابِ لا يـفـيـدُ سـامِـعَـه

ثم يذكر منزله وأولاده وزوجه فيقول:

ومـنـزلاً كـان لـطـرفـي مَـنْـزَهـاً
بـه فُـلـيـذات حـشـايَ هـالـعـهْ
مـحـمـد وأحـمـد ابـن أخـتـه
وأمُّـهُ وأخـتـهـا ورابـعـه
أربـعـةٌ أصـلٌ وفـرعٌ خـامـس
أفـدّيـه بـزهـرةٍ تُـزف يـانـعـه
وأمـهـم جـامـعـةُ الـشـمـل لـهـم
كـأن روحـي بـعـدهـم فـي جـامِـعَـه
يـرتـاح قـلـبـي عـنـد ذكـراهـم
تـهـتـزُّ خـضْـراً لـغُـيـوثٍ هـامـعـهْ

● ولقد ابتليت هذه الزوجة العالمة الفاضلة بابتلاءات فصبرت وسلَّمت أمرها لله ﷻ، حيث فقدت بناتها كلهنَّ يتساقطن بين يديها الواحدة تلو الأخرى وهنَّ في ريعان الصبا، فابنتها الكبرى (زين خاتون) ماتت بالطاعون وهي حامل وعمرها ثلاثون سنة (عام ٨٣٣هـ) وقبل ذلك بأعوام عديدة فقدت ابنتيها غالية ورابعة بالطاعون أيضاً

(عام ٨١٩هـ)، وأما ابنتاها فرحة وفاطمة فقد توعكت كلّ واحدة منهما وماتت، فما ظنك بامرأة تفقد كل أولادها وفلذات أكبادها؟

● وازداد مصابها ـ ومصاب أهل مصر والدنيا كلها ـ بوفاة زوجها الحافظ ابن حجر سنة ٨٥٢هـ، وعاشت بعده قرابة خمسة عشر سنة وفية لزوجها وشيخها، وامتدت حياتها حتى قاربت التسعين وهي لا تفتر عن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ والعلم والإقراء والعطف على طلبة العلم، إلى أن وافاها الأجل عام ٨٦٧هـ رحمها الله رحمة واسعة فقد كانت مثالاً للزوجة التلميذة العالمة.

❁ نماذج من أقوال الإمام ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في (هدي الساري مقدمة فتح الباري بشرح صحيح البخاري):

ـ (إن أَوْلى ما صُرفت فيه نفائس الأيام، وأعلى ما خُص بمزيد الاهتمام، الاشتغال بالعلوم الشرعية المتلقاة عن خير البرية، ولا يرتاب عاقل في أن مدارها على كتاب الله المقتفى، وسنة نبيه المصطفى.. وقد رأيت الإمام أبا عبدالله البخاري في جامعه الصحيح قد تصدّى للاقتباس من أنوارهما البهية تقريراً واستنباطاً.. ورُزق بحسن نيّته السعادة فيما جمع حتى أذعن له المخالف والموافق.. وقد استخرتُ الله تعالى في أن أضم إليه نُبذاً شارحة لفوائده، موضحةً لمقاصده، كاشفة عن مغزاه)[1].

ـ وقال في مقدمة كتابه (الإصابة في تمييز الصحابة):

(توفي النبي ﷺ ومَنْ رآه وسمع منه زيادة على مائة ألف إنسان

---

(١) هدي الساري، ص٣.

من رجل وامرأة، كلهم قد روى عنه سماعاً أو رؤية.. ورتبته على أربعة أقسام:

١ ـ فيمن وردت صحبته بطريق الرواية عنه أو عن غيره، أو وقع ذكره بما يدل على الصحبة.

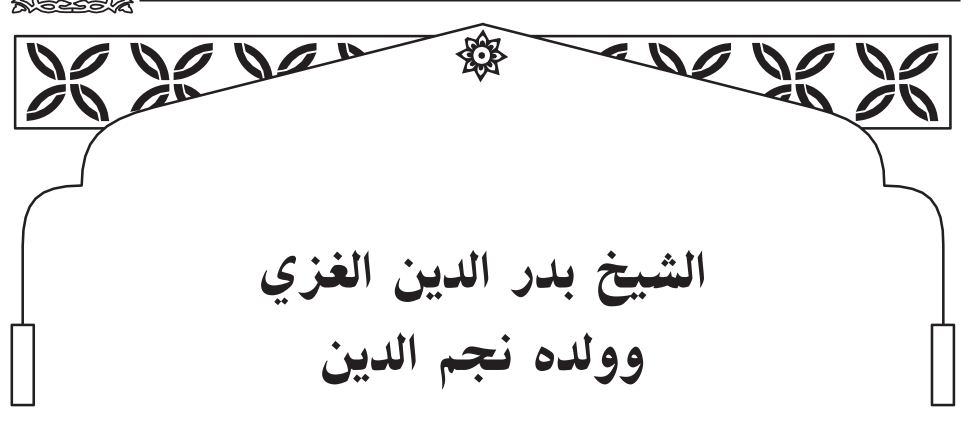
٢ ـ فيمن ذُكر من الصحابة من الأطفال الذين وُلدوا في عهد النبي ﷺ.

٣ ـ فيمن ذُكر من المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، ولم يرد خبر أنهم اجتمعوا بالنبي ﷺ ولا رأوه، وهؤلاء ليسوا أصحابه باتفاق أهل العلم.

٤ ـ فيمن ذُكر على سبيل الوهم والغلط.. وهذا القسم لا أعلم من سبقني إليه).

رحمه الله وجزاه عن أمة الإسلام خير الجزاء.





الشيخ بدر الدين الغزي ووالده نجم الدين

الشيخ بدر الدين أبو البركات محمد بن محمد الغزي الدمشقي[١]، يرجع أصله إلى غزة، ولد بدمشق سنة أربع وتسعمائة، وأحسن والده تربيته وقرأ القرآن العظيم على عدد من المشايخ، وقرأ على الشيخ بدر الدين السنهودي الروايات العشر.

ـ كما درس الفقه والعربية على والده الشيخ رضي الدين والشيخ تقي الدين عجلون، ثم رحل مع والده إلى القاهرة فأخذ عن شيخ الإسلام بها القاضي زكريا الأنصاري، وبقي مع والده في مصر نحو خمس سنوات.

ـ ثم عاد إلى دمشق واجتمعت عليه الطلبة وهو ابن سبع عشرة سنة، واستمر على ذلك إلى الممات مشتغلاً في العلم، تدريساً وتصنيفاً وإفتاء، وتولى مشيخة القراء بالجامع الأموي، وإمامة المقصورة.

---

(١) شذرات الذهب ٤٠٣/٨، الأعلام ٥٩/٧.
وانظر مقدمة الشيخ مشهور حسن سلمان لكتاب (آداب العشرة وذكر الصحبة) للغزي.

● وبلغت تصانيفه في سائر العلوم مائة وبضعة عشر مصنفاً، ومن أشهرها:

ـ المنظوم الكبير في التفسير ـ في مائة ألف بيت وثمانين ألف بيت.

ـ حاشيتان على شرح المنهاج للمحلي.

ـ الدر النضيد في أدب المفيد والمستفيد.

ـ آداب العِشرة وذكر الصحبة والأُخوة.

● ومن أقواله رَحِمَهُ ٱللَّهُ في آداب الصحبة:

(اعلم يا أخي وفقك الله للرغبة في أدب الصحبة، أن أدب الظاهر عنوان أدب الباطن، لقول النبي ﷺ وقد رأى رجلاً يمس لحيته في الصلاة: «**لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه**».. وإذا وجب على العبد مراعاة ظاهره لصحبة الخلق، فمراعاة باطنه أولى، لأنه مُطَّلع الرب تعالى.

ومراعاة باطنه وآدابها بملازمة: الإخلاص، والتوكل، والخوف والرجاء، والرضا والصبر، وسلامة الصدر، وحسن الطويَّة)[١].

❁ الشيخ نجم الدين الغزي:

هو الشيخ نجم الدِّين محمد الغزّي[٢]، محدث الشام ومؤرخها، ابن الشيخ بدر الدين، وقد ولد بدمشق (٩٧٧هـ)، ونشأ فيها حتى

---

(١) آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة، للغزي، ص٦١.

(٢) ينظر كتاب: علماء دمشق وأعيانها في القرن الحادي عشر، تأليف الدكتور محمد مطيع الحافظ، والدكتور نزار أباظة ٦٧/٢ ـ ٨١.

أصبح من كبار العلماء، وقد دعا له والده بعدما كتب ميلاده فقال: (أنشأه الله تعالى وجعله ولداً صالحاً برًّا تقيًّا، وكفاه وحماه من بلاء الدنيا والآخرة، وجعله من عباده الصالحين، وعلمائه العاملين).

وقد نشأ نجم الدين في رعاية والده الذي أحضره دروسه وهو في الرابعة من عمره، وكان يشجعه هو وإخوته على العلم، ويمنحهم المال كلما رأى منهم إقبالاً على التعلم، فلما بلغ السابعة أخذ يقرأ بين يدي والده قصار المفصّل وسورة الفاتحة وأوائل سورة البقرة.

وقد ربّاه هو وإخوته على العبادات، فأمره بصوم رمضان وهو ابن ست سنوات، فصام معظم الشهر، وكان يمنحه عن كل يوم يصومه قطعة نقد فضيّة.

وقد كان للأم دورها الكبير كذلك في رعاية ابنها نجم الدين، حيث أحسنت تربيته وحثَّته هو وإخوته على متابعة سيرتهم العلمية، وحرصت على تعليمهم الصلوات والآداب، وأجازت شيوخهم وكافأتهم.

● انصرف نجم الدين العزي للأخذ عن كبار علماء دمشق في عصره، وأخذ عن بعض محدّثي مكة المكرمة، حتى أتقن القراءات والفقه والأصول والفرائض والتفسير والعربية، وبرع في الحديث، وبه اشتهر، وقد انفرد بعلوِّ الإسناد بآبائه وأجداده.

● حجَّ الشيخ نجم الدين اثنتي عشرة مرة، أولها سنة ١٠٠١هـ وآخرها سنة ١٠٥٩هـ، وفي هذه الأخيرة توافد الناس عليه وازدحموا، فكادوا يسدون عليه الطريق من أجل طلب الإجازة بالحديث النبوي، لشهرته بينهم، وزار القدس في أواخر حياته.

● ومن عجائب أخباره أنه كان يدرِّس في الجامع الأموي وهو

دون البلوغ، وقد تولى بعد ذلك الإمامة والخطابة والوعظ والتدريس، وهو في الخامسة عشرة من عمره، وقد درَّس صحيح البخاري في الجامع الأموي تحت قبة النسر، وكان عمره ثلاث وعشرون سنة.

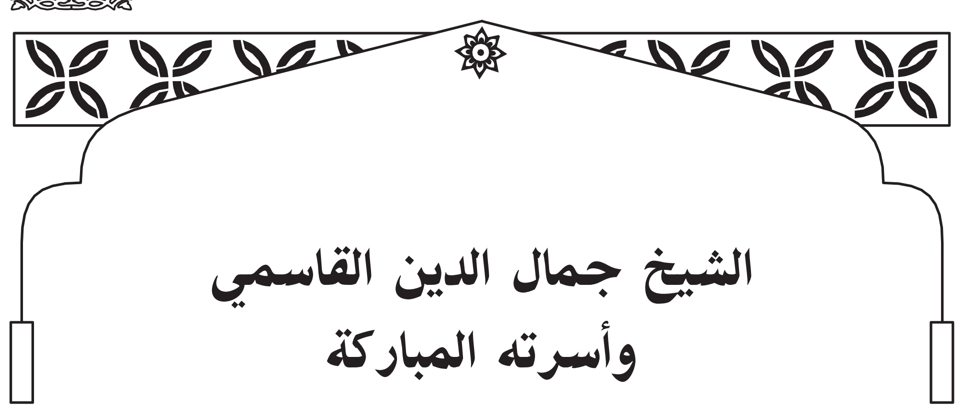
● أَذِن له أستاذه العيثاوي بالفتوى وهو دون العشرين، ولكنه لم يجز لنفسه ذلك بحياة الأستاذ احتراماً له، وكان له مؤلفات كثيرة في مختلف العلوم الشرعية والعربية، وله أشعار عديدة، منها قوله:

تواضع تكن كالنجم لاح لناظرٍ
على صفحات الماء وهو رفيعُ
ولا تكُ كالدخان يعلو بنفسه
إلى طبقات الجو وهو وضيع

● وقبل موته بيوم أو يومين كان قد وصل في تدريس صحيح البخاري إلى باب: (البكاء على الميت) وبعدها اشتد مرضه، فطلع إلى بساتينه، واستبرأ ذمته من فلاّحيه وطلب منهم المسامحة، وزاره أهله وبناته، ثم أتى منزله وصلّى المغرب وجلس يذكر الله ﷻ حتى توفي مستقبل القبلة وهو يسأل عن أذان العشاء، وكان ذلك يوم ١٨ جمادى الآخرة سنة (١٠٦١هـ) الموافق (١٦٥١م).

فما أعظم حياة العلماء العاملين وأكثر مآثرهم وانتفاع الناس بعلومهم وسيرتهم، وما أحوجنا إلى تربية أبنائنا على هذه الخصال الحميدة والأمجاد الفريدة!!





الشيخ جمال الدين القاسمي وأسرته المباركة

ولد الشيخ جمال الدين القاسمي في دمشق سنة ١٢٨٣هـ، وتوفي سنة (١٣٣٢هـ) الموافق ١٩١٤م، وعاش ثمانياً وأربعين سنة، وترك رَحِمَهُ ٱللَّهُ مجموعة كبيرة من المؤلفات المهمة والتصانيف النافعة تجاوزت المائة على صغر سِنِّه وكثرة أعماله.

فقد باشر التدريس وهو في الرابعة عشرة من عمره، وكان تلاميذه الكثيرون يتوافدون عليه في المسجد والمنزل في الليل والنهار، وهو مع ذلك لا ينقطع عن التأليف والتصنيف.

● وقد وقف مرة أمام مقهى امتلأ بأناس يضيعون الوقت في اللهو، فقال لبعض محبيه: (آه كم أتمنى أن يكون الوقت مما يباع لأشتري من هؤلاء جميعاً أوقاتهم).

✵ أبرز مؤلفاته:

ومن أبرز كتبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١ ـ (محاسن التأويل) وهو كتاب في التفسير يقع في سبعة عشر مجلداً.

٢ ـ وكتاب (قواعد التحديث).

٣ ـ وكتاب (موعظة المؤمنين) اختصر فيه كتاب إحياء علوم الدين للغزالي.

٤ ـ جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب.

٥ ـ دلائل التوحيد.

٦ ـ الفتوى في الإسلام.

٧ ـ الفضل المبين على عقد الجوهر الثمين.

كما نشر بحوثاً كثيرة في الصحف والمجلات.

● وقد قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقد اتفق لي بحمد الله تعالى قراءة صحيح مسلم بتمامه روايةً في أربعين يوماً، وقراءة الموطأ كذلك في تسعة عشر يوماً.. فدع عنك أيها اللائم الكسل، واحرص على عزيز وقتك بدرس العلم وإحسان العمل)[١].

● ووالده هو الشيخ محمد سعيد القاسمي (ت١٣١٧هـ) الذي كان من كبار علماء الشام، وكانت له عناية فائقة بتربية أبنائه على طلب العلم ومحبة العلماء، وقد قال مخاطباً ولده الشيخ جمال الدين في بداية طلبه للعلم:

رضـــاءُ الـــلَّـــه يـــا ولـــدي عـــلـــيـــكـــا
وعـــيـــنُ الـــلَّـــه نـــاظـــرة إلـــيـــكـــا
فـــــلازمْ درس أســـــتـــــاذ رشـــيـــدٍ
نـــصـــوح مـــخـــلـــص راضٍ عـــلـــيـــكـــا

---

(١) ينظر مقدمة كتاب (الفضل المبين على عقد الجوهر الثمين) للقاسمي.

لـتـخـرج عـالـمـاً فـي كـل فـنٍ
وتـبـقـى الـنـاس طـوعـاً فـي يـديـكـا

● يقول الشيخ جمال الدين متحدثاً عن والده الشيخ محمد سعيد: (أقدمُ ما وقعت عليه من آثاره مجموع لطيف سماه (السفينة) جمعه عام **١٢٩٩**هـ، وله من العمر ست عشرة سنة، فيه مختارات من مطالعاته في كتب شتى.. ومضى رَحِمَهُ ٱللَّهُ يكتب دون انقطاع في الليل وفي النهار، في القطار، في النزهة، في العربة، في المسجد، في سُدَّته، في بيته.. وقد كان في جيبه دفتر صغير وقلم يقيّد الفكرة الشاردة إذا عنَّت له حيثما كان)[١].

● وأما جده الشيخ قاسم (ت١٢٨٤هـ) فقد كان عالماً فقيهاً محدثاً، تعلم القرآن وأخذه عن أهله بالتجويد والإتقان، وكان في صغره يصحب الشيوخ المسنين والعلماء، وتصدَّر للإقراء والتدريس في حياة شيوخه، وله مؤلفات كثيرة[٢].

● ـ قال الأمير شكيب أرسلان[٣] في ثنائه على الشيخ جمال الدين القاسمي:

(إنه لم يُعط أحد شطر الجمال المعنوي بدرجة المرحوم الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي، الذي كان في هذه الحقبة الأخيرة جمال دمشق، وجمال القطر الشامي بأسره، في غزارة فضله، وسعة

---

(١) من مقدمة الأستاذ عاصم البيطار لكتاب (موعظة المؤمنين) للشيخ جمال الدين القاسمي، ص١٥.

(٢) ينظر كتاب (آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل) للشيخ محمد بن ناصر العجمي.

(٣) هو الأمير شكيب بن حمود أرسلان، عالم بالأدب والسياسة ومؤرخ، ولد عام ١٢٨٦هـ في لبنان، وتوفي عام ١٣٦٦هـ. (الأعلام ٣/١٧٣).

علمه، وشغوف حسِّه، وزكاء نفسه، وكرم أخلاقه، وجمعه بين الشمائل الباهية والمعارف المتناهية..

وإني لأوصي جميع الناشئة الإسلامية التي تريد أن تفهم الشرع فهماً ترتاح إليه ضمائرها، وتنعقد عليه خناصرها، أن لا تقدم شيئاً على قراءة تصانيف المرحوم الشيخ جمال القاسمي)[١].

● ولنختم حديثنا بكلمة بديعة للشيخ جمال الدين القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الثناء على جهود العلماء وهممهم العالية وأياديهم البيضاء، حيث قال:

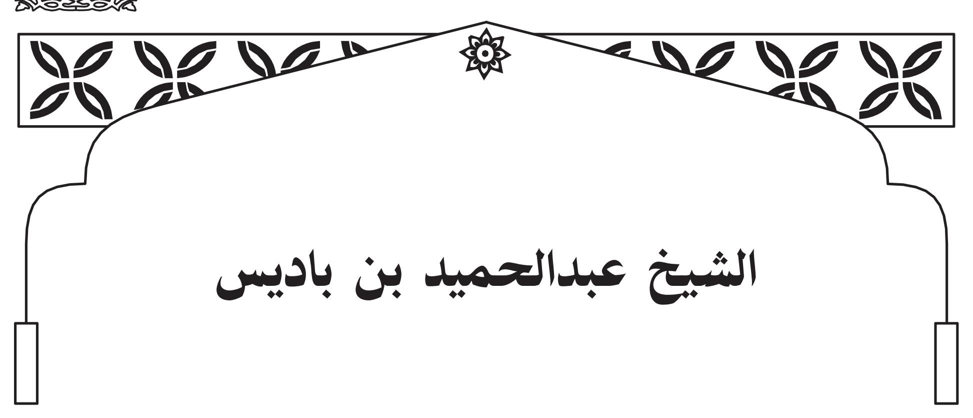
(ومن أين للبليغ أن يُحصي أيادي المحدثين، وهم الذين عشقوا الهدي النبوي دون العالمين، فتتّبعوه ممن بدا وحَضَر، وكابدوا لأخذه أهوال السفر، فكم جابوا صِحارٍ تتلظّى تلظّي الرمضاء، وقطعوا عن العمران فيافي تستدعي اليأس وتروِّع الأحشاء، فحفظوا ووعوْا، ولعهد النَّفْر للتفقه في الدين رعوْا[٢]، ودفعوا عن الدين صنع الوضّاعين وانتحال المفترين.. رحماك اللَّهم، فالاعتراف بمآثرهم الحسنة أمر واجب، أفليست دواوينهم ـ بعد القرآن ـ دعائم الإسلام التي قامت عليها صروحه؟.. فرحم الله تلك الأنفس التي نهضت لتأييد الدين، ورضي عمن أحيا آثارهم من اللاحقين)[٣].



(١) مقدمة كتاب (دلائل التوحيد) للقاسمي، تعليق الشيخ خالد العك، ص٢٣.

(٢) يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة: ١٢٢].

(٣) قواعد التحديث للقاسمي، ص٦٠.



الشيخ عبدالحميد بن باديس

هو الإمام الشيخ العلامة عبدالحميد بن محمد بن باديس الصنهاجي[(١)]، ولد بمدينة قسنطينة بالجزائر ١٠ ربيع الثاني ١٣٠٨هـ الموافق ١٨٨٩/١٢/٤م، وحفظ القرآن الكريم على الشيخ المدَّاسي ولما يبلغ الثالثة عشر من عمره.

ـ وسافر إلى جامع الزيتونة بتونس فتتلمذ على خيرة علمائه كالشيخ محمد النخلي والشيخ الطاهر بن عاشور وغيرهما.

ـ وفي عام ١٩١٢م عاد من تونس ليلقي بعض الدروس في الجامع الكبير بقسنطينة من كتاب (الشفا) للقاضي عياض.

ـ وفي عام ١٩١٣م غادر متوجهاً إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، والتقى في المدينة المنورة بالشيخ محمد البشير الإبراهيمي.

ثم رجع إلى قسنطينة ليباشر التعليم في الجامع الأخضر، فختم تفسير القرآن تدريساً في ربع قرن، كما أتم شرح الموطأ للإمام مالك تدريساً أيضاً.

ـ وفي سنة ١٩٣١م تم تأسيس جمعية العلماء المسلمين

---

(١) ينظر مقدمة تفسير ابن باديس، اعتنى به أبو عبدالرحمٰن محمود ٣٥/١.

الجزائريين، فانتخب الشيخ عبدالحميد رئيساً لها، وأصدر عدة جرائد لتبليغ الدعوة منها: (الشهاب ـ السنّة ـ الشريعة ـ البصائر).

ـ ومن أشهر كتبه تفسير ابن باديس (مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)[١].

● ـ توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ٨ ربيع الأول **١٣٥٩**هـ الموافق **١٦/٤/١٩٤٠**م ودفن في قسنطينة.

ـ وقد أثنى عليه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي[٢] فقال:

(كان للأخ الصديق عبدالحميد بن باديس رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذوق خاص في فهم القرآن، كأنه حاسة زائدة خُصَّ بها، يرفده ـ بعد الذكاء المشرق والقريحة الوقادة والبصيرة النافذة ـ بيان ناصع، واطلاع واسع، وباع مديد في علم الاجتماع، ورأي سديد في عوارضه وأمراضه، يمدُّ ذلك كله شجاعة في الرأي وشجاعة في القول لم يُرزقهما إلا الأفذاذ المعدودون في البشر)[٣].

ـ وقال الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(لا أنسى مجلساً كنا فيه على ربوة من جبل تلمسان في زيارة من زياراته لي، وكنا في حالة حزن لموت الشيخ رشيد رضا[٤]،

---

(١) وهي مجموعة مقالات كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينشرها في مجلة الشهاب من دروسه في التفسير وجمعها السيد أحمد بوشمال أحد تلاميذه الملازمين لدروسه.

(٢) هو العلامة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي من كبار علماء الجزائر، وهو صديق الشيخ عبدالحميد ابن باديس، أنشأ جمعية العلماء، توفي **١٣٨٥**هـ. (الأعلام ٦/ ٥٤).

(٣) من تقديم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي لتفسير ابن باديس ١/ ١١.

(٤) هو العلامة الشيخ محمد رشيد رضا. ولد في القلمون بلبنان عام **١٢٨٢**هـ وتعلم فيها، ثم رحل إلى مصر عام **١٣١٥**هـ فلازم الشيخ محمد عبده، وأصدر مجلة المنار =

فذكرنا تفسير (المنار) وأسفنا لانقطاعه بموت صاحبه، فقلت له: ليس لإكماله إلا أنت، فقال لي: ليس لإكماله إلا أنت، فقلت له: حتى يكون لي علم رشيد، وسَعة رشيد، ومكتبة رشيد.. فقال لي واثقاً مؤكداً: إننا لو تعاونا وتفرغنا للعمل لأخرجنا للأمة تفسيراً.. ولما احتفلت الأمة الجزائرية ذلك الاحتفال الحافل بختمه لتفسير القرآن عام ١٣٥٧هـ.. تجدَّد أمله في أن نتعاون على كتابة تفسير كامل، ولكن العوارض باعدت بين الأمل والعمل سنتين، ثم جاء الموت فباعد بيني وبينه)[١].

● وقد أكرمني الله ﷻ بزيارة مدينة قسنطينة في الجزائر، وزرت قبر الشيخ ابن باديس رَحِمَهُ ٱللَّٰهُ، والتقيت بعدد من تلاميذه ومحبيه، وشهدتُ آثاره المباركة في تلك المدينة الجميلة الحافلة بالعلم والعلماء وحلقات ومراكز تحفيظ القرآن الكريم.

وقد حدثني الشيخ سليم بيدي الجزائري أنه سمع من الشيخ عبدالحق بن باديس، أخو الشيخ عبدالحميد، قصة حصلت في مجلس الشيخ عبدالحميد، فقد جاءه وهو جالس في مجالس التذكير في المسجد بعد صلاة الفجر أحد تلاميذه وهو من الفقراء، فقال للشيخ: إني رُزقت بمولود، ولم أجد شيئاً أقدّمه للأم ووليدها، فقام الشيخ ابن باديس فأعطاه برنوسه (عباءته) وقال له: بِعه واشتر بثمنه ما تحتاجه لأسرتك، فخرج التلميذ وباعه في السوق، فجاء أحد المحبين للشيخ فأعجبه البرنوس، وقال في نفسه: إن هذا البرنوس جميل، ولا يستحقه إلا الشيخ ابن باديس، فاشتراه وأخذه إلى الشيخ في المسجد صلاة العصر، دون علم التلميذ البائع ولا المحب المشتري بالقصة.

= وتفسير القرآن الكريم المسمى (تفسير المنار) توفي سنة ١٣٥٤. (الأعلام ١٢٦/٦).

(١) مقدمة تفسير ابن باديس ١٣/١.

✵ نماذج من أقوال ابن باديس في تفسيره:

● يقول رَحِمَهُ اللَّهُ:

(ليحذر القارئ من السرعة في التلاوة التي تؤدي إلى تخليط كلماته، وتذهب بحلاوته، وتمنع من بقاء أثره في النفس.

وليحذر من ذهاب قلبه مسترسلاً مع خواطره، منصرفاً عن تدبره والتذكر به، وإذا عرضت له الخواطر فليصرفها ليدفعها، وليحمل فكره على تدبر آيات الكتاب، ولا ينقطع عن التلاوة إذا كانت تلك الخواطر لا تفارقه، فإن تصميمه على دفعها مع تكاثرها مِن جهاده لنفسه الذي يثاب عليه، وينتهي به في الأخير إلى الانتصار عليها)[(١)].

● ويقول في خطبة الافتتاح التي ألقاها بالجامع الأخضر مفتتحاً بها درس التفسير:

(عُدنا بفضل الله إلى رياض القرآن المونقة، وأنهاره العذبة المتدفقة، وأنواره الواضحة المشرقة، نتعظ بمواعظه المليِّنة للصخور، ونتعالج بدوائه الشافي لما في الصدور، ونستهدي بهداه الموضِّح للصراط المستقيم، ونستنزل رحمته العامة للمؤمنين)[(٢)].

● وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ [النمل: ١٩].

(صدور ذلك الإنذار البليغ من مثل تلك النملة في ضعفها وصغرها طريفٌ مستظرف، ككل شيء يصدر من حيث لا يُنتظر صدوره، فهذا مبعث تعجب سليمان عليه الصلاة والسلام.

---

(١) تفسير ابن باديس ٨٧/١.

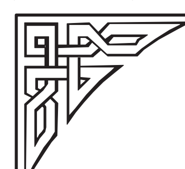
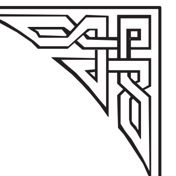
(٢) المرجع السابق ٩٨/١.

وشهادة النملة له ولجنوده بأنهم لو وطئوا النمل لوطئوه عن غير شعور، فهم لرحمتهم وشفقتهم وارتباطهم بزمام التقوى لا يتعمدون التعدي على أضعف المخلوقات العجماء.

هذه شهادة أدخلت السرور على سليمان عليه الصلاة والسلام، لما دلت عليه من ثبوت هذا الوصف العظيم له ولجنده واشتهارهم به. كما بعث سرورَه شعورُه بما آتاه الله من الملك العظيم والعلم الذي لم يؤته غيره، حتى فهِم ما همست به النملة)[١].



(١) تفسير ابن باديس ٢/٢٢٠.

الفصل الثاني
لطائف ومواقف من سير العلماء وأقوالهم

١ ـ لقاء حافل بين معاذ بن جبل وأبي إدريس الخولاني.

٢ ـ كلام الذهبي في الخلاف بين الصحابة الأجلاّء.

٣ ـ مواقف في حياة الليث بن سعد.

٤ ـ الحسرات على فوات الأخذ عن العلماء.

٥ ـ والدة الإمام علي بن المديني.

٦ ـ الإمام القرطبي والحياة مع القرآن.

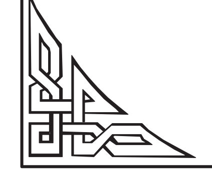
٧ ـ حرص العلماء على تعليم الفتيان.

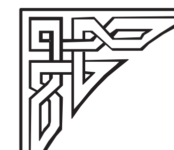
٨ ـ الحرص على مشاعر طلاب العلم.

٩ ـ طلب العلم في الدكان.

١٠ ـ ثبات القاضي أبو بكر محمد بن عبدالباقي.

١١ ـ قد يعثر الجواد.





١٢ ـ الفخر الرازي يتحدث عن نفسه.

١٣ ـ بقايا مصّة الرضاع.

١٤ ـ الحبر في الثياب.

١٥ ـ الجليس الصالح الكافي.

١٦ ـ نداء الرجل مضافاً لاسم أمه.

١٧ ـ أين الطرز من الزهد؟.

١٨ ـ العِقد العجيب والإمام ابن عقيل.

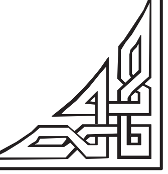
١٩ ـ زوجة الحافظ جمال الدين المزي.

٢٠ ـ الحرص على التصنيف والتأليف.

٢١ ـ بين التدريس والتأليف.

٢٢ ـ حسن الخاتمة للشيخ أبو زهرة.







لقاء حافل
بين معاذ بن جبل وأبي إدريس الخولاني

أبو إدريس الخولاني الدمشقي، تابعي فقيه، ولد عام غزوة حنين، وتوفي سنة ثمانين، واسمه عائذ الله بن عبدالله الخولاني، وكان عالم الشام بعد أبي الدرداء رضي الله عنه[(١)].

وقد حدثنا عن أول لقاء بينه وبين الصحابي معاذ بن جبل رضي الله عنه فقال: (دخلت مسجد دمشق، فإذا فتى برَّاق الثنايا[(٢)]، وإذا الناس معه، فإذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه، وصدروا عن رأيه، فسألت عنه، فقيل: هذا معاذ بن جبل رضي الله عنه.

فلما كان من الغد، هجَّرت[(٣)]، فوجدته قد سبقني بالتهجير، ووجدته يصلي، فانتظرته حتى قضى صلاته، ثم جئته من قِبل وجهه، فسلّمت عليه، ثم قلت: والله إني لأحبك لله. فقال: آلله[(٤)]؟

(١) الأعلام ٣/٢٣٩.

(٢) أي: أبيض الأسنان كثير التبسم.

(٣) هجَّرت: أي بكَّرتُ.

(٤) (آلله) استفهام يراد به القسم، أي: أتحلف أنك تحبني لله؟

فقلت: الله[١] فأخذني بحبوة ردائي[٢]، فجذبني إليه، فقال: أبشر، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تعالى: وجبت محبتي للمتحابين فيَّ، والمتجالسين فيَّ، والمتزاورين فيَّ، والمتباذلين فيَّ**»[٣].



(١) (قلت: الله)، أي: واللهِ إني لأحبكُ لله.

(٢) أي: فتحة ثوبي عند الرأس.

(٣) رواه الإمام مالك في الموطأ بإسناد صحيح (٢/ ٩٥٤) وابن حبان في صحيحه (٥٧٥).

وينظر: دليل الفالحين شرح رياض الصالحين ٢/٢٥٨.



كلام الإمام الذهبي في الخلاف بين الصحابة الأجلاَّء

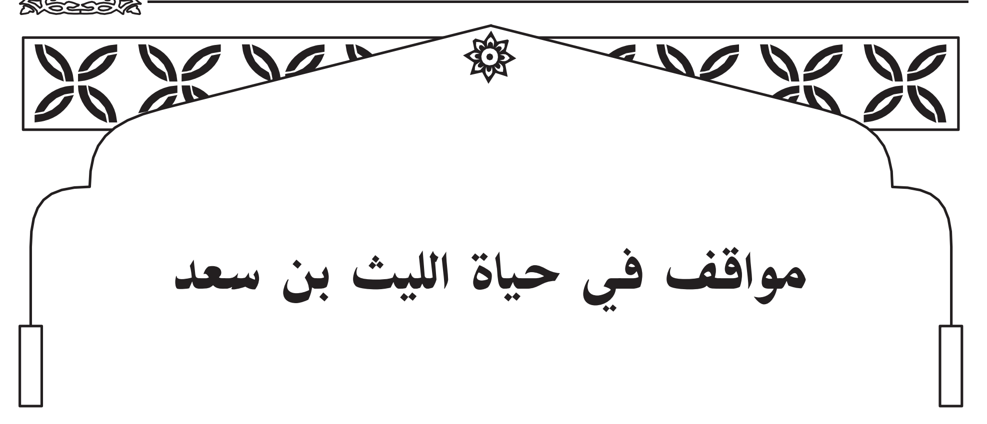
تحدث الإمام الذهبي عن المواقف التي حصلت بين بعض الصحابة الكرام وما شَجَر بينهم، وموقف المسلم تجاه ذلك، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ينبغي الكفُّ عن كثير مما شجر بين الصحابة وقتالهم رضي الله عنهم أجمعين، وما زال يمرُّ بنا ذلك في الدواوين والكتب، ولكن أكثر ذلك منقطع وضعيف، وبعضه كذب.. فينبغي طَيُّه وإخفاؤه، بل إعدامه، لتصفوَ القلوب، وتتوفر على حب الصحابة والترضي عنهم، وكتمان ذلك مُتعيِّن عن العامة وآحاد العلماء، وقد يُرخَّص في مطالعة ذلك خلوةً للعالم المنصف العريِّ من الهوى، بشرط أن يستغفر لهم، كما علَّمنا الله تعالى حيث يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾(١). فالقوم لهم سوابق، وأعمال مُكفِّرة لما وقع منهم، وجهاد محّاءٌ، وعبادة مُمحِّصة، ولسنا ممن يغلو في أحد منهم، ولا ندَّعي فيهم العصمة.. رضي الله عنهم أجمعين.

(١) سورة الحشر، آية: ١٠.

فأما ما تنقله الرافضة وأهل البدع في كتبهم من ذلك، فلا نُعرِّج عليه، ولا كرامة، فأكثره باطل وكذب وافتراء، فدأبُ الروافض رواية الأباطيل، أو ردُّ ما في الصحاح والمسانيد)[١].



(١) سير أعلام النبلاء ١٠/٩٢.



مواقف في حياة الليث بن سعد

الإمام الحافظ عالم الديار المصرية أبو الحارث الليث بن سعد، ولد سنة أربع وتسعين، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقيه مصر ومحدثها[١].

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعت بمكة سنة ثلاث عشرة ومائة من الزهري وأنا ابن عشرين سنة[٢].

جاءت امرأة إلى الليث، فقالت: يا أبا الحارث إن ابناً لي عليل، واشتهى عسلاً، فقال: يا غلام، أعطها مِرطاً من عسل، والمرط: عشرون ومائة رطل، وقال: سألت على قدرها، وأعطيناها على قدر السعة علينا[٣].

توفي الليث للنصف من شعبان سنة خمس وسبعين ومائة.

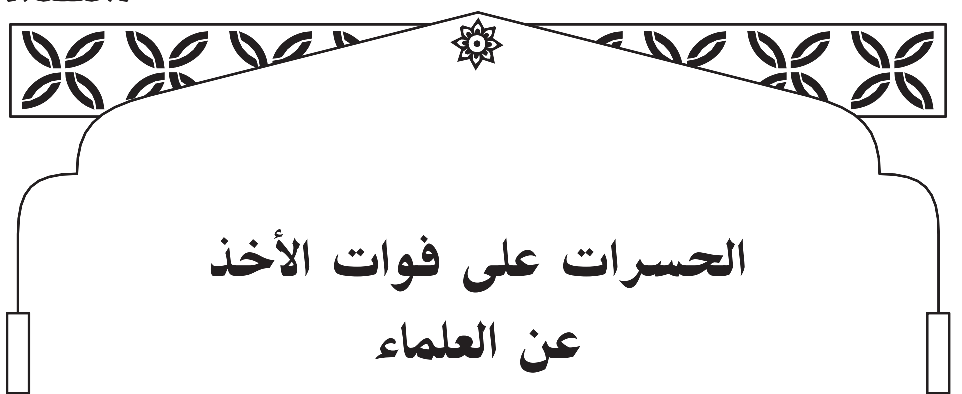
قال خالد بن عبدالسلام الصفدي: شهدت جنازة الليث بن سعد مع والدي فما رأيت جنازة قط أعظم منها، رأيت الناس كلهم عليهم الحزن، وهم يُعزّي بعضهم بعضاً ويبكون، فقلت: يا أبت، كأن كل

(١) سير أعلام النبلاء ١٣٦/٨.
(٢) المرجع السابق ١٤٤/٨.
(٣) المرجع السابق ١٤٩/٨.

واحد من الناس صاحبُ هذه الجنازة، فقال: يا بُني، لا ترى مثله أبداً[(١)].



(١) المرجع السابق ٨/١٦٢.



الحسرات على فوات الأخذ عن العلماء

حرص أسلافنا العلماء على الرحلة في طلب العلم وسماع الحديث من الشيوخ طلباً للسند المتصل وعلوِّ هذا الإسناد، وكان بعضهم يرحل ويقطع مسافات طويلة لطلب حديث واحد.

وقد أشار الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ في صحيحه إلى رحلة الصحابي جابر بن عبدالله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقال:

(ورحل جابر بن عبدالله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مسيرة شهر إلى عبدالله بن أُنيس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في حديث واحد)[١].

● وتحدث الإمام الخطيب البغدادي في كتابه (الرحلة في طلب الحديث) عن رحلات العلماء في طلب سماع أحاديث النبي ﷺ، وعقد فصلاً بعنوان: (ذكر من رحل إلى شيخ يبتغي علو إسناده فمات قبل ظفر الطالب منه ببلوغ مراده)[٢]. وأورد فيه روايات وقصصاً عديدة، ومنها:

---

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الخروج في طلب العلم.
(٢) الرحلة في طلب الحديث، للبغدادي، ص١٦٦، تحقيق: د.نور الدين عتر.

ـ قال الأوزاعي: (خرجت إلى الحسن البصري وابن سيرين، فوجدت الحسن قد مات، ووجدت محمد بن سيرين مريضاً، فدخلنا عليه لقوده، فمكث أياماً ثم مات)[١].

ـ وقال حماد بن سلمة: (قدمتُ مكة، وعطاء بن أبي رباح حيٌّ، فقلت: إذا أنا أفطرت دخلت عليه، فمات في رمضان)[٢].

● ـ والقصة المؤثرة التي جعلت الإمام علي بن عاصم[٣] يبكي لأنه رحل إلى الكوفة ولم يتمكن من اللقاء بأحد الشيوخ للسماع منه.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (خرجتُ من واسط إلى الكوفة أنا وهُشيم لنلقى منصوراً، فدخل هشيم الكوفة بالغداة ودخلتُها بالعشي، فذهب هُشيم فسمع من منصور أربعين حديثاً، ودخلت أنا الحمام، فلما أصبحت مضيت فأتيت باب منصور فإذا جنازة.

فقلتُ: ما هذه؟ قالوا: جنازة منصور.

فقعدت أبكي، فقال لي شيخ هناك: يا فتى ما يبكيك؟

قلت: قدمتُ على أن أسمع من هذا الشيخ وقد مات.

قال: فأدلّك على من شهد عُرس إمِّ ذا؟ قلت: نعم.

قال: اكتب: حدثني عكرمة عن ابن عباس.

فجعلتُ أكتب عنه شهراً، فقلت له: من أنت رحمك الله؟

---

(١) الرحلة في طلب الحديث، ص١٦٨.

(٢) المرجع السابق، ص١٧٢.

(٣) هو الحافظ علي بن عاصم بن صهيب، مسند العراق، ولد سنة ١٠٥هـ، وتوفي سنة ٢٠١هـ.

قال: أنا حصين بن عبدالرحمٰن، وما كان بيني وبين أن ألقى ابن عباس إلا سبعة دراهم، فكان عكرمة يسمع منه ثم يجيء فيحدثني[١].

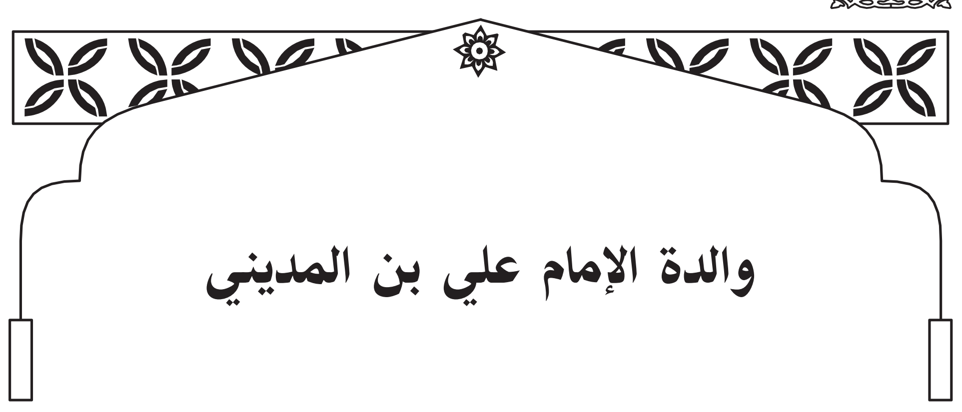
قال الدكتور نور الدين عتر في تعليقه على هذه القصة:

(أي أنه كان عبداً، وكان يكتسب كي يفك نفسه من الرق ليتفرغ لتحصيل العلم، فلم يتمكن من لقاء ابن عباس لاشتغاله بذلك، وحين شارف هذا على افتكاك رقبته، إذ بقي عليه دراهم معدودة، مات ابن عباس.. حقاً إنها لحسرة)[٢].



(١) الرحلة في طلب الحديث، ص١٧٤.

(٢) حاشية كتاب (الرحلة في طلب الحديث)، ص١٧٥.



والدة الإمام علي بن المديني

الإمام علي بن المديني، أمير المؤمنين في الحديث، ولد سنة إحدى وستين ومائة بالبصرة، وتوفي سنة ثلاثين ومائتين[١].

سافر من البصرة إلى اليمن ثلاث سنين لطلب العلم وأمه حية، فلما رجع قالت له: يا بني، فلان لك صديق، وفلان لك عدو.

قال: من أين علمتِ يا أمّه؟

قالت: كان فلان وفلان يجيؤون مسلِّمين، فيعزّوني، ويقولون: اصبري، فلو قدِم عليك سرَّك الله بما ترين، فعلمت أن هؤلاء أصدقاء.

وفلان وفلان إذا جاؤوا يقولون لي: اكتبي إليه وضيِّقي عليه ليقدم[٢].

فتأمل حال هذه الأم المربية الصابرة، التي صبرت على فراق ولدها ثلاث سنين حتى يرجع إليها بالعلم المبارك، ووصفت الذي يصبّرها على طول سفر ابنها بأنه صديق، وأما الذي كان يطلب منها

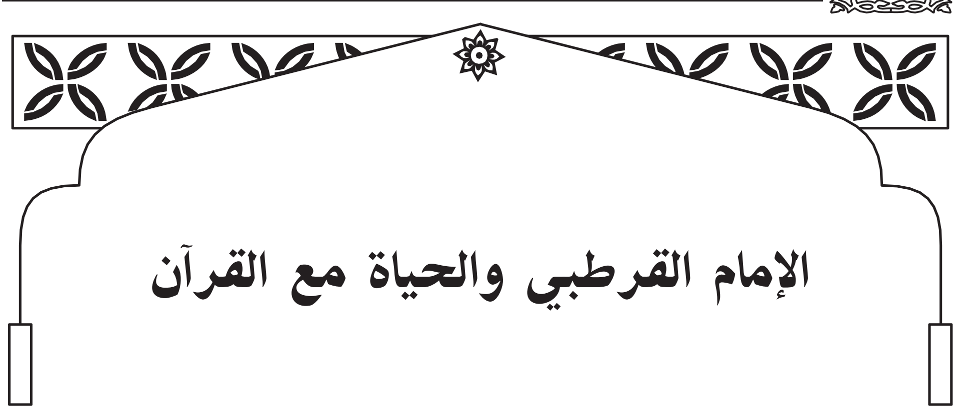
(١) سير أعلام النبلاء ١١/٤١.
(٢) المرجع السابق ١١/٤٩.

أن تكتب لولدها ليقطع رحلته في طلب العلم ويرجع إليها، فقد وصفته بأنه عدو، مع أنه يوافق ما يميل إليه قلبها من شوقها لولدها وحبها له وأملها بأن يكون معها.

إنها الأم الصابرة المربية التي أثمرت تربيتها أمثال علي بن المديني الذي كان إذا قدم بغداد تصدَّر في الحلقة، وجاء ابن معين وأحمد بن حنبل والمُعيطي والناس يتناظرون، فإذا اختلفوا في شيء تكلَّم فيه علي[1]، رحمهم الله جميعاً.



(١) سير أعلام النبلاء ٤٧/١١.



الإمام القرطبي والحياة مع القرآن

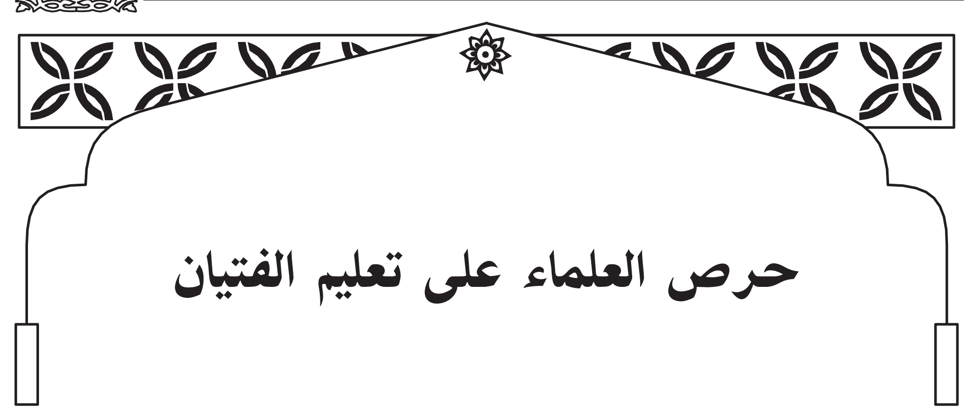
قال الإمام أبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (ت٦٧١هـ) في مقدمة تفسيره (الجامع لأحكام القرآن):

(لما كان كتاب الله هو الكفيل بجميع علوم الشرع، ونزل به أمين السماء إلى أمين الأرض، رأيتُ أن أشتغل به مدى عمري، وأستفرغ فيه مُنيتي[١]، بأن أكتب تعليقاً وجيزاً، يتضمن نُكتاً في التفسير واللغات، والإعراب والقراءات، والرد على أهل الزيغ والضلالات، وأحاديث كثيرة شاهدة لما نذكرهُ من الأحكام ونزول الآيات.. وعملتُه تذكرةً لنفسي، وذخيرة ليوم رَمْسي[٢]، وعملاً صالحاً بعد موتي، قال الله تعالى: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾﴾[٤]...

جعله الله خالصاً لوجهه، وأن ينفعني به ووالدي، ومن أراده بمنِّه إنه سميع الدعاء، قريب مجيب)[٥].

---

(١) أي: قوتي.
(٢) الرَّمس: الدفن والقبر.
(٣) سورة القيامة، آية: ١٣.
(٤) سورة الانفطار، آية: ٥.
(٥) الجامع لأحكام القرآن ٨/١، تحقيق: د.عبدالله التركي.



حرص العلماء على تعليم الفتيان

• روى الحافظ الخطيب البغدادي[١] عن فهد بن عوف قال: جئنا إلى حماد بن سلمة[٢] في يوم حار شديد الحر، وصلينا معه الظهر، وكان حماد صاحب ليل، وظننا أنه صائم، فرحمناه مما به من الجهد، وأجمعنا على أن ننصرف عنه، لا نسأله عن شيء، فتفرقنا.

قال: فركع بعد الفريضة وخرج من المسجد، وصار في الطريق في الشمس، فانبرى له غلامٌ حَدَث، فسأله عن شيء معه، فوقف في الشمس معه يُسائله ويحدثه.

قال: فقال له بعض مشيخة المسجد: يا أبا سلمة، انصرفَ أصحابنا عنك لِما رأوا بك من الضعف، ووقفتَ مع هذا الغلام في الشمس تحدثه!!

قال: رأيتُ في هذه الليلة كأني أسقي فَسيلةً أصُبُّ الماء في أصلها، فتأولت رؤيايَ هذا الغلام حين سألني.

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي ٣١٣/١.

(٢) حماد بن سَلَمة الإمام مفتي البصرة، وأحد رجال الحديث، توفي سنة ١٦٧هـ. (الأعلام ٢٧٢/٢).

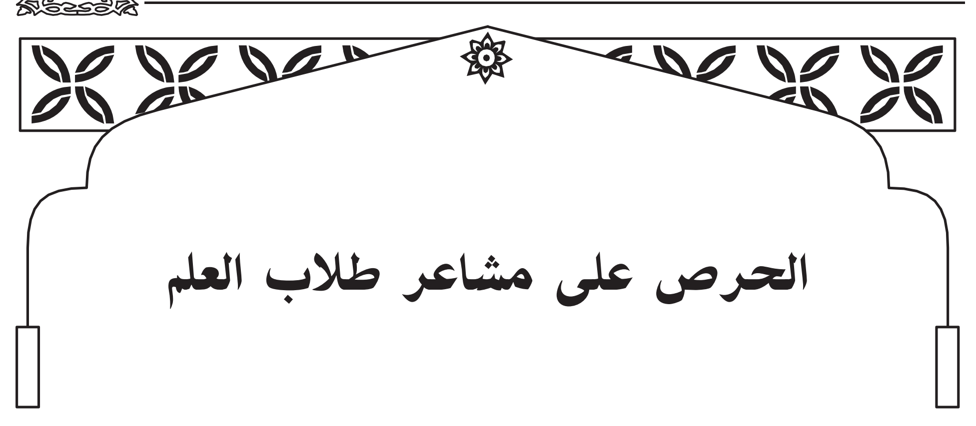
● وعن يحيى بن حميد قال: أتينا حماد بن سلمة، وبين يديه صبيان يحدثهم، فجلسنا إليه حتى فرغ.

فقلنا له: يا أبا سلمة، نحن مشايخ أهلك، قد جئناك، تركتنا وأقبلتَ على هؤلاء الصبيان.

قال: رأيتُ فيما يرى النائم كأني على شط نهر، ومعي دلو أسقي به فسيلاً، فتأولته هؤلاء الصبيان.

أجل، هؤلاء الصبيان والفتيان هم العلماء الذين كبروا وترعرعوا في مجالس العلم، فأصبحت كل فسيلةٍ منهم شجرة باسقة مثمرة تؤتي أُكلها كل حين بإذن ربها.





الحرص على مشاعر طلاب العلم

روى الخطيب البغدادي عن أحمد بن محمد بن الفضل قال:

سمعت هارون بن عبدالله الحمَّال يقول: جاءني أحمد بن حنبل بالليل، فدقَّ عليَّ الباب، فقلت: من هذا؟

فقال: أنا أحمد، فبادرتُ أن خرجتُ إليه، فمسَّاني ومسَّيته.

قلتُ: لك حاجة يا أبا عبدالله؟

قال: نعم، شَغلتَ اليوم قلبي.

قلت: بماذا يا أبا عبدالله؟

قال: جُزتُ عليك اليوم وأنت قاعدٌ تحدّث الناس في الفيء، والناس في الشمس بأيديهم الأقلام والدفاتر.

لا تفعل مرة أخرى، إذا قعدتَ فاقعد مع الناس[1].

ـ تأمل معي هذه المشاعر المرهفة للإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حتى شُغل قلبه وسارع إلى بيت هارون الحمَّال ليلاً ولم ينتظر حتى الصباح!!

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١/٤١١.

إنه مشهد لمجلسٍ علمٍ يجلس فيه الشيخ في الظل والناس حوله يجلسون في الشمس، وهذاً المشهد قد لا يلفت نظر كثير من الناس، لكنه في نظر الإمام أحمد لا يليق بالعالِم، لأنه نوع من التميز في السلوك والمشاعر، وقد يورث في النفس الإحساس بالترفّع والتعالي.

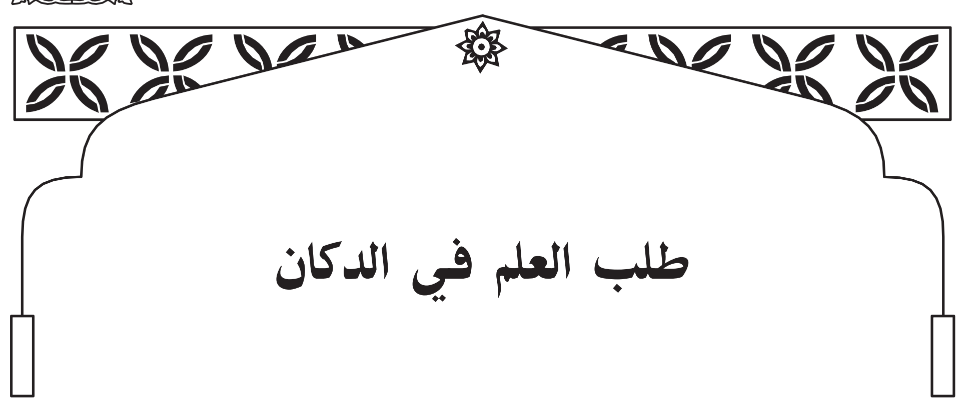
ولهذا سارع ليلاً إلى النصح، بعد أن شُغل قلبه بهذا المشهد، وخشيَ تكراره، مؤكداً على الاهتمام بمشاعر طلاب العلم والشفقة عليهم، ولو كانوا بحاجة لعطاء المعلم ومجالسهِ.

● وتأمل قول الربيع بن سلمان: كان الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يملي علينا في صحن المسجد فلحقته الشمس، فمرَّ به بعض إخوانه فقال: يا أبا عبدالله، في الشمس؟ فأنشأ الشافعي يقول:

أهينُ لهم نفسي لأكرمها بهم
ولن تُكرم النفس التي لا تهينها[1]



(١) جامع بيان العلم وفضله، ص١٤٢.



طلب العلم في الدكان

قال محمد بن فراس العطار: كان الوليد بن عُتبة يقرأ علينا في مسجد باب الجابية، وكان رجلٌ يجيء وقد فاته ثلث المجلس، ربع المجلس، أو أقل أو أكثر، وكان الشيخ يعيده عليه.

فلما كَثُر ذلك على الوليد بن عتبة قال له: يا هذا أي شيء بُليتُ بك، لئن لم تجيء مع الناس من أول المجلس لا أعدتُ عليك شيئاً.

قال: يا أبا العباس، أنا رجل مُعيل، ولي دكان في بيت لِهيا[(١)]، فإن لم أشتر حُويجاتها من غُدوة، ثم أُغلق وأجيء أعدو، وإلا خشيتُ أن يفوتني معاشي.

فقال له الوليد بن عتبة: لا أراك هاهنا مرة أخرى.

فكان الوليد بن عتبة يقرأ علينا المجلس، ويأخذ الكتاب، ويمر إلى بيت لِهيا حتى يقرأ عليه المجلس في دكانه[(٢)].

فتأمل هذه القصة العجيبة لترى حرص طالب العلم على حضور

---

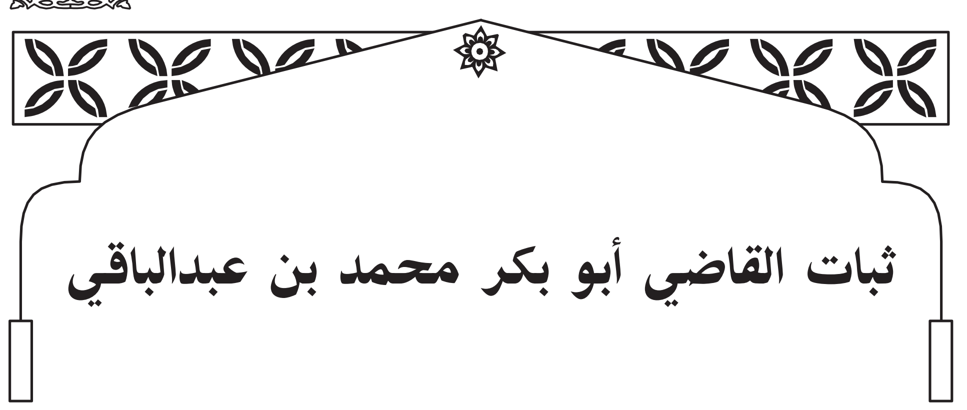
(١) بيت لِهيا (بكسر اللام) قرية مشهورة بغوطة دمشق، تبعد عن باب الجابية الذي فيه المسجد المذكور حوالي ٧ كيلو متر.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢٠٣/١.

المجلس في باب الجابية يومياً بعد أن يقوم بأعماله في دكانه التي تبعد عن باب الجابية حوالي ٧ كيلو متر، ولهذا يأتي المجلس مسرعاً يعدو ويركض لئلا يفوته طلب العلم، مهما كان مشغولاً في الكسب والمعاش.

وتأمل هذا العالم الفاضل الذي يتفقد أحوال تلاميذه ويسأل عنهم، ولما عرف السبب أصبح مبادراً إلى قطع هذه المسافة بعد مشقة الدرس، ليعقد مجلس العلم في الدكان، شفقة على تلميذه، وبذلاً للعلم وابتغاء للأجر.





ثبات القاضي أبو بكر محمد بن عبدالباقي

ـ هو الإمام القاضي أبو بكر محمد بن عبدالباقي الخزرجي الأنصاري، البغدادي، ولد في العاشر من صفر سنة اثنتين وأربعين وأربع مائة[١].

ـ كان إماماً في فنون، وكان يقول: حفظتُ القرآن وأنا ابن سبع، وما من علم إلا وقد نظرتُ فيه، وحصَّلت منه الكل أو البعض.

ـ قال عنه ابن الجوزي: كان ثقة فَهماً، ثبتاً حجة، سمعته يقول: (من خدم المحابر خدمَتْهُ المنابر، يجب على المعلم أن لا يعنِّف، وعلى المتعلم أن لا يأنف).

ورأيته بعد ثلاث وتسعين سنة صحيح الحواس لم يتغير منها شيء، ثابت العقل، يقرأ الخط الدقيق من بُعد.. وبقي بعد مرضه ثلاثة أيام لا يفتُر من قراءة القرآن إلى أن توفاه الله ﷻ ثاني رجب سنة خمس وثلاثين وخمس مائة.

ـ قال السمعاني: قال لي: أسَرتني الروم، وكانوا يقولون لي: قل: المسيح ابن الله حتى نفعل ونصنع في حقك، فما قلت[٢].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢٠/٢٣ ـ ٢٨.

(٢) شذرات الذهب ١٠٨/٤، البداية والنهاية ٢١٧/١٢.



قد يعثُر الجواد

تأمل هذا الموقف الذي تعرَّض له الإمام أبو الحسن علي بن حمزة الكِسائي (المتوفى سنة ١٨٩هـ) شيخ القراءة والعربية، حيث يقول: (صليت بالرشيد، فأخطأت في آية ما أخطأ فيها صبي، قلت: (لعلهم يرجِعين) فوالله ما اجترأ الرشيد أن يقول: أخطأت، ولكن قال: أيُّ لغة هذه؟

قلت: يا أمير المؤمنين قد يعثر الجواد.

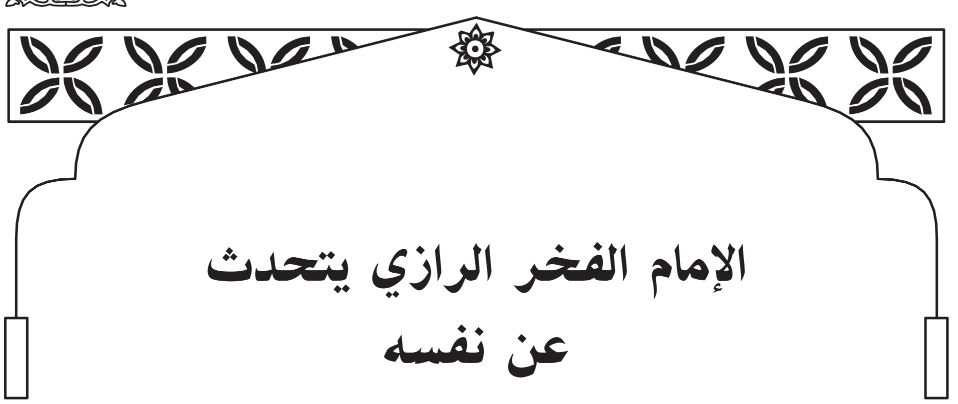
قال: أما هذا فنعم[١].

وفي (تاريخ بغداد) قوله:

(صليت بهارون الرشيد، فأعجبتني قراءتي، فغلطت في آية ما أخطأ فيها صبي قط، أردت أن أقول: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ فقلت: (لعلهم يرجعين)[٢]...



(١) سير أعلام النبلاء ٩/١٣٣.
(٢) تاريخ بغداد ١١/٤٠٧.



الإمام الفخر الرازي يتحدث عن نفسه

● قال الإمام فخر الدين الرازي[١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سياق تفسيره لقول الله عَزَّ وَجَلَّ حكاية عن قول يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾[٢]:

(والذي جربتُه من أول عمري إلى آخره؛ أن الإنسان كلما عوّل في أمر من الأمور على غير الله صار ذلك سبباً إلى البلاء والمحنة والشدة والرزية، وإذا عوَّل العبد على الله ولم يرجع إلى أحد من الخلق حصل ذلك المطلوب على أحسن الوجوه.

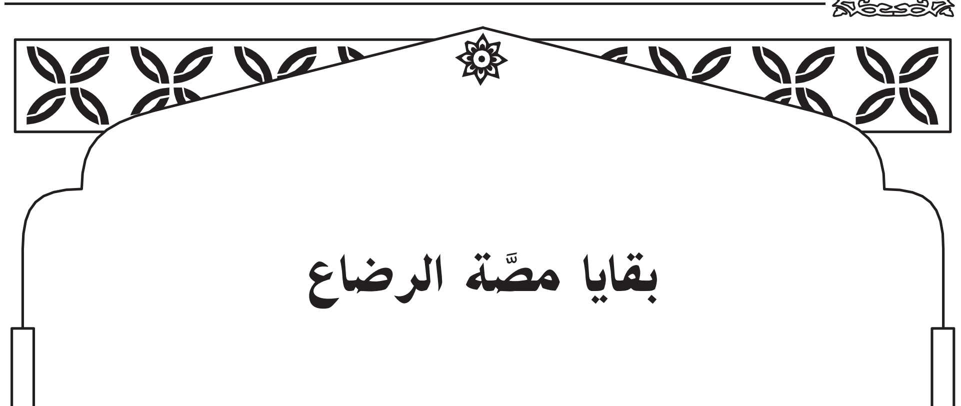
فهذه التجربة قد استمرت لي من أول عمري إلى هذا الوقت الذي بلغت فيه إلى السابع والخمسين، فعند هذا استقر قلبي على أنه لا مصلحة للإنسان في التعويل على شيء سوى فضل الله تعالى وإحسانه)[٣].

---

(١) هو الإمام محمد بن عمر، فخر الدين الرازي، أصله من طبرستان، من أبرز كتبه التفسير الكبير المسمى (مفاتيح الغيب) توفي ٦٠٦هـ. (الأعلام ٣١٣/٦).

(٢) سورة يوسف، آية: ٤٢.

(٣) مفاتيح الغيب ٤٢٨/١٨.



بقايا مصّة الرضاع

الإمام أبو المعالي الجويني، ولد سنة تسع عشرة وأربعمائة، واعتنى به والده من صغره، وحرص على أن لا يطعمه ما فيه شبهة، فلم يمازج باطنه إلا الحلال الخالص.

ويُحكى أنه تلجلج مرة في مجلس مناظرة، فقيل له: يا إمام، ما هذا الذي لم يُعهد منك؟

فقال: ما أراها إلا آثار بقايا المصّة.

فقيل: وما نبأ هذه المصّة؟

قال: إن أمي اشتغلت في طعام تطبخه لأبي، وأنا رضيع، فبكيتُ، وكانت عندنا جارية مرضعة لجيراننا، فأرضعتني مصة أو مصّتين، ودخل والدي فأنكر ذلك، وقال: هذه الجارية ليست ملكاً لنا، وليس لها أن تتصرف في لبنها، وأصحابها لم يأذنوا في ذلك، وقلبني وفوَّعني حتى لم يدع في باطني شيئاً إلا أخرجه.

وهذه اللَّجلجة من بقايا تلك الآثار.

ويعلّق الإمام السبكي على هذه القصة قائلاً:

(فانظر إلى هذا الأمر العجيب، وإلى هذا الرجل الغريب، الذي

يحاسب نفسه على يسيرٍ جرى في زمن الصبا الذي لا تكليف فيه)[١].

وفي هذه القصة درس تربوي لكل مسلم في أهمية الحرص على الحلال، ومحاسبة النفس على كل لقمة وكلمة وخطوة.



(١) طبقات الشافعية الكبرى، للإمام السبكي ١٦٨/٥.

الحبر في الثياب

يستخدم العلماء وطلاب العلم المحابر لكتابه الحديث ومختلف العلوم، ويحرصون على أجود أنواعه ليكون أثبت في الكتابة وأبقى. وقد نقل الحافظ الخطيب البغدادي في كتابه (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع) جملة من الروايات في هذا المجال[١]، ومنها:

ـ قال أحمد بن مهدي: أردت أن أكتب كتاب (الأموال) لأبي عبيد[٢] فخرجت لأشتري ماء الذهب، فلقيت أبا عبيد، فقلت: يا أبا عبيد أريد أن أكتب كتاب الأموال بماء الذهب، فقال: اكتب بالحبر فإنه أبقى.

● وعادة ما يصاب الثوب بنقاط من الحبر عند الكتابة، مهما حاول الكاتب أن يتلافى ذلك لأنه يكتب ساعات طويلة، وهذا الحبر في الثياب ليس مَعيباً وإنما هو دلالة على المثابرة وطول الدراسة.

ـ قال عبدالله بن أحمد بن حنبل: حدثني أبي قال: رآني

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢٥٠/١.

(٢) هو الإمام القاسم بن سلّام الهروي الأزدي، أبو عبيد، من علماء الحديث والفقه، ولد في هراة سنة ١٥٧هـ ورحل إلى بغداد ثم مصر، وتوفي بمكة سنة ٢٢٤هـ. (الأعلام ١٧٦/٥).

الشافعي وأنا في مجلسه، وعلى قميصي حبر، وأنا أخفيه، فقال: يا فتى لمَ تخفيه وتستره؟ إن الحبر على الثوب من المروءة، لأن صورته في الأبصار سواد، وفي البصائر بياض.

ـ وقال عبدالله بن المبارك: الحبر في الثياب خَلُوق[١] العلماء.

ـ وقال أبو الوليد بن بُرد: سمعت أبي يقول: مثل الحبر والمِداد في ثوب الرجل من أصحاب الحديث مَثلُ القِلادة في عنق الجارية.

ـ وقال خالد بن يزيد: الحبر في ثوب صاحب الحديث مَثلُ الخَلوق ـ أي: الطيب ـ في ثوب العروس.

● وقد أورد الخطيب البغدادي روايات عديدة في الثناء على المحابر وأدوات الكتابة والنسخ، وحرص العلماء عليها وافتخارهم بها، ومنها قول سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (المحبرة رأس مالٍ كبير).

وقول جعفر بن أبي عثمان قال: سمعت يحيى بن معين يقول: (إظهار المحبرة عزٌ).

وقول إبراهيم بن العباس الكاتب: (القلم الرديء كالولد العاق).

وقول هشام بن الحكم: (ببريق الحبر تهتدي العقول إلى خبايا الحِكم).

(١) خَلوق: أي الطِيب والعطر.

● ومن الطرائف قول محمد بن عبيد الله: (خاصم بعض الورَّاقين امرأته، فدعت عليه وقالت: أبلاك الله بقلمٍ حَفيّ، وسكين صَدِيٍّ، وورق رديّ، ونوم نديّ، وسراج ينطفي).

فتأمل كيف يكون حال هذا الورَّاق الذي يعمل على النسخ والكتابة إذا كان هذا حال قلمه الذي يكتب فيه، وسكينه التي يبري بها القلم، وورقه الرديء، ثم فوق هذا كله يغلب عليه النوم وينطفئ سراجه!!





الجليسُ الصالح الكافي

من أبرز الكتب التي جمعت بين الفوائد والمعارف، ونوادر الأخبار والأشعار، كتاب: (الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي) للإمام أبي الفرج معافى بن زكريا النهرواني الجريري (المتوفى سنة ٣٩٠هـ)، وقد تحدث المؤلف عن سبب تأليفه لهذا الكتاب فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما ملخصه:

(إنني منذ مدة مضت فكَّرت في أشياء من عجائب خلق الله وحكمه، وأياديه ونعمه.. وما قد فشا في الناس من التظالم والتحاسد، والتقاطع والتباعد، وأنَّ ما هو أولى بهم من الأُنس للمجالسة قد فارقوه إلى الاستيحاش للمنافسة.. ثم تطلعتُ إلى جليس طمعاً في أُنس وسَلْوة، فأعْوَزَني ذو لبٍ وعقل.. فَلاحَ لي أن أُنشىءَ كتاباً أضمِّنه أنواعاً من الجِد الذي يُستفاد ويعتمد عليه، ومن الهزل في أثنائه ما يَسُرُّ استماعه ويُستراح إليه، وأن أُضمِّنه علوماً غزيرة وآداباً كثيرة، وأجعله مجالس موزعة على الأيام والليالي..)[١].

ثم قال:

(وقد صنَّف في نحو هذا الكتاب جماعة من أهل العلم والأدب

(١) الجليس الصالح الكافي ١/ ١٦٠.

كُتباً على أنحاء مختلفة... وسمَّى بعض هؤلاء ما ألَّفه: (الجواهر)، وبعضهم: (زاد المسافر)، وبعضهم: (الزَّهرة)، وبعضهم: (أُنس الوحدة).. وقد سميتُ كتابي (الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي) وأودعتُه كثيراً من فنون العلم والأدب، على غير حصرٍ بفصول وأبواب، وضمنتُه كثيراً من محاسن الكلام وجواهره، ومِلَحِه ونوادره، وذكرتُ فيه أصولاً من العلم أتبعتُها شرحَ ما يتشعبُ منها ويتصل بها، بحسب ما يحضر في الحال، مما يُؤمَن معه الملال).

ثم يتحدث عن أهمية الكتب النافعة في حياة الإنسان، فيقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إنه بمنزلة جليس كامل، وأنيس فاضل، وصاحب أمين عاقل.. حاضرٌ نفعُه، مأمونٌ ضُرُّه، ينشط بنشاطك فينبسط إليك، ويملُّ بملالك فينفضُّ عنك، إن أدنيتَه دنا، وإن أنأتيه نأى، لا يبغيك شراً، ولا يفشي لك سراً، ولا ينمُّ عليك، ولا يسعى بنميمة إليك، ولهذا قال بعضهم:

نِعم المصاحبُ والجليس كتابُ
تلهو به إن خانك الأصحابُ
لا مُفشياً عند القطيعة سرَّهُ
وتُنال منه حكمةٌ وصواب

وقال آخر:

لنا جُلساء ما نملُّ حديثهم
ألبَّاء مأمونون غيباً ومشهدا
يفيدوننا من علمهم طَرْف حكمةٍ
ولا نتقي منهم لساناً ولا يدا



نداء الرجل مضافاً لاسم أمه

الإمام إسماعيل بن إبراهيم بن مِقْسَم الإمام الحافظ المولود سنة عشر ومائة كان مشهوراً بابن عُلَيَّة، وهي أمه.

وكان يقول: من قال: ابن عُلية فقد اغتابني.

قال الإمام الذهبي معلقاً على ذلك:

(هذا سوء خُلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، شيء قد غلب عليه، فما الحيلة؟ وقد دعا النبي ﷺ غير واحد من الصحابة بأسمائهم مضافاً إلى الأم، كالزبير ابن صفية، وعمار ابن سُمية)[١].

ـ ثم أورد الإمام الذهبي عن عبدالله بن زُرارة قوله: (صحبت ابن علية أربع عشرة سنة فما رأيته تبسم فيها).

وعلق الذهبي على ذلك قائلاً: (ما في هذا مدح، ولكنه مُؤْذِن بخشية وحُزن)[٢].

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٠٨/٩.

(٢) المرجع السابق ١٠٩/٩.

الإمام أبو الحسن القزويني

ـ هو الإمام أبو الحسن علي بن عمر القزويني البغدادي، ولد سنة **٣٦٠**هـ، وتوفي في بغداد سنة **٤٤٢**هـ.

ـ كان علماً في الزهادة والصلاح والعلم.

ـ لم يزل يقرئ القرآن ويحدّث الحديث إلى أن مات.

ـ كانت له كرامات معروفة.

ـ ذكر الماوردي أنه صلى خلف القزويني فرأى عليه قميصاً نقياً مطرزاً فقال في نفسه: أين الطرز من الزهد؟

فلما سلم قال: سبحان الله ـ الطرز لا ينقض حكم الزهد[١].



(١) سير أعلام النبلاء ٦٠٩/١٧ ـ ٦١٣.



العِقد العجيب والإمام ابن عقيل

حصلت للإمام أبي الوفاء علي بن عقيل البغدادي[١] قصة عجيبة، يتحدث عنها فيقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(حججتُ، فالتقطتُ عقد لؤلؤ في خيط أحمر، فإذا شيخ أعمى ينشده، ويبذل لمن رآه مائة دينار، فرددتُه عليه، فقال: خذ الدنانير، فامتنعت، وخرجتُ إلى الشام، وزرت القدس، وقصدتُ بغداد، وأويتُ بحلب إلى مسجد وأنا بردانٌ جائع، فقدَّموني، فصليتُ بهم، فأطعموني، وكان أول رمضان، فقالوا: إمامنا توفي فصلِّ بنا هذا الشهر، ففعلتُ.

فقالوا: لإمامنا بنتٌ، فزُوِّجت بها، فأقمت معها سنة، وأولدتُها ولداً ذكراً، فمرضت في نفاسها، فتأملتُها يوماً، فإذا في عنقها العقد بعينه بخيطه الأحمر، فقلت لها: لهذا قصة، وحكيتُ لها، فبكتْ، وقالت: أنتَ هو والله، لقد كان أبي يبكي، ويقول: اللهم ارزق بنتي مثلَ الذي ردَّ العقد عليَّ، وقد استجاب الله له، ثم ماتت، فأخذتُ العِقد والميراث، وعدتُ إلى بغداد)[٢].

---

(١) هو الإمام أبو الوفاء علي بن عقيل البغدادي، شيخ الحنابلة، ولد سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة، وتوفي سنة ثلاث عشرة وخمسمائة. (سير أعلام النبلاء ٤٤٣/١٩).

(٢) سير أعلام النبلاء ٤٤٩/١٩.

فتأمل كيف استجاب الله دعاء صاحب العِقد بعد حين من الزمن، فيسَّر انتقال الإمام ابن عقيل من بلد إلى بلد حتى دخل مدينة حلب وهو فقير جائع، فتزوج ابنة صاحب العقد وورث منها العِقد، ومن ترك شيئاً لله عوَّضه الله خيراً منه.





زوجة الحافظ جمال الدين المزي

تحدث الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن زوجة شيخه الحافظ جمال الدين المزي[١] في أحداث سنة ٧٤١هـ في كتابه (البداية والنهاية) فقال: (وفي أول شهر جمادى الأولى توفيت الشيخة العابدة الصالحة العالمة قارئة القرآن، أم فاطمة عائشة بنت إبراهيم بن صديق، زوجة شيخنا الحافظ جمال الدين المزي.. وصُليَّ عليها ودفنت غربي قبر الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمهم الله.

كانت عديمة النظير في نساء زمانها، لكثرة عبادتها وتلاوتها، وإقرائها القرآن العظيم بفصاحة وبلاغة وأداء صحيح، يعجز كثير من الرجال عن تجويده، وختَّمت نساء كثيراً، وقرأ عليها من النساء خلق، وانتفعن بها وبصلاحها ودينها وزهدها في الدنيا، وتقلّلها منها، مع طول العمر، بلغت ثمانين سنة أنفقتها في طاعة الله صلاةً وتلاوةً، وكان الشيخ محسناً إليها، مطيعاً لا يكاد يخالفها، لحبهِ لها طبعاً

(١) هو الإمام جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبدالرحمٰن الدمشقي، ولد بظاهر حلب ونشأ بالمزة، ومن أبرز كتبه (تهذيب الكمال في أسماء الرجال) توفي سنة ٧٤٢هـ. (تذكرة الحفاظ للذهبي ١٤٩٨/٤).

وشرعاً، فرحمها الله وقدّس روحها، ونوّر مضجعها بالرحمة)[١].

رحم الله الإمام المزي وزوجته الفاضلة، ووفَّق الله نساء المسلمين للاقتداء بها في علمها وفضلها وتفرغها لإقراء القرآن الكريم وتعليمه.



(١) البداية والنهاية ١٤/١٨٩.



الحرص على التأليف والتصنيف

قال الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(رأيت من الرأي القويم أنَّ نفع التصانيف أكثر من نفع التعليم بالمشافهة، لأني أشافهُ في عمري عدداً من المتعلمين، وأشافه بتصنيفي خلقاً لا تحصى ما خُلقوا بعد.

فينبغي للعالم أن يتوفر على التصانيف إن وُفِّق للتصنيف المفيد، فإنه ليس كل من صنّف صنّف.

وينبغي اغتنام التصنيف وسط العمر، لأن أوائل العمر زمن الطلب، وآخره كلال الحواس[١].

فإن تمت له الثمانون فليجعل همته كلها مصروفة إلى تنظيف خلاله، وتهيئة زاده، وليجعل الاستغفار حليفه، والذكر أليفه، وليدقق في محاسبة النفس وبذل العلم.. وليبالغ في إبقاء أثره قبل رحيله، مثل بثِّ علمه، وإنفاق كتبه، وشيء من ماله.

وبعدُ فمن تولاه الله عَزَّ وَجَلَّ علَّمه، ومن أراده ألهمه)[٢].

---

(١) كلال الحواس: ضعفها.

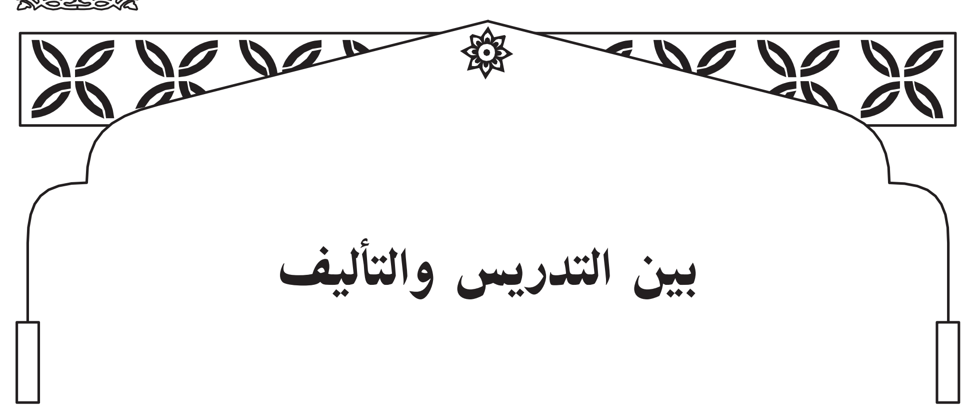
(٢) صيد الخاطر، ص٢١٠.

ـ وقال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وينبغي أن يكون اعتناؤه من التصنيف بما لم يُسبق إليه أكثر، والمراد بهذا أن لا يكون هناك مصنَّف يغني عن مصنَّفه في جميع أساليبه، فإن أغنى عن بعضها فليصنف من جنسه ما يزيد زيادات يُحتفل بها، مع ضم ما فاته من الأساليب)[١].



(١) المجموع، للنووي ١/٣٠.



بين التدريس والتأليف

ما أكثر طرق الخير ونفع العباد التي يَحْسن بالعالم والداعية أن يحرص عليها، ولكنه أحياناً يُشغل ببعضها عن الآخر، كلها خير وبركة، ولقد تحدث علاّمة حلب الشيخ محمد راغب الطباخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] عن مآثر الشيخ محمد الزرقا[2] (المتوفى سنة ١٣٤٣هـ) فكان مما قاله:

(أما ما يؤسف عليه منه فهو أنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ عمَّر طويلاً وبلغ سناً عالية، ولم يخط لبني قومه أثراً علمياً يتمتعون بفرائده ويقتبسون من فوائده، فقد مضى ومضى معه ذلك العلم الواسع والضوء الساطع..).

ثم قال:

(وقد تراءى لنا أن السبب في عدم تصديه للتأليف هو أنه لما

(١) هو الشيخ محمد راغب بن محمود الطباخ الحلبي، مؤرخ حلب، ومن كبار علمائها وفضلائها، ولد سنة ١٢٩٣هـ وتوفي سنة ١٣٧٠هـ ومن أشهر كتبه (إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء). (الأعلام ٦/١٢٣).

(٢) هو الشيخ محمد بن السيد عثمان الزرقا، الحلبي، ولد سنة ١٢٥٨هـ، عمت شهرته سائر البلاد وخصوصاً في الفقه الحنفي، وظل في التدريس نحو ستين سنة، وكان ذا همة عالية، توفي سنة ١٣٤٣هـ، وابنه هو الدكتور مصطفى الزرقا، توفي عام ١٤٣٠هـ وقد قارب المائة من عمره. (إعلام النبلاء ٧/٦٢٩).

اشتد غاربه ولمعت بوارق براعته التفت الناس إليه في أمورهم وتحرير معاملاتهم وصكوكهم إذ كانوا لا يركنون في مسائلهم الهامة إلا إليه ولا يعولون إلا عليه.. فلم يكن يجد فراغاً أصلاً، بل كانت أوقاته مستغرقة في تدريسه وفي أمور الناس، ولما كثرت المحاكم النظامية.. قلّت علائق الناس معه ولكن كان قد وهن العظم منه واشتعل الرأس شيباً، فلم تعد قواه تعينه على ذلك، وعلى كلٍ فلا يخلو الحال من الأسف على عملٍ كان جديراً به)(١).

فمن وضع نصب عينيه أن يحظى بالحياة المباركة في رحاب العلم ومجالس العلماء تمنى أن يرشف من معينها تدريساً وتأليفاً وإرشاداً للناس وهمة متوقدة لا تعرف كللاً ولا فتوراً.



(١) إعلام النبلاء ٦٣٦/٧.



حسن الخاتمة للشيخ محمد أبو زهرة

الشيخ محمد أبو زهرة من كبار علماء مصر، ولد سنة ١٨٩٨م، وكان عالماً متبحراً في الفقه وأصوله، وفي علوم القرآن وتفسيره، وخطيباً مفوهاً، أثرى المكتبة الإسلامية بأكثر من أربعين كتاباً بالإضافة إلى الكثير من البحوث العلمية والمحاضرات والندوات داخل مصر وخارجها.

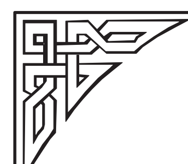
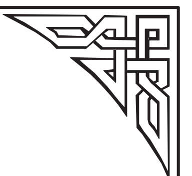
وعقد في أواخر عام (١٩٧٣م) وأوائل عام (١٩٧٤م/ ١٣٩٤هـ) العديد من الندوات لمحاربة التعدي على الشريعة في مشروع قانون الأحوال الشخصية، وقرر إقامة مؤتمر شعبي لمناقشة هذا الأمر في سرادق كبير أمام منزله بضاحية الزيتون، أقامه على نفقته الخاصة، وقام بمعاينة المكان وإنشاء السرادق صباح الجمعة ١٩٧٤/٤/١٢م ثم عاد إلى حجرة المكتب بالدور العلوي وشرع في إكمال تفسير سورة النمل حتى أذان الظهر، وأثناء نزول فضيلته حاملاً القلم والمصحف مفتوحاً على آخر ما وصل إليه في التفسير تعثّر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وسقط ساجداً على المصحف وعلى أوراق التفسير، ثم فاضت روحه الكريمة إلى بارئها أثناء أذان المغرب، وهكذا شاءت إرادة الله العظيم أن يكون

هذا السرادق الذي أشرف فضيلته على إقامته لمؤتمر شعبي هو سرادق العزاء للإمام[١].

رحمه الله وأسكنه فسيح جناته في الفردوس الأعلى.



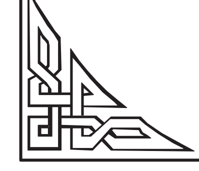
(١) مقدمة زهرة التفاسير، للإمام محمد أبو زهرة ١/١١.

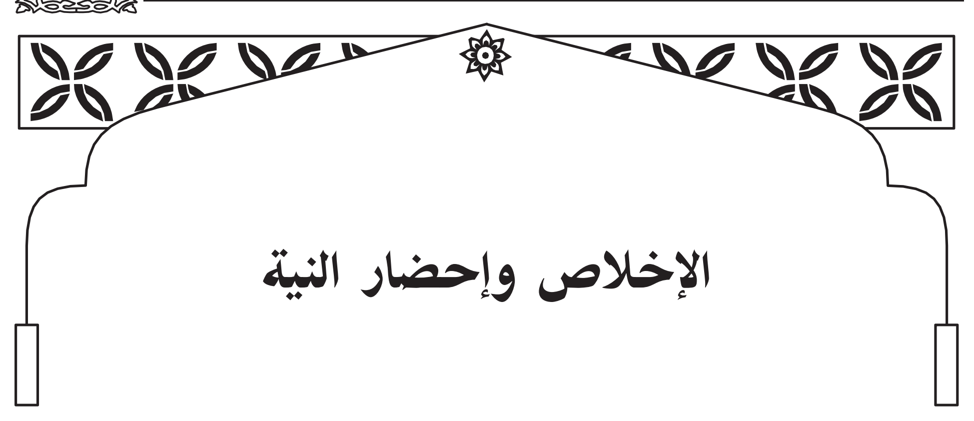



الفصل الثالث

نفحات من أقوال العلماء في تربية النفوس وحياة القلوب

١ ـ الإخلاص وإحضار النية.
٢ ـ القلب المنيب.
٣ ـ القرآن شفاء.
٤ ـ سماع القرآن.
٥ ـ مجالس العلماء.
٦ ـ تواضع العلماء.
٧ ـ الصبر عند الابتلاء.
٨ ـ أنواع النعم.
٩ ـ الخوف والرجاء.
١٠ ـ الصديق الصدوق.
١١ ـ اللطف في معاملة الناس وحسن الخلق.
١٢ ـ الهمة العالية في حياة العلماء وأقوالهم.





الإخلاص وإحضار النية

إذا أخلص العالم والمتعلم لله سبحانه وتعالى بورك له في سعيه وحظي بالمنزلة العليا وإقبال الناس عليه ومحبتهم له.

والله ﷻ لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً له سبحانه، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾[(١)].

ولقد اهتم العلماء رحمهم الله بالحديث عن الإخلاص والتأكيد عليه، والتحذير من الرياء والسمعة وحب المباهاة بين الناس.

- قال الإمام النووي رحمه الله:

(اعلم أن ما ذكرناه من الفضل في طلب العلم إنما هو فيمن طلبه مريداً به وجه الله تعالى، لا لغرض من الدنيا، ومن أراده لغرض دنيوي كمالٍ أو رياسةٍ أو منصب أو جاهٍ أو شهرة أو استمالة الناس إليه، أو قهر المناظرين، أو نحو ذلك، فهو مذموم)[(٢)].

وقد استفتح رحمه الله كتابه (رياض الصالحين) بموضوع الإخلاص

(١) سورة البينة، آية: ٥.

(٢) المجموع للنووي ٢٣/١.

وجعله بعنوان: (باب في الإخلاص وإحضار النية في جميع الأعمال والأقوال والأحوال البارزة والخفية).

● ولقد كان السلف الصالح يحرصون أشد الحرص على تربية نفوس تلاميذهم وتحليتها بالإخلاص، وتخليتها من شوائب الرياء، ومن أقوالهم[(١)]:

قال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: (كانوا يتعلمون النية للعمل كما تتعلمون العمل).

وقال عبدالله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: (رُبَّ عملٍ صغيرٍ تعظمه النية، ورُب عمل كبير تُصغره النية).

وروى الخطيب البغدادي عن ابن السماك أنه قال: سمعت سفيان الثوري يقول: (ما عالجتُ شيئاً أشدَّ عليَّ من نِيَّتي، إنها تقلَّبُ عليَّ).

وروى أيضاً عن بشر بن الحارث أنه كان يحدِّث فذكر الإسناد، ثم قال: (أستغفر الله، إن لِذِكْرِ الإسنادِ في القلب خُيَلاء)[(٢)].

فقد خشي أن يدخل الخيلاء والمباهاة إلى قلبه، وهو يذكر الإسناد بما فيه من شيوخ يروي عنهم فيكون ذلك طريقاً للرياء، فراقب خواطر نفسه فاستغفر ربه عَزَّوَجَلَّ.

ـ قال بشر بن الحارث: (لا تعمل لتُذكر، اكتم الحسنة كما تكتم السيئة)[(٣)].

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي ٣١٧/١.
(٢) المرجع السابق ٣٣٨/١.
(٣) سير أعلام النبلاء ٤٧٦/١٠.

ولهذا حرص سلفنا الصالح على تحرير النية وإخلاص القصد لله ﷻ قبل البدء في العمل وأثناءه وبعده، ومجاهدة النفس على ذلك، لإبعادها عن التباهي والتفاخر والرياء أمام الناس.

قال يوسف بن أسباط رَحِمَهُ اللَّهُ: (تخليص النية من فسادها أشد على العاملين من طول الاجتهاد)[(١)].

● ومن التباهي أن يصاب طالب العلم بالعُجب والرضى عن النفس وأنه من أصحاب المنازل العالية بما أُوتيه من العلم والمكانة بين الناس.

قال الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ:

(المصيبة العظمى رضى الإنسان عن نفسه، واقتناعه بعلمه، وهذه محنة قد عمت أكثر الخلق)[(٢)].

● **وقد بيّن الإمام ابن القيم** خطر التباهي بالعلم، وإعجاب العالم والعابد بنفسه، وأنه أعلى منزلة من الآخرين، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومن كيد الشيطان وخداعه أنه يأمر الرجل بانقطاعه في مسجد أو رباط أو زاوية.. ويقول له: متى خرجتَ تبذَّلت للناس وسقطتَ من أعينهم، وذهبتْ هيبتك من قلوبهم، وربما ترى في طريقك منكراً. وللعدو في ذلك مقاصد خفية يريدها منه، منها: الكبر واحتقار الناس)[(٣)].

● فالإعجاب بالنفس كثيراً ما يؤدي إلى نوعين من الفساد:

١ ـ التعالي على الناس لأنه يرى نفسه أعلى قدراً منهم!!

---

(١) المجالسة وجواهر العلم ٨/١١٤.

(٢) صيد الخاطر، ص٤٠١.

(٣) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ١/١٢١.

٢ ـ انتظار الثناء والمدح من الناس والطمع بدنياهم.

قال الإمام النووي في حديثه عن آداب حملة القرآن: (وينبغي أن لا يقصد به توصلاً إلى غرض من أغراض الدنيا، من مال أو رياسة أو وجاهة، أو ارتفاع على أقرانه، أو ثناء عند الناس، أو صرف وجوه الناس إليه)[١].

وقد حذر الإمام الآجري[٢] ممن يحفظ القرآن ويتكبر على غيره، ويرى أنهم أقل منه، لأنهم دونه في الحفظ، ويعيب من لم يحفظ كحفظه، ويتكبر في جلسته، وإن قصَّر أحد في حقه يقول: أهل القرآن لا يُقصَّر في حقوقهم، ويجب أن تُقضى حوائجهم، وإن فاته شيء من الدنيا حزن وغضب).

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وإنما حَدَانِي على ما بَيَّنتُ من قبيح هذه الأخلاق نصيحةً مني لأهل القرآن، ليَتَعلَّقُوا بالأخلاق الشريفة، ويتجافوا عن الأخلاق الدَّنيئة)[٣].

فتأمل هذه النصيحة من الإمام أبي بكر الآجري (المتوفى ٣٦٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو يتحدث عن أحوال بعض الناس في القرن الرابع الهجري، وتأمل الواقع المعاصر اليوم!!

● ولنختم بقول الإمام الشاطبي في منظومته المشهورة المسماة (حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع):

---

(١) التبيان في آداب حملة القرآن، ص٢٦.
(٢) أخلاق حملة القرآن للآجري، ص٤٨ ـ ٥٢ مختصراً.
(٣) أخلاق حملة القرآن، ص٥٢.

جـزى الـلَّـه بـالـخـيـرات عـنـا أئـمـةً
لـنـا نـقـلـوا الـقـرآن عـذبـاً وسـلـسـلاً

ثم يقول:

ونـاديـت الـلَّـهـم يـا خـيـر سـامـع
أعـذنـي مـن الـتـسـمـيـع قـولاً وَمـفـعَـلاً

أي: أجرني واعصمني من الرياء وطلب السمعة وحب الشهرة قولاً وَفعلاً[(١)].



(١) ينظر: الوافي في شرح الشاطبية، للشيخ عبدالفتاح القاضي، شرح البيت ٧١.



القلب المنيب

من أبرز صفات القلب الحي الذي ينبض بالإيمان ومحبة الرحمٰن أنه قلب منيب، أي: مقبل على طاعة الله عز وجل متذلِّل بين يديه.

قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾﴾[1].

وقال عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾[2].

● ـ قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله:

(من رُزق قلباً طيباً، ولذة مناجاة، فليراعِ حاله، وليحترز من التغيير، وإنما تدوم له حاله بدوام التقوى)[3].

---

(١) سورة ق، الآيات: ٣١ ـ ٣٤.
(٢) سورة الزمر، الآيتان: ١٧ ـ ١٨.
(٣) صيد الخاطر، ص٣٥٣.

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(من أسباب انشراح الصدر الإنابة إلى الله سبحانه وتعالى، ومحبته بكل القلب، والإقبال عليه، والتنعم بعبادته، فلا شيء أشرح لصدر العبد من ذلك، حتى إنه ليقول أحياناً: إن كنتُ في الجنة في مثل هذه الحالة فإني إذاً في عيش طيب)[١].

وقال أيضاً:

(القلب الصحيح الحي إذا عُرضت عليه القبائح نفر منها بطبعه وأبغضها، ولم يلتفت إليها، بخلاف القلب الميت فإنه لا يفرق بين الحسن والقبيح)[٢].



(١) زاد المعاد ٢/٢٥.

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ١/٢٠.



القرآن شفاء

قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾(١).

وقال أيضاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾(٢).

ـ قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(القرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة، وما كلُ أحدٍ يُؤهَّل ولا يوفَّق للاستشفاء به، وإذا أحسن العليل التداوي به، ووضعه على دائه بصدق وإيمان، وقبولٍ تام، واعتقاد جازم، واستيفاء شروطه، لم يقاومه الداء أبداً.

وكيف تُقاوم الأدواء كلام رب الأرض والسماء الذي لو نزل على الجبال لصَدَعها، أو على الأرض لقطعها.

فما مِن مرضٍ من أمراض القلوب والأبدان إلا وفي القرآن

(١) الإسراء: ٨٢.

(٢) يونس: ٥٧.

سبيلُ الدلالة على دوائه وسببه والحمية منه، لمن رزقه الله فهماً في كتابه)[١].

ـ وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(إذا مرَّ متدبر القرآن بآية وهو محتاج إليها في شفاء قلبه، كرَّرها ولو مائة مرة، ولو ليلة، فقراءة آية بتفكر وتفهُّم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب، وأدعى إلى حصول الإيمان، وذوق حلاوة القرآن)[٢].



(١) زاد المعاد ٣٢٢/٤.

(٢) مفتاح دار السعادة، ص١٨٧.



سماع القرآن

أَنزل الله عز وجل كتابه الكريم بصائر للناس وهدى ورحمة، وأمرهم بالاستماع والإنصات عند تلاوته إعظاماً له ورجاءً للرحمة والرضوان فقال تعالى:

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾[١].

● قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

(السماع الذي مدحه الله في كتابه وأمر به وأثنى على أصحابه هو سماع آياته المتلوَّة التي أنزلها على رسوله، فهذا السماع أساس الإيمان الذي يقوم عليه بناؤه.

وهو على ثلاثة أنواع: سماع إدراك بحاسة الأذن، وسماع فهم وعقل، وسماع فهم وإجابة وقبول)[٢].

● ثم قال رحمه الله:

(والمقصود أن سماع خاصة الخاصة المقربين: هو سماع القرآن بالاعتبارات الثلاثة: إدراكاً وفهماً، وتدبراً، وإجابة، وكل سماع في

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٢٠٤.

(٢) مدارج السالكين ٤٨٣/١.

القرآن مدَح الله أصحابه وأثنى عليهم وأمر به أولياءه فهو هذا السماع.

فهذا السماع حادٍ يحدو القلوب إلى جوار علاّم الغيوب، وسائق يسوق الأرواح إلى ديار الأفراح، ومحرك يثير ساكن العزمات إلى أعلى المقامات وأرفع الدرجات، ومنادٍ ينادي للإيمان، ودليل يسير بالركب في طريق الجنان، وداعٍ يدعو القلوب بالمساء والصباح، من قِبل فالق الإصباح: حي على الفلاح ـ حي على الفلاح)[(١)].

● وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألق سمعك، واحضر حضور من يخاطبه به مَنْ تكلَّم به سبحانه، فإنه خطابٌ منه لك على لسان رسوله، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾[(٢)].

وقوله: ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾، أي: وجَّه سمعه وأصغى حاسة سمعهِ إلى ما يقال له، وقوله: ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾، أي: شاهد القلب، حاضر غير غائب.

وهذا إشارة إلى المانع من حصول التأثير، وهو سهو القلب، وغيبته عن تعقُّل ما يقال له، والنظر فيه وتأمله.

فإذا حصل المؤثّر وهو القرآن، والمحل القابل وهو القلب الحي، ووُجد الشرط وهو الإصغاء، وانتفى المانع وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب، وانصرافه عنه إلى شيء آخر، حصل الأثر وهو الانتفاع والتذكر)[(٣)].

---

(١) المرجع السابق ١/٤٨٥.

(٢) سورة ق، آية: ٣٧.

(٣) الفوائد، ص٥ ـ ٦.

فتأمل هذا الكلام البديع الذي يصف العلاج الناجع لأمراض القلوب وغفلتها عن التأثر عند الاستماع لكلام علاّم الغيوب.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ :

(فصاحبُ القرآن يجمع بين قلبه وبين معاني القرآن فيجدها كأنها قد كُتبت فيه، فهو يقرؤها عن ظهر قلب)[1].



(١) المرجع السابق، ص٧.



مجالس العلماء

مجالس العلم والتعليم هي المجالس المباركة التي تحفها الملائكة، وتضع أجنحتها تواضعاً وتوقيراً لمن أقبل عليها ويَستغفر لهم من في السماوات والأرض عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض..**»[١].

● روى الإمام أحمد أن لقمان الحكيم قال لابنه: (يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك، فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل المطر)[٢].

● ـ قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

(إذا طلب العبد العلم فقد سعى في أعظم ما يُنصح به عباد الله، فلذلك تحبه الملائكة وتعظمه، حتى تضع أجنحتها له رضاً ومحبة وتعظيماً)[٣].

---

(١) رواه أبو داود، رقم: ٣٦٤١، والترمذي، رقم: ٣٦٨٣.
(٢) مدارج السالكين ٣/٢٦٢.
(٣) مفتاح دار السعادة ١/٦٢.

وقال أيضاً:

(حاجة القلب إلى العلم ليست كالحاجة إلى التنفس في الهواء، بل أعظم.. فنسبة العلم إلى القلب كنسبة ضوء العين إليها، وكنسبة سمع الأذن، وكنسبة كلام اللسان إليه.. ولهذا يصف سبحانه أهل الجهل بالعمى والصم والبكم، وذلك صفة قلوبهم، حيث فقدت العلم النافع، فبقيت على عماها وصممها وبُكمها)[١].

● ـ قال أبو بكر الأبهري:

(دخلت جامع طرسوس وجلستُ بسارية من سواريه، فجاءني رجل فقال لي: إن كنت تقرأ فهذه حلقة قرآن، وإن كنت مقرئاً فاجلس يُقرأ عليك، وإن كنت فقيهاً فاجلس يُحلق عليك، وإن كنت متفقهاً فهذه مجالس الفقه، قم إليها، فإن أحداً لا يجلس في جامعنا دون شغل)[٢].

● ـ وقد حفلت كتب الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالحث على طلب العلم، واستنهاض الهمم للتنافس في رحاب هذه الرياض النضرة، ومن أقواله رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(إن الاشتغال بالعلم من أفضل القُرب وأجلِّ الطاعات، وأهم أنواع الخير وأكثر العبادات، وأولى ما أُنفقت فيه نفائس الأوقات، وشمَّر في إدراكه والتمكن فيه أصحاب الأنفس الزكيات، وبادر إلى الاهتمام به المسارعون إلى الخيرات، وسابق إلى التحلي به مستبقو المكرمات)[٣].

---

(١) مفتاح دار السعادة ١/١١١.
(٢) ترتيب المدارك للقاضي عياض ٢/٢٢٤.
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ١/١٦.

ـ وتأمل قوله في مقدمة شرحه لصحيح مسلم:

(استخرت الله تعالى الكريم الرؤوف الرحيم في جمع كتاب في شرحه متوسط بين المختصرات والمبسوطات ولولا ضعف الهمم وقلة الراغبين، وخوف عدم انتشار الكتاب لقلة الطالبين للمطوَّلات لبسطته، فبلغت به ما يزيد عن مائة من المجلدات، من غير تكرار ولا زيادات عاطلات، بل لكثرة فوائده)[١].

ـ ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه (التبيان في آداب حملة القرآن):

(يستحب للمعلِّم أن يكون حريصاً على تعليمهم، مُؤْثراً ذلك على مصالح نفسه الدنيويَّة التي ليست بضرورية، وأن يفرّغ قلبه في حال جلوسه لإقرائهم من الأسباب الشاغلة كلها، وهي كثيرة معروفة، وأن يكون حريصاً على تفهيمهم، وأن يعطي كلَّ إنسان منهم ما يليق به، فلا يُكثر على من لا يحتمل الإكثار، ولا يُقصِّر لمن يحتمل الزيادة)[٢].

ـ ويقول في حديثه عن آداب المتعلِّم: (ومن آدابه المتأكِّدة أن يكون حريصاً على التعلُّم، مُوَاظِباً عليه في جميع الأوقات التي يتمكَّن منه فيها، ولا يقنع بالقليل مع تمكُّنه من الكثير.. وينبغي أن يُرغب نفسه بالاجتهاد في التحصيل في وقت الفراغ والنشاط، وقوة البدن، ونباهة الخاطر، وقلة الشاغلات)[٣].

ـ وكان للإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ اهتمام خاص بمعلمي

---

(١) مقدمة شرح النووي على صحيح مسلم ١٣/١.
(٢) التبيان، ص٣٣.
(٣) المرجع السابق، ص٤١.

وطلاب الحلقات القرآنية والحرص على توجيههم، وهذا ما أشار إليه في مقدمة كتابه (التبيان في آداب حملة القرآن) بقوله:

(رأيت أهل بلدتنا دمشق ـ حماها الله تعالى وصانها وسائر بلاد الإسلام ـ مكثرين من الاعتناء بتلاوة القرآن العزيز تعلُّماً وتعليماً، وعرضاً ودراسةً، في جماعات وفرادى، مجتهدين في ذلك بالليالي والأيام ـ زادهم الله حرصاً عليه وعلى جميع أنواع الطاعات ـ مريدين وَجْهَ الله ذي الجلال والإكرام، فدعاني ذلك إلى جمع مختصر في آداب حملته، وأوصاف حُفَّاظه وطلبته، فقد أوجب الله سبحانه وتعالى النصيحة لكتابه، ومن النصيحة له بيان آداب حملته وطلابه، وإرشادهم إليها وتنبيههم عليها)[١].

كتب بخطه بيتين من الشعر على أحد كتبه:

أمـوت ويـبـقـى كـلُّ مـا قـد كـتـبـتُـه
فـيـا لـيـت مـن يـقـرأ كـتـابـي دعـا لِـيـا
لـعـل إلٰـهـي أنْ يـمـنَّ بـلـطـفـه
ويـرحـم تـقـصـيـري وسـوء فـعـالـيـا[٢]

● وقد حرص العلماء على نشر العلم وتعليمه وعدم التخلي عن هذه المسؤولية العظيمة والحذر من كتمان العلم وعدم نشره.

عن أبي سَبرة المديني قال:

قلت للقعنبي[٣]: حدثتَ ولم تكن تحدِّث!

---

(١) المرجع السابق، ص٧.

(٢) الإمام النووي، للدقر، ص١٩١.

(٣) هو عبدالله بن مَسْلَمة بن قعنب نزيل البصرة ثم مكة، توفي سنة إحدى وعشرين =

قال: إني أُريتُ كأن القيامة قد قامت، فصيحَ بأهل العلم فقاموا، وقمتُ معهم.

فنوديَ بي: اجلس.

فلتُ: إلهي ألم أكن أطلبُ؟

قال: بلى، ولكنهم نشروا وأخفيتَه.

قال: فحدَّثتُ[١].

● وعن ابن القاسم قال: (كنّا إذا ودَّعنا مالكاً يقول لنا: اتقوا الله، وانشروا هذا العلم وعلِّموه ولا تكتموه)[٢].

● وينبغي للعالم أن لا يتوقف عن طلب العلم مهما بلغت مكانته ومعرفته بالعلم لأن العلم بحر لا ساحل له.

قال نعيم بن حماد: قيل لابن المبارك: إلى متى تطلب العلم؟

قال: حتى الممات إن شاء الله[٣].

وسُئل سفيان بن عُيينة: من أحوج الناس إلى طلب العلم؟

قال: أعلمهم، لأن الخطأ منه قبيح[٤].

= ومائتين، وكان من المجتهدين في العبادة، وقرأ على الإمام مالك. (سير أعلام النبلاء ٢٦٢/١٠).

(١) سير أعلام النبلاء ٢٦٢/١٠.

(٢) جامع بيان العلم وفضله، ص١٤٧.

(٣)(٤) جامع بيان العلم، ص١١٥.

● ولنختم بقول الشاعر:

وإذا طــلــبــتَ الــعــلــم فــاعــلــم أنــه
حِــمــلٌ، فــأَبــصــرْ أيَّ شــيء تــحــمــلُ
وإذا عــلــمــتُ بــأنــه مــتــفــاضــلٌ
فــاشــغــل فــؤادك بــالــذي هــو أفــضــلُ(١)



(١) العقد الفريد ٢/٨٤.



تواضع العلماء

ـ عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه أنه قال: (لا يكون الرجل عالماً حتى لا يحسد من فوقه، ولا يحقر من دونه ولا يبتغي بعلمه ثمناً)[١].

ـ قال الإمام عبدالرحمٰن بن مهدي رحمه الله[٢]:

(إذا لقي الرجلُ الرجلَ فوقه في العلم، فهو يوم غنيمة، وإذا لقي من هو مثله دارَسَهُ وتعلَّم منه، وإذا لقي من هو دونه تواضع له وعلَّمه، ولا يكون إماماً في العلم من حدَّث بكل ما سمع)[٣].

● ـ وقال الإمام شمس الدين الذهبي رحمه الله:

(أشدُّ الكِبر من يتكبر على العباد بعلمه، ويتعاظم في نفسه بفضيلته، فإن هذا لم ينفعه علمه، فإن من طلب العلم للآخرة خشع قلبه واستكانت نفسه، وكان على نفسه بالمرصاد فلا يفتر عنها، بل يحاسبها كل وقت ويتفقدها، فإن غفل عنها جمحت عن الطريق المستقيم وأهلكته، ومن طلب العلم للفخر والرياسة وبطر على

---

(١) رواه الدارمي، رقم: ٢٩٠.

(٢) هو الإمام سيد الحفاظ عبدالرحمٰن بن مهدي الأزدي، ولد سنة خمس وثلاثين ومائة. (سير أعلام النبلاء ١٩٢/٩).

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٠٣/٩.

المسلمين وازدراهم، فهذا من أكبر الكِبر، ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبر)[١].

● ـ ومن بديع تواضع الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه ختم كتابه (الأذكار) بقوله: (أنا راجٍ من فضل الله تعالى دعوة أخٍ صالح انتفع بها، تُقربني إلى الله الكريم وانتفاع مسلمٍ راغب في الخير ببعض ما فيه، أكون مساعداً له على العمل بمرضاة ربنا)[٢].

● قال الإمام الماوردي رحمه الله تعالى في كتابه النفيس «أدب الدُّنيا والدِّين»[٣]:

(قلَّما تجد بالعلم مُعجباً وبما أدركه منه مفتخراً إلاَّ مَن كان فيه مقلاًّ ومقصِّراً؛ لأنَّه قد يجهل قدره، ويحسب أنه نال بالدخول فيه أكثره.

فأما من كان فيه متوجهاً، ومنه مستكثراً، فهو يعلم بُعد غايته، والعجز عن إدراك نهايته.

قال الشعبي:

(العلم ثلاثة أشبار، فمن نال منه شبراً شمخ بأنفه وظنَّ أنَّه ناله، ومن نال الشبر الثاني صغرت إليه نفسه وعلم أنَّه لم ينله، وأما الشبر الثالث فهيهات، لا يناله أحد).

● وبعد أن أورد الإمام الماوردي هذا القول تحدَّث عن نفسه، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

---

(١) الكبائر، للإمام الذهبي، ص٦٥.
(٢) الأذكار، ص٦٥٧.
(٣) ص٨١.

(مما أُنذركَ به من حالي أنَّني صنَّفت في البيوع كتاباً، جمعت فيه ما استطعت وأجهدت فيه نفسي حتى تهذَّب واستكمل، وكِدت أُعجب به، وتصوَّرت أنَّني أشد الناس اضطلاعاً بعلمه، إذ حضرني وأنا في مجلسي أعرابيان، فسألاني عن بيعٍ عقداه في البادية، على شروط تضمَّنت أربع مسائل، لم أعرف لواحدةٍ منهنَّ جواباً، فأطرقتُ مفكِّراً، وبحالي وحالهما معتبراً، فقالا: ما عندك فيما سألنا جواب؟ فقلت: لا، فقالا: واهاً لك، وانصرفا).

وهكذا اتعظ الإمام الماوردي بموقف هذين الأعرابيَّين، وعرف أنَّ العلم بحر لا نهاية له، وأنَّ إعجاب النفس بما توصَّلت إليه من العلم خطأ كبير، وفوق كل ذي علم عليم.





الصبر عند الابتلاء

• قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(الإيمان نصفان، نصفٌ صبر، ونصفٌ شكر، وحقيق على من نصح نفسه وأحب نجاتها وآثر سعادتها أن لا يهمل هذين الأصلين العظيمين، وأن يجعل سيره إلى الله بين هذين الطريقين)(١).

ـ وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(يؤدب الله عبده المؤمن الذي يحبه وهو كريم عنده بأدنى زلة أو هفوة، فلا يزال مستيقظاً حذراً.

وأما من سقط من عينه وهان عليه فإنه يخلي بينه وبين معاصيه، وكلما أحدث ذنباً أحدث له نعمة، والمغرور يظن أن ذلك من كرامته عليه، ولا يعلم أن ذلك عين الإهانة، وأنه يريد به العذاب الشديد، والعقوبة التي لا عاقبة معها)(٢).

ـ وقال أيضاً:

(ومن رحمته عَزَّ وَجَلَّ أن نغَّص عليهم الدنيا وكدَّرها، لئلا يسكنوا

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ص٩.

(٢) زاد المعاد ٣/٥٠٦.

إليها، ولا يطمئنوا إليها، ويرغبوا في النعيم المقيم في داره وفي جواره..

فساقهم إلى ذلك بسياط الابتلاء والامتحان، فمنعهم ليعطيهم، وابتلاهم ليعافيهم، وأماتهم ليحييهم)[١].

● ـ وقال الإمام ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ:

(الله يجعل لأوليائه عند ابتلائهم مخارج، وإنما يتأخر ذلك عن بعضهم في بعض الأوقات تهذيباً وزيادة لهم في الثواب)[٢].

● ـ وقال الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه النفيس (صيد الخاطر):

(من نزلت به بليَّة فليتصوَّرها أكثر مما هي تَهُنْ، ولْيتخيَّل ثوابها، وليتوهم نزول أعظم منها، يَرَ الربح في الاقتصار عليها، وليتلمَّح سرعة زوالها، فإنه لولا كرب الشدة ما رُجيت ساعات الراحة.

وليعلم أنَّ مدَّة مقامها عنده كمدة مقام الضيف يتفقد حوائجه في كل لحظة، فيا سرعةَ انقضاء مقامه، ويا لذَّة مدائحه وبِشره في المحافل، ووصف المضيف بالكرم.

فكذلك المؤمن في الشدة ينبغي أن يراعي الساعات، ويتفقد فيها أحوال النفس، ويتلمَّح الجوارح مخافة أن يبدو من اللسان كلمة، أو من القلب تَسخُّط، فكأنه قد لاح فجر الأجر، وانجاب ليلُ البلاء، فما طلعتْ شمس الجزاء إلاَّ وقد وصل إلى منزل السلامة)[٣].

---

(١) إغاثة اللهفان ٩١٧/٢.
(٢) فتح الباري ٤٨٣/٦.
(٣) صيد الخاطر، ص٧٣.



أنواع النعم

● قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

(النعم ثلاثة: ـ نعمة حاصلة يعلم بها العبد. ـ ونعمة منتظرة يرجوها. ـ ونعمة هو فيها لا يشعر بها.

فإذا أراد الله إتمام نعمته على عبده عرّفه نعمهُ الحاضرة، وأعطاه من شكره قيداً يقيدها به حتى لا تشرد... ووفقه لعمل يستجلب به النعمة المنتظرة.. وعرّفه النعم التي هو فيها ولا يشعر بها.

وقد دخل أعرابي على الرشيد فقال:

يا أمير المؤمنين ثبّت الله عليك النعم التي أنت فيها بإدامة شكرها، وحقق لك النعم التي ترجوها بحسن الظن به ودوام طاعته، وعرّفك النعم التي أنت فيها ولا تعرفها لتشكرها. فأعجبه ذلك منه، وقال: ما أحسن تقسيمه)[1].

● قد حذر الإمام ابن القيم من خطر الغفلة عن شكر النعم.

فقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

(من الآفات الخفية أن يكون العبد في نعمة أنعم الله بها عليه

---

(١) الفوائد، ص٣٠٥.

واختارها له، فيملها العبد ويطلب الانتقال منها إلى ما يزعم لجهله أنه خير له منها، وربه برحمته لا يخرجه من تلك النعمة.. حتى إذا ضاق ذرعاً بتلك النعمة وسَخِطها وتبرَّم بها واستحكم ملَلُه لها سلَبَهُ الله إياها.. وليس على العبد أضرّ من مَلَلِهِ لنعم الله، فإنه لا يراها نعمة، ولا يشكره عليها، ولا يفرح بها، بل يسخطها ويشكوها ويعدّها مصيبة، وهي من أعظم نِعم الله عليه، فأكثر الناس أعداءُ نعم الله عليهم، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ فليس للنعم أعدى من نفس العبد، فهو مع عدوه ظهير على نفسه)[(١)].

● ـ وقال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(إن الله تعالى يمتِّع بالنعمة من شاء، فإذا لم يشكر عليها قلبها عذاباً، ولهذا كانوا يسمون الشكر: الحافظ، لأنه يحفظ النعم الموجودة، والجالب: لأنه يجلب النعم المفقودة)[(٢)].

● ـ وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(من عَرَف نِعم الله بقلبه وحمِده بلسانه لم يستتم ذلك حتى يرى الزيادة لقول الله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾)[(٣)].

● ـ وقال الإمام ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(من طولب بالشكر على كل نعمة من عافية وصحة وسلامةِ حواسٍ وطيبِ عيش، واستُقصي ذلك عليه، لم تقف أعماله كلها بشكر بعض هذه النعم).

---

(١) الفوائد، ص٣١٧ ـ ٣١٨.

(٢)(٣) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ص١٤٢.

إذا كان شكري نعمة اللَّه نعمةً
علَيَّ له في مثلها يجب الشكرُ
فكيف وقوع الشكر إلا بفضله
وإن طالت الأيام واتصل العمرُ[١]

عن أبي سليمان الداراني أنه قال: (إني لأخرج من منزلي فما يقع بصري على شيء إلا رأيت لله عليَّ فيه نعمة ولي فيه عبرة)[٢].



(١) المحجة في سير الدلجة، لابن رجب، ص٣٧.

(٢) تفسير ابن كثير ٤٤٧/١.



الخوف والرجاء

● **أورد** البخاري في صحيحه في كتاب التفسير ـ باب تفسير سورة غافر:

(كان العلاء بن زياد يذكر النار، فقال رجل: لم تُقنِّط الناس؟

قال: وأنا أقدر أن أقنط الناس، والله عز وجل يقول: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾[1].

ويقول: ﴿وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾[2]؟ ولكنكم تحبون أن تُبشَّروا بالجنة على مساوئ أعمالكم، وإنما بَعث الله محمداً ﷺ مبشِّراً بالجنة لمن أطاعه، ومنذراً بالنار لمن عصاه).

قال الإمام ابن حجر[3]:

(نهاهم عن القنوط من رحمته، مع قوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ استدعاء منهم الرجوع عن الإسراف، والمبادرة إلى التوبة قبل الممات، وأبو العلاء هذا هو: العلاء بن زياد البصري تابعي زاهد.. مات قديماً سنة أربع وتسعين).

---

(١) الزمر: ٥٣.
(٢) غافر: ٤٣.
(٣) في فتح الباري ٨/٤١٧.

● قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(منزلة الخوف من أجلِّ منازل الطريق وأنفعها للقلب، وهي فرض على كل أحد، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.. والوجل، والخوف، والخشية، والرهبة ألفاظ متقاربة غير مترادفة..)[١].

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (القلب في سيره إلى الله عَزَّ وَجَلَّ بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر، ولكن السلف استحبوا أن يقوى في الصحة جناح الخوف على جناح الرجاء، وعند الخروج من الدنيا يقوى جناح الرجاء على جناح الخوف)[٢].

- قال فضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال لي ابن المبارك:

(أكثركم علماً ينبغي أن يكون أكثركم خوفاً)[٣].



(١) مدارج السالكين ١/٥١٣.

(٢) مدارج السالكين ١/٥١٧.

(٣) جامع بيان العلم وفضله، ص٢٢٢.



الصديق الصدوق

• ـ يقول الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(كان لنا أصدقاء وإخوان اعتدُّ بهم، فرأيت منهم من الجفاء وترك شروط الصداقة والأُخوة عجائب.. فهممتُ بمقاطعتهم، ثم تفكرتُ، فقلت: إنما ينبغي أن تنقلهم من ديوان الأخوَّة إلى ديوان الصداقة الظاهرة، فإن لم يصلحوا لها نقلتَهم إلى جملة المعارف، وعاملتهم معاملة المعارف.. وجمهور الناس اليوم معارف، ويندر فيهم صديقٌ في الظاهر، فأما الأخوَّة والمصافاة فذاك شيء نُسخَ فلا يُطمع فيه.

والسبب في نسخ حكم الصفا أن السلف كان همتهم الآخرة وحدها، فصفَتْ نيَّاتهم في الأُخوَّة والمخالطة، فكانت ديناً لا دنيا، والآن فقد استولى حب الدنيا على القلوب)[١].

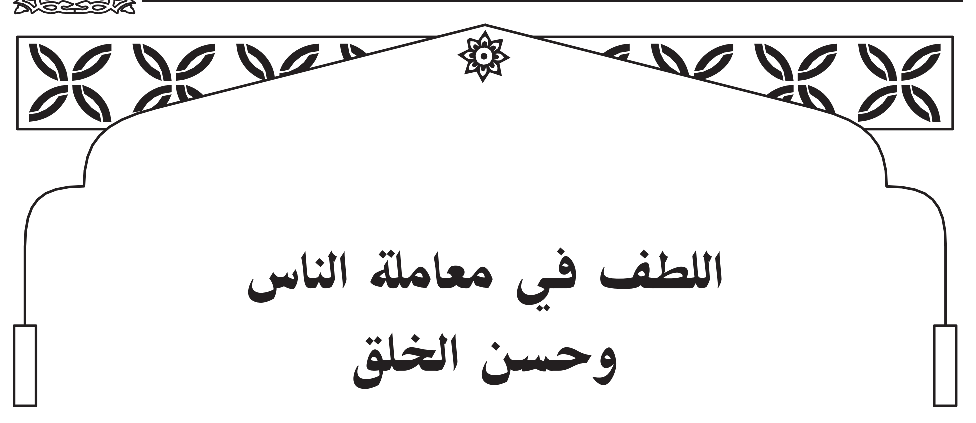
وما هذا التأكيد من الإمام ابن الجوزي إلا لحرصه على الصفوة المختارة من الإخوة الصالحين الناصحين، والذين أصبح وجودهم نادراً، لكن هذا لا يعني انعدامهم وعدم البحث عنهم.

(١) صيد الخاطر، ص٣٣٨.

ـ وكان عمر بن عبدالعزيز يوصي ابنه فيقول:

(أي بُني إياك أن تصاحب عاقاً لوالديه، فإنك مهما بلغتَ في الإحسان إليه لن تبلغ مقدار ما أحسن والداه إليه).





اللطف في معاملة الناس وحسن الخلق

ـ قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ﴾[1].

فالرحمة واللطف في معاملة الناس من أبرز أخلاق النبي ﷺ وأخلاق العلماء ورثة الأنبياء.

ـ قال ابن القيم:

(فليس للقلب أنفع من معاملة الناس باللطف وحب الخير لهم؛ فإن معاملة الناس بذلك إما أجنبي فتكسب مودته ومحبته، وإما صاحب وحبيب فتستديم صحبته ومودته، وإما عدو مبغض فتُطفئ بلطفك جمرته، وتستكفي شره.

ومن حمل الناس على المحامل الطيبة وأحسن الظن بهم سلمتْ نيّته، وانشرح صدره، وعوفي قلبه، وحفظه الله من السوء والمكاره)[2].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٢) مدارج السالكين ٢/٥١١.

● ـ وقد تحدث العلماء عن منزلة تربية النفس على حسن الخلق والحِلم، والعفو عن الناس فقال الإمام الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(اعلم أن الحلم أفضل من كظم الغيظ، لأن كظم الغيظ عبارة عن التحلّم، أي: تكلف الحلم، ولا يحتاج إلى كظم الغيظ إلا من هاج غيظه، ويحتاج فيه إلى مجاهدة شديدة، ولكن إذا تعوّد ذلك مدةً صار ذلك اعتياداً، فلا يهيج الغيظ، وإن هاج فلا يكون في كظمه تعب، وهو الحلم الطبيعي، ولكن ابتداؤه التحلّم وكظم الغيظ تكلفاً، قال ﷺ: «**إنما العلم بالتعلّم، والحلم بالتحلّم**»[1])[2].

● وقال الإمام ابن حبّان البستي رحمه الله تعالى:

(الواجب على العاقل أن يتحبَّب إلى الناس بلزوم حُسن الخُلق وترك سوء الخلق، لأن الخلق الحسن يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد، وإن الخلق السيِّء ليفسد العمل كما يفسد الخلُّ العسل، وقد تكون في الرجل أخلاقٌ كثيرة صالحة كلها، وخلق سيِّء، فيفسد الخلق السيِّء الأخلاق الصالحة كلها).

● ثم أورد قول الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى:

(إذا خالطتَ فخالط حَسَن الخلق، فإنه لا يدعو إلاَّ إلى خير، وصاحبُه منه في راحة، ولا تخالط سيِّء الخلق فإنه لا يدعو إلاَّ إلى شر، وصاحبه منه في عناء، ولأن يصحبني فاجرٌ حسن الخلق أحبُّ إليَّ من أن يصحبني قارئ سيِّء الخلق، إنَّ الفاسق إذا كان حَسن

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط ١١٨/٨، حديث رقم: ٢٦٦٣، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، رقم: ٢٣٢٨.

(٢) إحياء علوم الدين ١٧٦/٣.

الخلق عاش بعقله وخفَّ على الناس وأحبوه، وإن العابد إذا كان سيِّىء الخلق ثقُل على الناس ومقَتوه)[١].

● وقال الإمام ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ:

(اعلم أن الخلق الحسن صفة الأنبياء والصديقين، وأن الأخلاق السيئة سموم قاتلة، تنخرط بصاحبها في سلك الشيطان، وأمراضٌ تفوِّت جاه الأبد، فينبغي التعرّف على العلل ثم التشمير في معالجتها)[٢].

● ثم قال: (الجسد مدركٌ بالبصر، والنفس مدركةٌ بالبصيرة، ولكل واحدة منها هيئة وصورة، إما جميلة أو قبيحة، والنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدراً من الجسد المدرك بالبصر).

(وكما أن البدن إذا كان صحيحاً فشأن الطبيب العمل على حفظ الصحة، وإن كان مريضاً فشأنه جلب الصحة إليه، كذلك النفس إذا كانت زكية طاهرة مهذبة الأخلاق، فينبغي أن يسعى بحفظها، وجلب مزيد القوة إليها، وإن كانت عديمة الكمال فينبغي أن يسعى بجلب ذلك إليه)[٣].

● وتحدث رحمه الله تعالى عن الصلة بين الأعمال والأخلاق، فقال:

(لا تصدر الأعمال الصالحة إلاَّ عن الأخلاق الحسنة، فليتفقد كل عبدٍ صفاته وأخلاقه، وليشتغل بعلاج واحد بعد واحد، وليصبر ذو

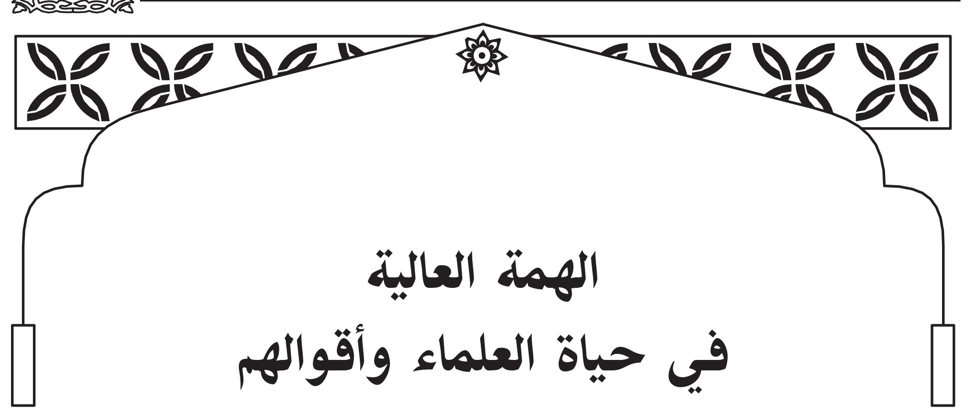
---

(١) روضة العقلاء، ص٦٤.
(٢) مختصر منهاج القاصدين، ص١٤٢.
(٣) المرجع نفسه، ص١٤٤.

العزم على مضض هذا الأمر، فإنه سيحلو كما يحلو الفطام للطفل بعد كراهته له، فلو رُدَّ إلى الثدي لكرهه، ومن عرف قصر العمر بالنسبة إلى مدة حياة الآخرة حمل مشقة سفر أيامٍ لتنعم الأبد، فعند الصباح يحمد القوم السُّرى)[١].



(١) مختصر منهاج القاصدين، ص١٤٦.



الهمة العالية في حياة العلماء وأقوالهم

لا شك أن علو الهمة من أهم الفضائل والمناقب التي يتحلى بها أصحاب القلوب الحية والنفوس المشرقة بنور الإيمان، فتجد أحدهم يتحرى الفضائل ويبادر إلى الخيرات ويسارع في الطاعات، ويتوجَّه بقلبه وجوارحه إلى معالي الأمور.

● قال الإمام ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ:

(العالي الهمة يجتهد في نيل مطلوبه، ويبذل وسعه في الوصول إلى محبوبه، فأما خسيس الهمة فاجتهاده في متابعة هواه، ويتكلُ على مجرد العفو، فيفوته إن حصل له العفو منازل السابقين المقربين)[١].

وليكن شعار أصحاب القلوب الحية والهمم السامية: ليست العبرة أن تضيف سنوات إلى حياتك، ولكن العبرة أن تضيف حياةً إلى سنواتك.

فمن كان عالي الهمة لا يقعد عن الجِد والاجتهاد لينال أعلى ما يُراد وأرفع ما يُستفاد.

(١) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، للإمام ابن رجب، ص٤٣١.

ومــن تــكــن الــعــلــيــاء هــمــةَ نــفــســه
فــكــل الــذي يــلــقــاه فــيــهــا مُــحــبَّــبُ

● ـ قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

(السنة شجرة، والشهور فروعها، والأيام أغصانها، والساعات أوراقها، والأنفاس ثمرها، فمن كانت أنفاسه في طاعة فثمرة شجرته طيبة، ومن كانت في معصية فثمرته حنظل)(١).

وقد حفلت كتب أسلافنا العلماء بالحديث عن علوِّ الهمة والسعي إليها، وكانت حياتهم نماذج تحتذى في الهمة التي وصلت بهم إلى القمة.

● ـ يقول الإمام ابن عقيل(٢) رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

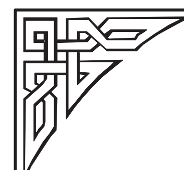
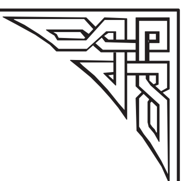
(عصمني الله في شبابي بأنواع من العصمة، وقَصَر محبتي على العلم، وما خالطتُ لعَّاباً قط، وما عاشرتُ إلا أمثالي من طلبة العلم، وأنا في عشر الثمانين أجدُ من الحِرص على العلم أشدّ مما كنت أجده وأنا ابن عشرين)(٣).



(١) الفوائد، ص١٦١.

(٢) هو الإمام أبو الوفاء علي بن عقيل البغدادي، شيخ الحنابلة، ولد سنة ٤٣١هـ، وتوفي سنة ٥١٣هـ. (سير أعلام النبلاء ٤٤٣/١٩).

(٣) سير أعلام النبلاء ٤٤٦/١٩.

الفصل الرابع
أقوال العلماء
في أخطار مفسدات القلوب

١ ـ طغيان الشهوات.

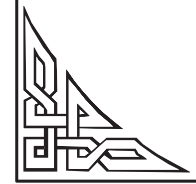
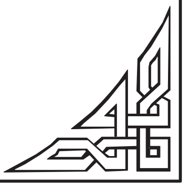
٢ ـ خطوات الشيطان.

٣ ـ صحبة أهل الفساد.

٤ ـ الشح والبخل.

٥ ـ العجز والكسل.

٦ ـ الحسد.



طغيان الشهوات

إذا أصبح العبد أسيراً لشهواته فسدت فطرته وخُتم على قلبه. وتأمل هذا الموقف من مواقف خاتمة السوء والغواية لمن أراد الهداية ولكن طغيان الشهوة صدَّه عن الإسلام.

● لما توجّه الأعشى إلى المدينة ليُسلم، لقيه بعض المشركين في الطريق، فقالوا له: أين تذهب؟ فأخبرهم أنه يريد محمداً ﷺ، فقالوا: لا تصِلْ إليه فإنه يأمرك بالصلاة.

فقال: إن خدمة الرب واجبة.

فقالوا: إنه يأمرك بإعطاء المال إلى الفقراء.

فقال: اصطناع المعروف واجب.

فقيل له: إنه ينهى عن الزنى.

فقال: هو فُحش وقبيح في العقل، وقد صرت شيخاً فلا أحتاج إليه.

فقيل له: إنه ينهى عن شرب الخمر.

فقال: أما هذا فإني لا أصبر عليه.

فرجع، وقال: أشربُ الخمر سنة، ثم أرجعُ إليه.

فلم يصل إلى منزله حتى سقط عن البعير، فانكسرت عنقه فمات[١].

● قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾[٢].

ـ قال الشاعر:

تفنى اللَّذاذة ممن نال صفوتها
من الحرام ويبقى الإثم والعارُ
تبقى عواقبُ سوءٍ من مُعقِّبها
لا خير في لذةٍ من بعدها النار[٣]

● ـ قال الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(المعاصي بمنزلة الأخلاط الرديئة في البدن، ومثل الدَغل في الزرع.. والقلب إذا تاب من الذنوب كان استفراغاً من تخليطاته، فتخلصت قوة القلب وإراداته للأعمال الصالحة، واستراح القلب)[٤].

● ـ وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(القلب يمرض كما يمرض البدن، وشفاؤه في التوبة والحمية.

ويصدأ كما تصدأ المرآة، وجلاؤه بالذكر.

ويعرى كما يعرى الجسم، وزينته: التقوى.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٤٠/٣.
(٢) سورة الفرقان، الآيتان: ٤٣ ـ ٤٤.
(٣) زهر الأكم في الأمثال والحكم، للحسن اليوسي ١٠٠/٣.
(٤) مجموع الفتاوى ٩٦/١٠.

ويجوع ويظمأ كما يجوع البدن، وطعامه وشرابه: المعرفة والمحبة والتوكل والإنابة)[١].

ـ وقال أيضاً:

(إن المعاصي تزرع أمثالها، ويولِّد بعضها بعضاً حتى يعز على العبد مفارقتها والخروج منها.. ولا يزال يألف المعاصي ويحبها ويؤثرها حتى يرسل الله عليه الشياطين فتؤزُّه إليها أزّاً)[٢].

ـ وقال أيضاً: (إن القلوب لا تُعطى مناها حتى تصل إلى مولاها، ولا تصل إلى مولاها حتى تكون صحيحة سليمة.. ولا يصح لها ذلك إلا بمخالفة هواها، فهواها مرضُها، وشفاؤها مخالفته، فإن استحكم المرض قتل أو كاد)[٣].



(١) الفوائد، ص١٢٩.

(٢) الجواب الكافي، ص٧٨.

(٣) المرجع السابق، ص٨٢.



خطوات الشيطان ومكائده

قال تعالى محذراً عباده من اتباع خطوات الشيطان ووساوسه ومكائده: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ﴾ [النور: ٢١].

● **والشيطان يتقن حيلة التدرج والالتفاف في إغواء العباد،** وهي الحيلة التي يصطاد بها كثيراً من الناس وهم لا يشعرون ولا يظهر منهم معارضة له، لأنه إن رأى أحد مداخله إلى النفس مُوصَداً تسرَّب من مدخل آخر، حتى لا يدع جهة أو طريقاً يصد بها العبد عن طاعة ربه إلا سلكها.

وقد أخبر الله سبحانه عن هذا الكيد الشيطاني فقال تعالى:

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَـَٔاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: ١٦ ـ ١٧].

وقد استخدم إبليس وسيلة التدرج في الخداع مع آدم عليه السلام، وهذا ما ألمحت إليه الآية الكريمة، وهي قوله تعالى: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ﴾ [الأعراف: ٢٢].

فكلمة ﴿فَدَلَّىٰهُمَا﴾ تشير إلى التدرج كما يدلي الرجل الدلو في

البئر، يقال: أدلى دَلْوه، أي: أرسلها، وهذا التدرج إما أن يبدأ من الصغائر حتى يوقع العبد في الكبائر، وإما أن يبدأ من الكبائر، فإن يئس منها تدرج إلى ما هو أدنى، حتى يصل إلى منفذ تميل إليه النفس فيدخل منه ثم ينتقل إلى غيره حتى يصل إلى مراده.

● **وقد فصَّل الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحديث عن هذا المكر الشيطاني الذي قلّما يسلم منه بشر، فبين أن الشيطان يقف للإنسان في سبع عقبات**: أولها عقبة الكفر، فإن نجا منه العبد وقف له في عقبة البدعة، ثم في عقبة فعل الكبائر، ثم في عقبة فعل الصغائر، فإن سلم من هذه العقبات وقف له في عقبة الإكثار من المباحات حتى تشغله عن الطاعات، فإن غلبه المؤمن بإيمانه شغله بالأعمال المفضولة عن الأعمال الفاضلة، فإن سلم من ذلك وقف له في العقبة السابعة التي لا يسلم منها مؤمن، إذ لو نجا منها أحد لنجا منها رسل الله وأنبياؤه، وهي تسليط حزبه وجنوده من الأعداء الفجرة على المؤمن بأنواع الأذى، وهذه العقبة لا حيلة للعبد في التخلص منها، وما عليه إلا أن يراغم أعداءه، فمن تعبَّد لله بمراغمة عدوه فهو من أهل الاستقامة[١].

● قال الإمام ابن رجب الحنبلي:

(مَن صدق العزيمة يئس منه الشيطان، ومتى كان العبد متردداً طمع فيه الشيطان وسوَّفه ومنَّاه)[٢].



(١) مدارج السالكين ٢٢٢/١.

(٢) رسالة (شرح حديث شداد بن أوس)، لابن رجب الحنبلي، ص٣٦.



صحبة أهل الفساد

الصحبة الصالحة زاد المؤمن وحياة لقلبه، ومخالطة أهل الفساد تقسِّي القلب وتُمرضه.

قال عدي بن زيد:

إذا كـنـت فـي قـوم فـصـاحـبْ خـيـارهـم
ولا تـصـحـب الأردى فـتـردى مـع الـردي[١]

● قال الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(ما رأيتُ أكثر أذى للمؤمن مِن مخالطة مَن لا يصلح، فإن الطبع يسرق، فإن لم يتشبَّه بهم ولم يسرق منهم فَتَر عن عمله)[٢].

●ـ وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وكم جلبت خلطة الناس من نقمة، ودفعت من نعمة، وأنزلت من محنة وعطّلت من منحة، وأحلت من رزية، وأوقعت في بليّة، وهل آفة الناس إلا الناس..

(١) تاريخ ابن الوردي ١/٢٩٤.
(٢) صيد الخاطر، ص٣٦٣.

وهذه الخلطة التي تكون على نوعِ مودةٍ في الدنيا تنقلب إذا حقَّت الحقائق عداوةً)[١].

كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۝٢٧ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝٢٨ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ۝٢٩﴾[٢].

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(والضابط النافع في أمر الخلطة: أن يخالط الناس في الخير ويعتزلهم في الشر، وفضول المباحات، فإن دعت الحاجة إلى خلطتهم في الشر ولم يمكنه اعتزالهم، فالحذر الحذر أن يوافقهم، وليصبر على أذاهم.. وإن دعت الحاجة إلى خلطتهم في المباحات فليجتهد أن يقلب ذلك المجلس طاعة لله إن أمكنه)[٣].

● ـ وقد قيل لعبدالله بن المبارك: إن قوماً يلتقون بالبِشر والسلام، فإذا تفرقوا طعن بعضهم على بعض.

فقال: أعداء غيبٍ، إخوة تلاقٍ، تباً لهذه الأخلاق، كأنما شُقَّت من النفاق[٤].

● ـ قال داود بن أبي هند: (جالستُ الفقهاء فوجدت ديني عندهم، وجالستُ أصحاب المواعظ فوجدت الرِقة في قلبي، وجالستُ كبار الناس فوجدت المروءة فيهم، وجالست شرار الناس فوجدت أحدهم يطلِّق امرأته على شيء لا يساوي شُعيرة)[٥].

---

(١) مدارج السالكين ٤٥٥/١.
(٢) سورة الفرقان، الآيات: ٢٧ ـ ٢٩.
(٣) مدارج السالكين ٤٥٦/١.
(٤) الصداقة والصديق، لأبي حيان.
(٥) المجالسة وجواهر العلم ٥٨/٧.



الشح والبخل

* قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(والفرق بين الشح والبخل أن الشح: هو شدة الحرص على الشيء، والاستقصاء في تحصيله، وجشع النفس عليه.

والبخل: منع إنفاقه بعد حصوله وحبّه وإمساكه فهو شحيح قبل حصوله، بخيل بعد حصوله.

فالبخل ثمرة الشح، والشح يدعو إلى البخل، والشح كامن في النفس، فمن بخل فقد أطاع شحّه، ومن لم يبخل فقد عصى شحه ووُقيَ شره، وذلك هو المفلح.

قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾[1])[2].

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(لما كان البخيل محبوساً عن الإحسان، ممنوعاً عن البر والخير، كان جزاؤه من جنس عمله، فهو ضيق الصدر، ممنوع من

(١) الحشر: ٩، التغابن: ١٦.

(٢) الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب ـ لابن القيم ـ ص٦٤.

الانشراح، صغير النفس، قليل الفرح، كثير الهم والغم والحزن، لا يكاد تقضى له حاجة، ولا يُعان على مطلوب)[١].

وتحدث رَحِمَهُ اللَّهُ عن أسباب انشراح الصدر ومسببات الضيق والهم فقال:

(من أسباب انشراح الصدر الإحسان إلى الخلق ونفعهم بما يمكنه من المال والجاه، والنفع بالبدن.. والبخيل الذي ليس فيه إحسان أضيق الناس صدراً، وأنكدهم عيشاً، وأعظمهم هماً وغماً)[٢].

● ـ وقال الإمام ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ:

(البخل هو إمساك الإنسان ما في يده، والشح تناول ما ليس له ظلماً وعدواناً من مالٍ أو غيره، حتى قيل: إنه رأس المعاصي كلها)[٣].

● ـ وأورد الحافظ ابن عساكر في ترجمة الأحنف بن قيس (اسمه الضَحّاك) أنه رأى في يد رجل درهماً، فقال: لمن هذا الدرهم؟ فقال الرجل: لي، فقال: إنما هو لك إذا أنفقته في أجر أو ابتغاء شكر.

ثم أنشد الأحنف متمثلاً قول الشاعر:

أنتَ للمال إذا أمسكتَه
فإذا أنفقتَه فالمال لك[٤]

---

(١) الوابل الصيب ص٦٢.

(٢) زاد المعاد ٢/٢٥.

(٣) شرح وبيان لحديث: «ما ذئبان جائعان»، لابن رجب، ص٣١.

(٤) تفسير ابن كثير ٤/٥٨٢.

● ـ ويزداد خطر الشح والبخل إذا اتصف به العلماء وطلاب العلم، قال سفيان الثوري: (العالم طبيب هذه الأمة، والمال داؤها، فإذا كان الطبيب يجر الداء إلى نفسه، فكيف يعالج غيره)[١].

ـ فالشح آفة خطيرة من آفات النفس ومفسدات القلب، ومن انتصر على هذه الآفة فقد انتصر على أشد أعدائه.

● ـ قال الإمام ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(من مَلَك نفسه وقهرها عزَّ بذلك، لأنه انتصر على أشد أعدائه وقهره واكتفى شرَّه.. ومن عصمه الله وحفظه وقاهُ شح نفسه وشرها، وقوَّاه على مجاهدتها ومعاداتها)[٢].



(١) جامع بيان العلم وفضله، ص٢٢٤.

(٢) شرح حديث: «لبيك اللهم لبيك»، ص١٣٠.



العجز والكسل

عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**اللَّهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والهرم والبخل وضلع الدين وغلبة الرجال**»[(١)]، أي: ثقل الدين وشدته.

وفي رواية البخاري: «**اللَّهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل، وضلع الدين وغلبة الرجال**».

- قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

(جمع هذا الحديث الاستعاذة من أصول الشر وفروعه.. وهو مشتمل على ثماني خصال، كل خصلتين منها قرينتان.

فقال: «**أعوذ بك من الهم والحزن**»، وهما قرينتان، فإن المكروه الوارد على القلب ينقسم إلى قسمين: إما أن يكون سببه أمراً ماضياً فهو يُحدث الحزن، وإما أن يكون توقع أمر مستقبل، فهو يُحدث الهم.

وكلاهما من العجز، فإن ما مضى لا يُدفع بالحزن، بل بالرضا والحمد والصبر والإيمان بالقدر.. وما يُستقبل لا يُدفع بالهم، بل إما

---

(١) رواه البخاري في الدعوات ١٤٨/١١، رقم: ٦٠٠٢، ورواه مسلم، رقم: ٢٧٢٢.

يكون له حيلة في دفعه فلا يعجز عنه، وإما أن لا تكون له حيلة في دفعه فلا يجزع منه.. فالهم والحزن يضعفان العزم ويوهنان القلب، ويقطعان عليه طريق السير.. فهما حمل ثقيل على ظهر السائر.

وقد استعاذ النبي ﷺ من الهم والحزن، ومن العجز والكسل، فإن تخلُّف كمال العبد وصلاحه إما أن يكون لعدم قدرته عليه فهو عجز، أو يكون قادراً عليه لكن لا يريد فهو كسل، وينشأ عن هاتين الصفتين فوات كل خير وحصول كل شر، ومن ذلك الشر تعطيله عن النفع ببدنه، وهو الجبن، وعن النفع بماله وهو البخل، ثم ينشأ له غلبة الدين وغلبة الرجال، وكل هذه المفاسد ثمرة العجز والكسل)[١].



(١) زاد المعاد ٣٢٦/٢ ـ ٣٢٨ باختصار.



الحسد

● قال الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

(الحسد مرض من أمراض النفس، وهو مرض غالب فلا يخلص منه إلا قليل من الناس، ولهذا يقال: ما خلا جسد من حسد، لكن اللئيم يبديه والكريم يخفيه.

وقد قيل للحسن البصري: أيحسد المؤمن؟ فقال: (ما أنساك إخوة يوسف لا أبا لك، ولكن عمِّهِ في صدرك، فإنه لا يضرك ما لم تَعْدُ به يداً ولساناً) فمن وجد في نفسه حسداً لغيره فعليه أن يستعمل معه التقوى والصبر، فيكره ذلك من نفسه)[١].

ثم قال: (وهكذا الحسد يقع كثيراً بين المتشاركين في رئاسة أو مالٍ إذا أخذ بعضهم قسطاً من ذلك وفات الآخر، ويكون بين النظراء لكراهة أحدهما أن يفضَّل الآخر عليه)[٢].

وقال أيضاً: (بُغض الحاسد لنعمة الله على المحسود كبغض

(١) مجموع الفتاوى ١٠/١٢٥.
(٢) المرجع نفسه ١٠/١٢٦.

المريض لأكلِ الأصحاء لأطعمتهم وأشربتهم، حتى لا يقدر أن يراهم يأكلون)[(١)].

وقال بعض الحكماء: وجدت أطول الناس غماً الحسود، وأهنأهم عيشاً القنوع، وأصبرهم على الأذى الحريص إذا طمع، وأخفضهم عيشاً أرفضهم للدنيا، وأعظمهم ندامة العالم المفرط.

● قال الشاعر أبو الحسن التهامي رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما اغتابني حاسدٌ إلا شرفتُ به
فحاسدي مُنعم في زيٍّ منتقم
فاللَّه يكلأ حُسّادي فأنعمُهم
عندي وإن وقعت من غير قصدهم
ينبِّهون على فضلي إذا كُتبت
صحيفتي في المعالي عُنْوِنتْ بهم[(٢)]

● وقال حبيب الطائي:

وإذا أراد اللَّه نشر فضيلةٍ
طُويتْ أتاحَ لها لسانَ حسودِ
لولا اشتعال النار فيما جاورتْ
ما كان يُعرف طيب عَرْفِ[(٣)] العودِ[(٤)]

---

(١) المرجع نفسه ١٤٢/١٠.

(٢) ديوان أبو الحسن التهامي، تحقيق: د.محمد عبدالرحمٰن الربيع، ص٥١٣.

(٣) العَرف: الرائحة.

(٤) العقد الفريد ١٧٥/٢.

● ـ وقال ابن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(ما حسدت أحداً قطُّ على شيء؛ إن كان من أهل النار فكيف أحسده على شيء من الدنيا ومصيره إلى النار؟ وإن كان من أهل الجنة فكيف أحسد رجلاً من أهلها أوجب الله تبارك وتعالى له رضوانه؟)[1].

● ـ وقال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(أصول الشر ثلاثة: الحرص والحسد والكِبْر، فالكِبر منع إبليس من السجود لآدم، والحرص أخرج آدم من الجنة، والحسد حمل ابن آدم على قتل أخيه)[2].

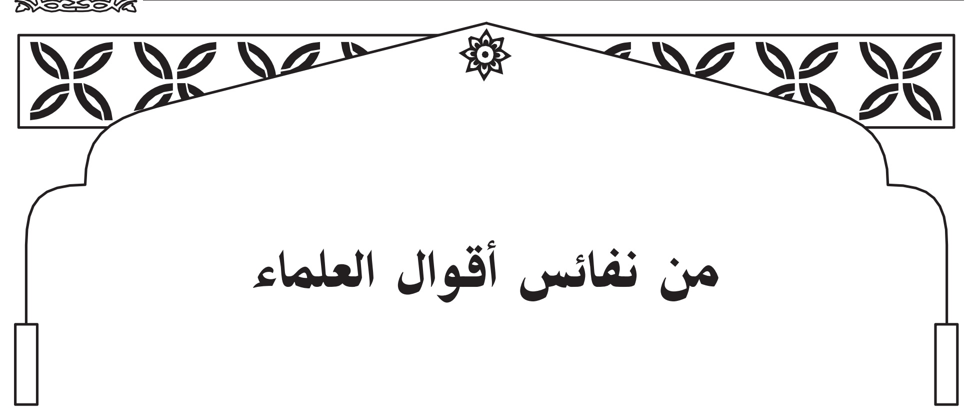
● ـ وقد بيّن الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ المنزلة الكبيرة لمن يقابل إساءة الحاسد بالإحسان إليه فقال:

(من أصعب الأسباب على النفس وأشقها عليها.. طفئ نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه، فكلما ازداد أذى وشراً وبغياً وحسداً ازددت إليه إحساناً، وله نصيحة، وعليه شفقة)[3].

قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٥٤﴾[4].



(١) المجالسة وجواهر العلم ٦٨/٧.
(٢) المرجع السابق ١٢٣/٢.
(٣) بدائع الفوائد ٢٤٣/٢.
(٤) سورة القصص، آية: ٥٤.



من نفائس أقوال العلماء

● ـ قال ابن السماك[١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

(هب الدنيا في يديك، ومثلها ضُمَّ إليك، وهَبِ المشرق والمغرب يجيء إليك، فإذا جاءك الموت فماذا في يديك؟).

ـ وقال أيضاً: (الدنيا كلها قليل، والذي بقي منها قليل، والذي لك من الباقي قليل، ولم يبقَ من قليلك إلا قليل، وقد أصبحت في دار العزاء، وغداً تصير إلى دار الجزاء، فاشتر نفسك لعلك تنجو)[٢].

● ـ وعن أبي مسلم الخولاني أنه قال:

(العلماء ثلاثة: فرجلٌ عاش في علمه وعاش معه الناس فيه، ورجل عاش في علمه ولم يعش معه أحد، ورجل عاش الناس في علمه وكان وبالاً عليه)[٣].

---

(١) هو العالم الزاهد أبو العباس محمد بن صبيح العجلي الكوفي، توفي سنة ١٨٣هـ. (سير أعلام النبلاء ٨/٣٣٠).

(٢) سير أعلام النبلاء ٨/٣٣٠.

(٣) رواه الدارمي، رقم ٣٦١.

● ـ وقال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(ليس العاقل الذي يحتال للأمر إذا وقع فيه، ولكن العاقل الذي يحتال للأمر أن لا يقع فيه)(١).

● ـ وقال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(حملة القرآن ثلاثة نفر: رجل اتخذه بضاعة ينقله من مِصر إلى مِصر، يطلب به ما عند الناس، ورجلٌ حفظ حروفه وضيَّع حدوده، واستدَرَّ به الولاة، واستطال به على أهل بلده، وقد كثر هذا الضرب(٢) في حملة القرآن، لا كَثَّرهم الله.

ورجل قرأ القرآن فوضع دواءه على داء قلبه، فسهر ليلته، وهملتْ عيناه، تسَرْبلَ بالخشوع، وارتدى الوقار، واستشعر الحزن، ووالله لهذا الضرب من حملة القرآن أقلُّ من الكبريت الأحمر، بهم يَسقي الله الغيث ويُنزِل النصر ويَدفع البلاء)(٣).

ـ وقال أيضاً رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (العلم علمان: علم في القلب، فذاك العلم النافع، وعلم في اللسان، فذاك حجة الله على عباده)(٤).

● ـ وقال عبدالواحد بن صفوان رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كنا مع الحسن في جنازة فقال: (رحم الله امرءاً عمل لمثل هذا اليوم، إنكم اليوم تقدرون على ما لا يقدر عليه إخوانكم

---

(١) المجالسة وجواهر العلم ٣/٦٠.

(٢) أي: هذا النوع.

(٣) العقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسي ٢/١٠٣.

(٤) المرجع السابق ٢/٩٢.

هؤلاء من أهل القبور، فاغتنموا الصحة والفراغ قبل يوم الفزع والحساب)[١].

● ـ وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

(من غلب عليه حب الدنيا وشهوتها، ألزمَتْه العبودية لأهلها، ومن رضي بالقنوع زال عنه الخضوع)[٢].

ـ وقال الإمام الشافعي أيضاً:

(أظلم الظالمين لنفسه: الذي إذا ارتفع جفا أقاربه، وأنكر معارفه، واستخفَّ بالأشراف، وتكبر على ذوي الفضل)[٣].

● ـ قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

(إذا أتاك رجل يشكو إليك رجلاً، فقل: يا أخي، اعف عنه، فإن العفو أقرب للتقوى، فإن قال: لا يحتمل قلبي العفو، ولكن انتصر كما أمرني الله عَزَّ وَجَلَّ، قل: فإن كنت تحسن تنتصر مِثلاً بمثل، وإلا فارجع إلى باب العفو، فإنه باب أوسع، فمن عفا وأصلح فأجره على الله، وصاحب العفو ينام الليل على فراشه، وصاحب الانتصار يقلِّب الأمور)[٤].

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴿٨٥﴾﴾[٥].

والصفح الجميل هو الذي لا أذيّة فيه، بل تقابل إساءة المسيء

---

(١) الزهد، لابن أبي الدنيا، ص٤٦.
(٢) الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء، ص١٥٩.
(٣) الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء، ص١٥٨.
(٤) حلية الأولياء ١١٢/٨.
(٥) سورة الحجر، آية: ٨٥.

بالإحسان، وذنبه بالغفران، لتنال من ربك جزيل الأجر[١].

● ـ وقال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(ينبغي لمن كان صادق الرغبة، قوي الفهم، ثاقب النظر، عزيز النفس، شهم الطبع، عالي الهمة، سامي الغريزة، ألا يرضى لنفسه بالدون، ولا يقنع بما دون الغاية، ولا يقعد عن الجد والاجتهاد المبلغين له إلى أعلى ما يُراد)[٢].

● **ولنختم هذه النفائس من أقوال العلماء بقول الإمام ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **وهو يناجي ربه، فيقول:**

(إلٰهي، ما أكثر المعرضين عنك، والمعترضين عليك**!**

وما أقلَّ المتعرِّضين إليك.

يا روح القلوب أين طلابك؟

يا نور السماوات أين أحبابك؟

يا رب الأرباب أين عُبَّادك؟

يا مسبب الأسباب أين قُصَّادك؟

مَن الذي جاءك بكربه فلم يفرح؟

أيُ صدرٍ صدَرَ عن بابك ولم يشرح؟

مَن الذي لاذَ بجنابك فاشتهى أن يبرح؟)[٣].



---

(١) تفسير السعدي ٤/ ٨٧.

(٢) أدب الطلب ومنتهى الأرب، للإمام الشوكاني، ص١٦٧.

(٣) المدهش ٢/ ٥٩٠.



وصايا شعرية

● **ختم الإمام النووي كتابه (إرشاد طلاب الحقائق)[١] بالأبيات التالية التي أنشدها الحافظ أبو القاسم لنفسه:**

واظِبْ على جمع الحديث وكَتْبِهِ
واجْهَد على تصحيحه في كُتْبه

واسمَعْه من أربابه نقلاً كما
سمعوه من أشياخهم تَسعدْ به

واعرف ثقات رواته من غيرهم
كيما تُميِّز صدقهُ من كذبِهِ

فهو المفسِّر للكتاب وإنما
نطق النبي لنا به عن ربه

فتفهّمِ الأخبارَ تعرفْ حِلَّه
من حِرْمه مع فرضهِ مِن نَدْبِه

وهو المبيِّن للعباد بشرحه
سُنن النبي المصطفى مع صحبه

(١) إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق ﷺ، للإمام محيي الدين النووي، تحقيق: د.نور الدين عتر، ص٢٥٤.

وتتبعِ العالي الصحيح فإنه
قرب إلى الرحمٰن، تحظَ بقربه
فكفى المحدّثَ رفعةً أن يُرتضَى
ويُعدَّ من أهل الحديث وحِزبه





أبرز المصادر والمراجع

١ ـ **آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة**: للشيخ بدر الدين الغزي، تحقيق: مشهور حسن سلمان.

٢ ـ **آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل**: للشيخ محمد ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية.

٣ ـ **أخلاق حملة القرآن**: للإمام أبي بكر الآجري، دار البشائر الإسلامية ـ بيروت، ١٤١٢هـ.

٤ ـ **أخلاق العلماء**: للإمام أبي بكر الآجري، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٤٠٥هـ.

٥ ـ **أدب الدنيا والدين**: للإمام الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا، دار الفكر ـ بيروت.

٦ ـ **أدب الطلب ومنتهى الأرب**: للإمام محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: عبدالله يحيى السريحي، دار ابن حزم ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٧ ـ **أدب النفوس**: للإمام أبي بكر الآجري، تحقيق: عبدالعزيز محمد المكي، ط١، ١٤١٢هـ.

٨ ـ **الأعلام**: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين ـ بيروت، ط١٩٨٤م.

٩ ـ **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**: للإمام ابن قيم الجوزية، دار الفكر ـ بيروت.

١٠ ـ **الإمام الشاطبي سيد القراء**: إبراهيم محمد الجرمي، سلسلة أعلام المسلمين (٧٤)، دار القلم ـ بدمشق، ط١، ١٤٢٠هـ.

١١ ـ **الإمام النووي شيخ الإسلام والمسلمين وعمدة الفقهاء والمحدثين**: عبدالغني الدقر، سلسلة أعلام المسلمين (١٠)، دار القلم ـ بدمشق، ط٣، ١٤٠٧هـ.

١٢ ـ **الإمام النووي**: للشيخ علي الطنطاوي، دار الفكر بدمشق، ١٤٠٨هـ.

١٣ ـ **ابن قيم الجوزية ـ حياته وآثاره**: للدكتور بكر أبو زيد، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.

١٤ ـ **الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء**: للإمام ابن عبدالبر الأندلسي، تحقيق: الشيخ عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

١٥ ـ **بدائع الفوائد**: للإمام ابن قيم الجوزية.

١٦ ـ **البداية والنهاية**: للإمام عماد الدين إسماعيل بن كثير، دار الفكر ـ بيروت، ١٩٧٨م.

١٧ ـ **بهجة المجالس وأُنس المُجالس**: للإمام ابن عبدالبر، تحقيق: محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٨ ـ **تاريخ ابن الوردي**: للإمام زين الدين عمر بن مظفر (ابن الوردي)، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

١٩ ـ **التبيان في آداب حملة القرآن**: للإمام محيي الدين النووي، تحقيق: الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط، دار نور المكتبات، ١٤١٨هـ.

٢٠ ـ **تذكرة الحفاظ**: للإمام شمس الدين الذهبي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٢١ ـ **تفسير سورة النصر**: للإمام ابن رجب الحنبلي، تحقيق: الدكتور حسن عتر، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.

٢٢ ـ **تفسير القرآن العظيم**: للإمام عماد الدين إسماعيل بن كثير، دار المعرفة ـ بيروت، ١٤١٢هـ.

٢٣ ـ **التفسير الكبير**: للإمام الفخر الرازي، دار الفكر ـ بيروت، ١٤٠١هـ.

٢٤ ـ **تهذيب الأسماء واللغات**: للإمام محيي الدين النووي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٢٥ ـ **جامع بيان العلم وفضله**: للإمام أبي عمر يوسف بن عبدالبر القرطبي، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.

٢٦ ـ **جامع العلوم والحكم**: للإمام ابن رجب الحنبلي، دار الفكر ـ بيروت.
٢٧ ـ **الجامع لأحكام القرآن**: للإمام أبي عبدالله القرطبي، تصحيح: أحمد عبدالعليم البردوني.
٢٨ ـ **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**: للإمام الخطيب البغدادي، تحقيق: الدكتور محمود طحان، مكتبة المعارف بالرياض، **١٤٠٣**هـ.
٢٩ ـ **جمال القُراء وكمال الإقراء**: للإمام عَلم الدين السخاوي، تحقيق: الدكتور علي حسين البواب، مكتبة التراث بمكة المكرمة، **١٤٠٨**هـ، وطبعة أخرى تحقيق: الدكتور عبدالحق القاضي، مؤسسة الكتب العلمية، **١٤١٩**هـ.
٣٠ ـ **الحث على حفظ العلم**: للإمام ابن الجوزي، تقديم: مروان العطية، دار الهجرة بدمشق، ط١، **١٤٠٩**هـ.
٣١ ـ **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**: للإمام أبي نعيم الأصفهاني، دار الباز ـ مكة المكرمة.
٣٢ ـ **الخليفة الزاهد عمر بن عبدالعزيز**: عبدالعزيز سيد الأهل.
٣٣ ـ **الخيرات الحسان في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان**: للإمام شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي، تحقيق: الشيخ خليل الميس، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، **١٤٠٣**هـ.
٣٤ ـ **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**: للإمام ابن حجر العسقلاني.
٣٥ ـ **دلائل التوحيد**: للشيخ جمال الدين القاسمي، تعليق: الشيخ خالد العك.
٣٦ ـ **ديوان الإمام الشافعي**: جمع وتحقيق: الدكتور مصطفى بهجت، دار القلم بدمشق، ط١، **١٤٢٠**هـ.
٣٧ ـ **ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي**: للحافظ أبي المحاسن الحسيني الدمشقي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٣٨ ـ **رجال من التاريخ**: علي الطنطاوي ـ دار المنارة.
٣٩ ـ **الرحلة في طلب الحديث**: للإمام الخطيب البغدادي، تحقيق: الدكتور نور الدين عتر، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، **١٣٩٥**هـ.
٤٠ ـ **الرسول المعلم وأساليبه في التعليم**: الشيخ عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب.

٤١ ـ **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**: للإمام ابن قيم الجوزية.

٤٢ ـ **زاد المعاد في هدي خير العباد**: للإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب وعبدالقادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة عشر، **١٤٠٧**هـ.

٤٣ ـ **الزهد**: للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتاب العربي ـ بيروت، الطبعة الثانية، **١٤١٤**هـ.

٤٤ ـ **سراج القارئ المبتدي وتذكار المقري المنتهي**: للإمام أبي القاسم علي بن عثمان بن القاصح، تحقيق: الدكتور علي بن محمد عطيف، إصدار مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، **١٤٣٥**هـ.

٤٥ ـ **سير أعلام النبلاء**: للإمام شمس الدين الذهبي، تحقيق: الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة العاشرة، **١٤١٥**هـ.

٤٦ ـ **سيرة عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز**: للإمام ابن رجب الحنبلي، تحقيق: عفت وصال حمزة، دار ابن حزم ـ بيروت، ط١، **١٤٨٣**هـ.

٤٧ ـ **شخصيات وكتب**: الشيخ أبو الحسن الندوي، دار القلم بدمشق.

٤٨ ـ **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**: للإمام ابن العماد الحنبلي، دار الآفاق الجديدة ـ بيروت.

٤٩ ـ **شرح وبيان لحديث ما ذئبان جائعان**: للإمام ابن رجب الحنبلي، تحقيق: محمد صبحي حلاق، مؤسسة الريان، ط١، **١٤١٣**هـ.

٥٠ ـ **صحيح البخاري**: ترقيم: الدكتور مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ـ دمشق، الطبعة الخامسة، **١٤١٤**هـ.

٥١ ـ **صحيح مسلم بشرح النووي**: للإمام محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي ـ لبنان، الطبعة الثانية، **١٣٩٢**هـ.

٥٢ ـ **صفة الصفوة**: للإمام ابن الجوزي، بتعليق: عبدالرحمٰن اللادقي وحياة اللادقي، دار المعرفة ـ بيروت، **١٤٢٠**هـ.

٥٣ ـ **صفحات في ترجمة الحافظ الذهبي**: قاسم علي سعد، دار البشائر الإسلامية، ط١، **١٤٠٧**هـ.

٥٤ ـ **صفحات من صبر العلماء علي شدائد العلم والتحصيل**: للشيخ عبدالفتاح أبو غدة، دار المطبوعات الإسلامية بحلب، ط٣، **١٤١٣**هـ.

٥٥ ـ **صيد الخاطر**: للإمام ابن الجوزي، تحقيق: دكتور عبدالغفار البغدادي، دار الكتاب العربي ـ بيروت، **١٤٠٥**هـ.

٥٦ ـ **طبقات الشافعية الكبرى**: للإمام تقي الدين السبكي، تحقيق: عبدالفتاح الحلو، محمود الطناجي.

٥٧ ـ **طريق الهجرتين وباب السعادتين**: للإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث بالقاهرة، ١٩٩١هـ.

٥٨ ـ **العبر في أخبار من غبر**: للإمام شمس الدين الذهبي، دار الفكر.

٥٩ ـ **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**: للإمام ابن قيم الجوزية، بيروت.

٦٠ ـ **العقد الفريد**: لابن عبد ربه الأندلسي، تحقيق: الدكتور عبدالمجيد الترجيني، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٦١ ـ **علماء دمشق وأعيانها في القرن الحادي عشر**: للدكتور محمد مطيع الحافظ والدكتور نزار أباظة.

٦٢ ـ **علو الهمة**: محمد أحمد إسماعيل المقدم، مكتبة الكوثر بالرياض، ط١، ١٤١٦هـ.

٦٣ ـ **غاية النهاية في طبقات القراء**: للإمام شمس الدين محمد بن محمد الجزري، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ.

٦٤ ـ **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: للإمام ابن حجر العسقلاني، دار الريان بالقاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.

٦٥ ـ **فضل علم السلف على الخلف**: للإمام ابن رجب الحنبلي، تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان بدمشق، ط٢، ١٤٠٨هـ.

٦٦ ـ **الفضل المبين على عقد الجوهر الثمين**: للشيخ محمد جمال الدين القاسمي، دار النفائس.

٦٧ ـ **الفوائد**: للإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان ـ بدمشق، ط٢، ١٤٠٨هـ.

٦٨ ـ **لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف**: للإمام ابن رجب الحنبلي، دار الجيل، بيروت.

٦٩ ـ **لفتة الكبد في نصيحة الولد**: للإمام ابن الجوزي، باعتناء: الدكتور مروان قباني، المكتب الإسلامي، ١٤٠٢هـ.

٧٠ ـ **مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير (تفسير ابن باديس)**: للشيخ عبدالحميد ابن باديس، اعتنى به: أبو عبدالرحمٰن محمود، دار الرشيد ـ الجزائر، ط١، ١٤٣٠هـ.

٧١ ـ **المجالسة وجواهر العلم**: للإمام أبي بكر أحمد مروان الدينوري، خرج أحاديثه وعلّق عَلَيْهِ: مشهور بن حسن آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية بالبحرين ودار ابن حزم، الطبعة الأولى، **١٤١٩**هـ.

٧٢ ـ **مجموع الفتاوى**: للإمام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمٰن العاصمي النجدي، إصدار الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين، **١٤٠٤**هـ.

٧٣ ـ **المحجة في سير الدلجة**: للإمام ابن رجب الحنبلي، تحقيق: يحيى غزاوي، دار البشائر، ط٢، **١٤٠٦**هـ.

٧٤ ـ **مختصر الفتح المواهبي في مناقب الإمام الشاطبي**: للإمام شهاب الدين القسطلاني، اختصار: محمد حسن عقيل موسى، إصدار الجمعية الخيرية لتخطيط القرآن بجدة، ط١، **١٤١٥**هـ.

٧٥ ـ **مختصر منهاج القاصدين**: للإمام ابن قدامة المقدسي، تحقيق: شعيب وعبدالقادر الأرناؤوط، مؤسسة علوم القرآن ـ دمشق، **١٣٩٨**هـ.

٧٦ ـ **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**: للإمام ابن الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت.

٧٧ ـ **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**: للإمام شمس الدين الذهبي، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة بمصر، الطبعة الأولى.

٧٨ ـ **مفتاح دار السعادة**: للإمام ابن قيم الجوزية، دار الفكر ـ بيروت.

٧٩ ـ **مناقب الإمام الشافعي**:للإمام ابن الأثير الجزري، تحقيق: الدكتور خليل ملا خاطر دار القبلة بجدة، الطبعة الأولى، **١٤١٠**هـ.

٨٠ ـ **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**: للإمام ابن الجوزي.

٨١ ـ **المنهاج السوي في ترجمة الإمام النووي**: للإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق: أحمد شفيق دمج، دار ابن حزم، الطبعة الثانية، **١٤١٤**هـ.

٨٢ ـ **النشر في القراءات العشر**: للإمام ابن الجزري، أشرف عَلَى مراجعتها: الشيخ علي الضَّباع، دار الفكر ـ بيروت.

٨٣ ـ **النقاية من غاية النهاية**: للإمام ابن الجزري (فوائد علمية وتربوية)، للشيخ خالد بن مأمون آل محسوبي، الدار العلمية للنشر والتوزيع ـ الإسكندرية، الطبعة الأولى، **١٤٣٦**هـ.

٨٤ ـ **نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس**: ابن رجب الحنبلي، تحقيق: محمد ناصر العجمي، دار البشائر، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٨٥ ـ **الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب**: للإمام ابن قيم الجوزية.

٨٦ ـ **الوافي شرح الشاطبية**: للشيخ عبدالفتاح القاضي.

٨٧ ـ **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**: للإمام أبي العباس شمس الدين ابن خلكان، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار صادر ـ بيروت.





الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة





صدر للمؤلف

١ ـ منهج الإسلام في تزكية النفس (وأثره في الدعوة إلى الله تعالى).
٢ ـ أمراض النفس.
٣ ـ شفاء النفس وغذاء الروح.
٤ ـ ورتل القرآن ترتيلاً (وصايا وتنبيهات في التلاوة والحفظ والمراجعة) ـ وتمت ترجمته إلى اللغة الروسية والبلغارية.
٥ ـ آداب طالب العلم (منهج تربوي توجيهي للمعاهد القرآنية) ـ وترجم إلى اللغة البوسنية والأندونيسية.
٦ ـ الصيام والقرآن وترجم إلى الأوردو.
٧ ـ وصايا وفوائد لحفظ القرآن الكريم ـ وترجم إلى اللغة الماليزية والتايلندية والإنجليزية والفرنسية والأوغندية.
٨ ـ التخلف العلمي في واقع المسلمين المعاصر.
٩ ـ نور الدين محمود زنكي.
١٠ ـ دروس من الهدي النبوي (المستوى الأول والثاني) ـ وترجم إلى اللغة الإنجليزية والأوردو والبوسنية.
١١ ـ وبلغ أربعين سنة (رسالة توجيهية لمن بلغ سن الأربعين) ـ وترجم إلى اللغة الأندونيسية.
١٢ ـ هذا ميدان السباق.

١٣ ـ مشاهد من بيوت الصحابة (تأملات وتوجيهات للشباب والفتيان) ـ وتمت ترجمته إلى اللغة الألبانية والفرنسية.

١٤ ـ عطر المجالس (وقفات تربوية وفوائد دعوية).

١٥ ـ ربيع القلوب (رياض نضرة وأزهار عطرة).

١٦ ـ دليلك إلى السعادة والنجاح في الحياة ـ وتمت ترجمته إلى اللغة الفرنسية والألبانية.

١٧ ـ صحابة رسول الله ﷺ وجهودهم في تعليم القرآن الكريم والعناية به.

١٨ ـ الهمة العالية في حياة المعلم.

١٩ ـ أبناؤنا أمانة ـ وتمت ترجمته إلى اللغة الألبانية.

٢٠ ـ الحفرة السعيدة.

٢١ ـ بدائع التوجيهات النبوية ـ وترجم إلى اللغة البوسنية.

٢٢ ـ رياحين القلوب.

٢٣ ـ القيم الجوهرية للمؤسسات القرآنية.

٢٤ ـ نفائس الوصايا.

٢٥ ـ الأمانة تاج وسياج.

٢٦ ـ رياض الجنة (توجيهات في الدعوة والخطابة).

٢٧ ـ الحياة الطيبة (طريقها الرحب وسهلها الخصب) ـ وترجم إلى اللغة الألبانية.

٢٨ ـ الجودة والإتقان في حياة معلم القرآن.

٢٩ ـ تعالوا نحب القرآن.

٣٠ ـ رياض العلماء (جولات في رحاب سيرهم وبدائع أقوالهم في تربية النفوس).

